

علوم الإعلام

البحث العلمي - المناهج - التطبيقات



د . أحمد بدر



علوم الإعلام



علوم الإعلام

البحث العلمي - المناهج - التطبيقات

دكتور/ أحمد بدر

بكالوريوس العلوم - ماجستير الصحافة (القاهرة)

ماجستير المكتبات - دكتوراه علم المعلومات والعلاقات الدولية (أمريكا)

أستاذ ومستشار جامعة القاهرة، ومنسق الفريق المصري في اللجنة

المصرية الأمريكية للمعلومات العلمية والتكنولوجية (سابقاً)

والياً أستاذ غير متفرغ بجامعة القاهرة

الناشر

دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة



اسم الكتاب : علوم الإعلام (البحث العلمي - المناهج - التطبيقات)

اسم المؤلف : د. أحمد بدر

سنة النشر : 2008 م

رقم الإيداع : 2008 / 4489 م

التراقيم الدولي : 9 - 17 - 6240 - 977 - 978

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

الإدارة 18 عمارات العبور - شارع صلاح سالم

الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس 02/22621365

محمول 0123140315 - 0123171722 - 0123171744

حقوق الطبع محفوظة

2008 م



بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة الكتاب

يحتل البحث العلمي ومناهجه في علوم الإعلام أهمية متزايدة في العصر الحاضر، فعلم الإعلام وثيقة الصلة بالمعرفة كلها أى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية والطبيعية.. وإذا كان الإعلام وسيلة تزويد الناس بالمعلومات في جميع هذه الدراسات مستعيناً في ذلك بالوسائل المطبوعة أو الإلكترونية فعلم الإعلام تهتم بتدريب الطلاب والباحثين في المجال بأساليب ومناهج البحث العلمي لرفع كفاءتهم في الاستيعاب والإضافة خلال الدراسة المنهجية والبحثية وفي الأداء في سوق العمل بين الجماهير.

وإذا كان هذا الكتاب يتناول أصول البحث ومناهجه كما تتسحب على مختلف العلوم والدراسات، فهو يؤكد في معظم فصوله على تطبيق هذه المناهج والأساليب في المجالات الإعلامية، موضحاً ذلك بنماذج من الدراسات والبحوث الإعلامية المتعلقة.

ويتناول الكتاب في الفصل الأول المفاهيم الرئيسية في البحث العلمي، من حيث التعاريف والمصطلحات ومميزات الطريقة العلمية وخصائصها، فضلاً عن التعرف بالنظرية والقانون والصحة والموثوقية والاستنباط والاستقراء ودورها في اكتشاف المعرفة وأخلاقيات البحث العلمي.

أما الفصل الثاني فتتناول مشكلة البحث وكيفية اختيارها وكيفية التعبير عنها بالسؤالات أو الفروض وطبيعة الفروض والعناصر المتصلة بها ثم مراجعة مختصرة عن طرق الحصول على المعرفة.

وتتناول الفصل الثالث الصحافة كمهنة للمهن واتجاهات وتكامل بحوث علوم الإعلام مع العلوم الأخرى، واتجاهات البحوث والدراسات في علوم الإعلام في الوقت الحاضر وعلاقة علوم الاتصال بعلم المعلومات.

أما الفصل الرابع فيتناول تكامل البحوث النوعية والكمية في دراسات الإعلام والتميز بينها، إلى جانب بعض أدوات البحوث النوعية خصوصاً المقابلات والملاحظات بأنواعها وأسباب استخدامها والمبادئ التي يجب مراعاتها فضلاً عن أسلوب القياس التكراري وقياسات الاتجاهات المتدرجة ويختم الفصل بنماذج لمناهج البحث المستخدمة في بحوث الاتصال الجماهيري من خلال تحليل الدوريات العلمية الإعلامية.

وتناول الفصل الخامس منهج التحليل التاريخي وموقع التاريخ بين التخصصات العلمية وأسئلة البحث في الدراسات التاريخية وأنواع الدليل التاريخي مبرزاً أهمية المصادر الأولية ثم التقييم الخارجى والداخلى للوثائق والفرق بينهما وأخيراً الفرض في البحوث التاريخية.

أما الفصل السادس فيتناول تحليل المضمون في بحوث الإعلام وتحلل هذه الوحدة مع الوحدة التالية عن منهج المسح مساحة واسعة في هذا الكتاب، حيث تتم دراسة استخدام تحليل المحتوى وحدوده وخطواته وبعض المشكلات المنهجية والتطورات الجارية في تحليل المضمون وتختتم هذه الدراسة بنموذج تطبيقي لتحليل محتوى شبكات الأخبار الأمريكية أثناء زيارة الرئيس الراحل السادات لمدينة القدس.

أما الفصل السابع عن منهج المسح فيتناول المسح بتعريفه وأنواعه ومميزاته فضلاً عن الأخطاء التي يجب ملاحظتها في الاستبيان والخطوات اللازمة لتصميم البحث والقيام به، كما تمت دراسة الاستبيانات سماتها وما عليها- ثم إسهامات المسح في العلوم الإعلامية والسياسية ومشكلاته وحدوده ويختم الفصل بدراسة مسحية تطبيقية عن اتجاهات العرب والمسلمين الأمريكيين بعد الحادى عشر من سبتمبر 2001.

أما الفصل الثامن فتناول المصباح التجريبي وأهميته ومكوناته المفتاحية وأنواع التجارب وعناصر التجربة وبعض قواعد تصميم التجارب والفرق بين التجربة في المختبر والتجارب مع الناس، وأخيراً الصعوبات التي يجب أن يتجنبها الباحث.

ويتناول الفصل التاسع الطريقة الاحصائية والتحليل الاحصائي الوصفي والاستدلالي، وإذا كانت الطريقة الاحصائية الوصفية تعتبر لغة للتعبير عن بيانات البحث، فإن التحليل الاحصائي الاستدلالي يعتبر منهجاً للبحث واختبار الفرضيات وبالتالي فهو يتناول نظرية المعايير وثبات المعينات ثم يشرح لنا التحليل الاحصائي الحاطي الذي يجب أن يتجنبه الباحث.

هذا فصلاً عن أنواع المقاييس الإحصائية والإحصاء البارامترى وغير البارامترى.

أما الفصل العاشر فهو عن تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على بحوث الاتصال والإعلام وبالتالي يتناول الفصل تكامل الثورتين والمقارنة بينهما ثم نماذج فعلية من الدراسات التي نشرت وثبتت الاتجاه السلوكي ثم افتراضات القيمة والتزامات المهنة السياسية الإعلامية، وأخيراً الثورة ما بعد السلوكية والعلاقات الدولية والإعلام الدولي.

ويتناول الفصل الحادي عشر كيفية تجنب الأخطاء الشائعة في البحث وكتابة التقرير أي الهيكل العام لتقرير البحث وكيفية تقييمه، فصلاً عن تقارير البحوث طبقاً لطريقة امرود (IMRD) والعرض البياني والتصويري لمعلومات البحث.

ويعتبر الفصل الثاني عشر والأخير ذا أهمية بالغة إذ هو يتناول التوثيق ومصادر المعلومات في علوم الإعلام ونماذج من مصادر بحث الإنتاج الفكري فصلاً عن أدوات البحث والصبط البليوجرافي للإنتاج

لتفكرى في مجال الإعلام والاتصال، فضلاً عن دوريات علوم الإعلام
الإنترنت، وبعض مصادر المعلومات العربية والأجنبية.

والله ادعوا أن تكون هذه الدراسة قد ملأت فراغاً في مجال بحوث
علوم الإعلام والاتصال ودفعاً لتنشيط حركة البحث العلمي على مختلف
لمستويات الدراسة والبحثية بأقسام الإعلام بالجامعات المصرية والعربية.

والله ولي التوفيق

أ.د. أحمد بدر

رمضان : 1428هـ

أكتوبر : 2007م

الفصل الأول

بعض المفاهيم الرئيسية في البحث العلمي

أولاً طبيعة البحث العلمي وبعض عناصره

ماذا نعني بالعلم؟ وما هي أهداف العلم؟ ... وماذا نعني بالبحث؟ وما هي أنواعه ومستوياته؟ وماذا نعني بالمنهج وبعلم المناهج؟ وكيف نفرق بين نوع البحث Type ومنهج البحث Method وأداة البحث Tool وأسلوب البحث Technique ومملاك أو مدخل البحث Approach وأخيراً ماذا نقصد في البحث العلمي بالمفهوم وبالتعريف وبالتعريفات؟

1 - تعريف العلم:

قاموس ويبستر الجديد Webster's New twentieth Century Dictionary of English language 1960, 1622 يقدم تعريين للعلم هما:

- العلم هو المعرفة المنهجية Systematized knowledge التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما يتم دراسته.
- العلم هو فرع من فروع المعرفة أو الدراسة، خصوصاً ذلك الفرع المتعلق بتصديق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض.

ويعرفه قاموس اكسفورد المختصر كما يلي Shorter Oxford English Dictionary, p. 1809.

- العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنعة، والتي تحكمها قوانين علمية وتحتوى على طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة.

وإذا كنا نؤيد التعريف الأخير للعلم، بظراً لتأكيدنا على "الحقائق الثابتة المصنعة" وعلى اتباع "الطرق والمناهج الموثوق بها لاكتشاف الحقيقة، وبالتالي يمكن أن نشير إلى تعريف العلم بأنه ذلك الفرع من الدراسة الذي يتميز بحصر الحقائق وضبطها ثم التحكم فيها وقياسها ثم التنبؤ بالظواهر العلمية، ولكننا في هذه الحالة سنقتصر العلم على العلوم الطبيعية ونستبعد العلوم الاجتماعية لأنها لا نستطيع أن نطبق عليها هذه الشروط ببعض الدقة.

2- أهداف العلم :

يهدف الإنسان باستخدامه للعلم إلى تفسير الظواهر المحيطة به، أي ألا يقتصر دور العلم على مجرد وصف للظواهر (الشمس تشرق/ السماء تمطر .. الخ) بل إلى تقديم التفسير العلمي لها وكيفية حدوثها وأسبابها..

كما يهدف العلم إلى صياغة التعميمات .. أي أن شرح الظاهرة وتفسيرها يجب ألا يكون شرحاً جزئياً، بل أن يتسع مدى هذا التفسير ليعمم ويشمل أكبر عدد من الظواهر المماثلة.

هذا ويذهب العديد من فلاحفة للعلم إلى أن وظيفة العلم هي وضع القوانين العامة، التي تمكننا من ربط معارفنا عن الأحداث المتفرقة، فضلاً عن إمكانية وضع التنبؤات الموثوق بها عن الأحداث التي لم نعرفها بعد.. وعلى سبيل المثال فقد تنبأ مندليف بوجود عنصر جديد هو الجرمانيوم، قبل أن يكتشف بخمسة عشر عاماً، وذلك نظراً لملاحظته وجود ثغرات في الجدول الدوري للعناصر الكيميائية (Periodic Table) .. وقس على ذلك تنبؤات علماء الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو غيرهم.. ويرتبط بعملية

التفسير هذه عملية الصبغ كهدف أيضاً للعلم، ويعنى الصبغ عملية التحكم في بعض العوامل الأساسية التي تسبب ظاهرة معينة، بحيث تجعل هذه الظاهرة تتم أو تمنع وقوعها.. ويورد في دالين التعريف التالي لتوضيح عملية التحكم والصبغ هذه (فان دالين، ديو بولد، 1977 ، ص 61).

"يعرف الطبيب أنه إذا لم يهرز البكرين الأنسولين، لن يستطيع الجسم أن يفيد من المواد الكربوهيدراتية، ويستطيع الطبيب أن يتنبأ بما يحدث للمريض إذا وجدت هذه الحالة (حالة البول السكري) ويستطيع فصلاً عن ذلك أن يصبغ البول السكري بإعطاء المريض حقناً من الأنسولين، أي أن الطبيب يعمل في الواقع فهمه لطبيعة المرض عندما يتنبأ بحالة البول السكري ويضبطها" وإذا كانت ظواهر العلوم الطبيعية تحصى للتحكم والتطويع عن طريق الملاحظة والتصميمات القوية للتجربة، فهناك القليل من الظواهر الاجتماعية والإنسانية القابلة لمثل هذا التطويع..

وبالتالي فيقال عادة بأن شرح وتفسير الظواهر الإنسانية هو تفسير احتمالي Probabilistic، بينما تفسير الظواهر الطبيعية هو تفسير استنباطي Deductive والتفسير الأول أضعف من الثاني نظراً لقدرته التنبؤية المحدودة.

وعلى سبيل المثال.. إذا كل هناك ارتباط بين ظاهرة الحرمان في مجتمع معين، وبين ظاهرة العنف، فإن تفسير العلاقة بين الظاهرتين هو تفسير احتمالي لا يصدق بنص الدرجة في جميع المجتمعات، بل ويرتبط هذا التفسير في أحيان كثيرة بالبيولوجية المجتمع وتركيبه الاجتماعي، ولكن تفسير العلاقات بالنسبة للظواهر الطبيعية كالجاذبية وسقوط الأشياء هو تفسير مطلق ينسحب عليه صغتي التعميم والتنبؤ في كل مكان.

3 - البحث وأنواعه

البحث ليس ببساطة وصف الظاهرة التي أمامك ولكنه يتجاوز ذلك حيث يقصد به الدراسة العميقة، حتى يمكننا شرح الظاهرة والتنبؤ بسلوكها وهو ليس ببساطة تلوين الصورة بما نراه ولكنه يتضمن القوص تحت السطح حتى يمكنك أن تجعل للظاهرة أو الصورة معنى.

وهناك تعريفات كثيرة للبحث تدور معظمها حول كونه وسيلة الاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات.

ومن بين هذه التعريفات ما يلي:

- البحث استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً.
- البحث استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي.
- البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة، وذلك عن طريق التنقيب الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة (Hillway, T p.5).

Research is a method of study by which, through the careful and exhaustive investigation of all ascertainable evidence bearing upon a definable problem, we reach a solution to that problem.

والبحث عملية تطويع الأشياء والمفاهيم Concepts والرموز، بعرض التعميم Generalization.. فالمهتمس الميكانيكي أو الطبيب يعتبر باحثاً عندما يحاول التعميم عن جميع السيارات أو جميع المرضى في قطاع معين.

وكثيراً ما نطلق كلمة "البحث" على جميع نشاطات الدارسين، ومع ذلك إذا ألقينا نظرة سريعة على المقالات العلمية المنشورة في أى مجال سوف نتكشف لنا اختلافات أساسية كثيرة بينها. فبعض هذه المقالات يصف التجارب العلمية ونتائجها، وبعضها يعتبر مجرد تقارير عن "مسح الآراء... Opinion Surveys" وبعضها يعكس عن تعميمات عريضة مبنية على دليل يقدمه الباحث، وبعض هذه المقالات أيضاً تحمل مجرد انطباعات للكاتب التي اكتسبها من دراسته غير المحكمة "Uncontrolled Contact" لموضوع معين وتفسيره هو وتعليله لبعض الجوانب في الموضوع الذي يقوم بدراسته.. إن نشاطات البحث متعددة وكثيرة.. فهي تشمل التجريب والوان المسح العلمي وتحليل الوثائق والدراسات التاريخية وتفسير الأفكار والتحرير وغير ذلك. ويمكن أن نجل نشاطات البحوث في الأنواع الثلاثة التالية:

- (أ) البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق: مثل محاولة الحصول على حقائق معينة دون الوصول إلى التعميم وذلك مثل كتابة سيرة أحد الزعماء أو تاريخ كلية أو جامعة معينة أو إعداد بيلوجرافيا لما الخطوة الثانية فهي:
- (ب) البحث بمعنى التفسير النقدي: أى التليل للمنطقى والوصول إلى بدائل واختيارات ومعظم البحوث الاجتماعية والإنسانية تقع في هذا النوع.
- (ج) البحث الكامل: ويهدف إلى حل المشكلات ووضع التعميمات بعد التنقيب الدقيق عن الحقائق المتعلقة

ومع ذلك فلا بد أن يتوفر في التفسير النقدي ثلاثة جوانب وهي:

- أن تعتمد المناقشة -أو تنفق على الأقل- مع الحقائق والمبادئ المعروفة في المجال الذي يقوم الباحث بدراسته.
- يجب أن تكون الحجج والمناقشات التي يقدمها الباحث في التفسير النقدي واضحة ومعقولة، أو أنها يجب أن تكون منطقية. وعلى ذلك فإن التعميمات والنتائج التي يصل إليها الباحث يجب أن تعتمد منطقياً على الحقائق المعروفة. كما يجب أن تكون الخطوات التي تتبعها الباحث في تبرير ما يقول واضحة.
- كما يجب أن يكون الدليل العقلي وهو الأساس المتبع في هذه الطريقة تدليلاً أميناً وكاملاً حتى يستطيع القارئ متابعة المناقشة وتقبل النتائج.
- نتيجة هذا المستوى من البحث هو الرأي المراجع الذي يقدمه الباحث كحل للمشكلة، ذلك لأن هذا الرأي يعتمد على الحقائق والمبادئ المتفق عليها في مجال البحث ويؤيدها كل من المنطق والدليل المتوفر.

أما البحث الكامل فيجب أن تتوفر فيه العوامل المحددة التالية:

1. أن تكون هناك مشكلة تستدعي الحل.
2. وجود الدليل Evidence الذي يحتوي عادة على الحقائق التي تم إثباتها.. وقد يحتوي هذا الدليل أحياناً على رأي الخبراء..
3. التحليل الدقيق للدليل وتصنيفه، حيث يمكن أن يرتب الدليل في إطار منطقي وذلك لاختباره وتطبيقه على المشكلة.
4. استخدام العقل والمنطق لترتيب الدليل في حجج أو إثباتات حقيقية يمكن أن تؤدي إلى حل المشكلة.
5. الحل المقصود.. وهو يعتبر الإجابة على السؤال أو المشكلة التي تواجه الباحث.

4 - منهج البحث وأداة البحث :

1/4 المنهج وعلم المناهج:

لقد تكونت فكرة المنهج (METHOD) بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم ابتداء من القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون FRANCIS BACON وكلود برنارد وغيرهما من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي والمناهج بصفة عامة وأصبح معنى اصطلاح المنهج العلمي هو الطريق المؤدية بالعلم إلى التقدم من مجرد شك والتصور والوهم.. إلى الحقائق الموثوق فيها والنتائج السليمة الموضوعية، فالمنهج العلمي بذلك يهدف إلى الدقة والتدقيق.. وبالتالي فإنه يعتمد على كل من المنطق وعلى الأساليب اللازمة للتحقق والقياس. كما أن المنهج العلمي -في صورته المثالية- يتضمن إمكانية التعبير الرياضي عن العلاقات بين المتغيرات المختلفة.. وأخيراً فإن التجريب Experimentation هو إحدى مكونات المنهج العلمي الأساسية، ذلك لأن التحقق Verification يتم تحت ظروف محكمة ودقيقة.. هذا والجهد العلمي لا يتضمن مجرد التجميع الكمي للبيانات والمعلومات فحسب، ولكن الجهد العلمي يتضمن كذلك التفكير الخلاق والأصيل.

5 - مصطلحات ومفاهيم البحث العلمي واستخداماتها المتنوعة:

إذا كان الباحث يحرص قبل بداية دراسته الجادة، على تحديد المفاهيم وتعريف المصطلحات الدخلة في مجال دراسته فمن الواجب أن يشير إلى بعض المفاهيم والمصطلحات المختلف عليها.

فهناك على وجه التحديد المصطلحات التالية: منهج البحث Method
نوع البحث Type أداة البحث Tool، أسلوب البحث Technique، مسلك أو
مدخل البحث Approach.

وإذا كنا نميز بين نوع البحث ومنهجه وأدواته، على اعتبار أن نوع البحث هو مستواه ومنهج البحث هو خطته وأداة البحث هي وسيلة تجميع البيانات، فهناك من الباحثين الذين يرون أن نوع البحث يتحدد بناء على الهدف من البحث، وبناء على مستوى المعلومات المتوفرة، وأن تصنيف أنواع البحوث يجب أن يكون عريضاً ومريئاً، ليندرج تحت كل نوع من أنواع البحوث عدة مناهج (البحوث الوصفية مثلاً تحتها منهج المسح ومنهج دراسة الحالة) وهكذا.

ومن الواجب أن نشير إلى أن بعض كتب البحث العلمي تستخدم كلمة أسلوب Technique للدلالة على كل من النوع أو الأداة أو المنهج، حيث يقال مثلاً أسلوب الملاحظة Observation Technique أسلوب الاستبيان questionnaire Technique أسلوب (منهج) البحث والتقصى Investigative Technique.

وأخيراً فإن مصطلح المدخل أو المسلك Approach قد استخدم للدلالة على الطريقة التي يملكها الباحث حين (يقترِب) أو يعالج موضوع البحث، أو الزاوية التي يبدأ منها تناول الموضوع، وقد يرتبط المدخل بالعلوم الأكاديمية كالـتاريخ والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والجغرافيا.. وقد يرتبط المدخل بالظواهر أو للمشكلات المختلفة مثل (الهدف السياسي/ الاغتراب/ الصراع ...) وأخيراً فقد يرتبط المدخل بالطريقة الاستنباطية أو الاستقرائية في التفكير أو المدخل الكيفي أو الكمي للتعبير عن الظواهر.

6- التعاريف والتميزات كعناصر أساسية في البحث:

1- المفاهيم Concepts

هي مجموعة الرموز التي يستخدمها الفرد لتوصيل ما يريد من معاني لغيره من الأفراد. هذا ويتضمن عملية التفكير لاستخدام اللغة وهي نظام للاتصال يتكون من رموز ومجموعة من القواعد تسمح بتركيبات مختلفة لهذه

الرموز، ويعتبر المفهوم أحد الرموز الأساسية في اللغة والذي يمثل بطريقة تجريدية شيئاً معيناً أو إحدى خصائص هذا الشيء أو ظاهرة معينة.

وكل موضوع علمي له مفاهيمه المتميزة والخاصة بعملية الاتصال والبحث، ويستطيع العلماء أن ينفقوا لرموزهم وللجمهور المعلومات والخبرات المختلفة عن طريق هذه المفاهيم، ويتم اختيار المفاهيم "المعقدة" عادة بواسطة العلماء والباحثين النابضين، وعلى سبيل المثال صفاهم "الوزن" "الحل" هي مفاهيم "عامة" ومعقدة وتخدم صفات تتسحب على مختلف الأشياء أو الناس، أي أن المفاهيم ليست وسائل للاتصال فحسب، ولكنها تستخدم للتعميم كذلك، ولابد أن تكون هذه المفاهيم واضحة ودقيقة، وهذا يتحقق عن طريق التعاريف.

ب- التعاريف : Definitions

يعتمد البحث العلمي على نوعين من التعاريف أولهما هو التعريف المفاهيمي Conceptual والثاني هو التعريف الاجرائي Operational والتعريف المفاهيمي يتضمن استخدام مفاهيم لتشرح مفاهيم أخرى، وعلى سبيل المثال فإن التعريف المفاهيمي لظاهرة العنف السياسي يمكن أن يكون السلوك العدواني نحو المؤسسات السياسية والأشخاص الذين يحتلون مناصب ويقومون بأدوار سياسية، ويمكن أن يكون "استخدام السلاح لتحقيق أهداف سياسية" ومثال آخر بالنسبة للتعريف المفاهيمي للدكاء هو القدرة أي " القدرة على التفكير بطريقة مجردة أو "القدرة على حل المشكلات"، فكل هذه التعاريف سواء للدكاء والعنف السياسي تقوم بتعريف المفهوم بواسطة مفاهيم أخرى أكثر بساطة في معظم الأحيان.

والذي يهمنا من الشرح السابق هو أننا لا نستطيع اعتبار التعريف المفاهيمي حقيقياً أو غير حقيقي، أي أننا لا نستطيع أن نرفض التعاريف السابقة إلا إذا لم يستخدمها الباحث في دراسته بطريقة منتظمة، أو إذا كانت

هذه التعاريف متعارضة تماماً مع ما اتفق عليه معظم الباحثين في هذا المجال الموضوعي.

أما بالنسبة للتعريف الاجرائي فهو الذي يعطى أو يصل العجوة بين المستوى النظري والفكري والمستوى الامبيرقي الذي يتم ملاحظته.

ومفهوم "الإجراءات" هذه تتضمن سلسلة من التعليمات التي تشرح العمليات التي يجب أن يقوم لها الباحث ليظهر وجود أو درجة وجود حدث امبيرقي معين صير عنه باحدى المفاهيم.

وعلى سبيل المثال فإن التعريف الاجرائي لظاهرة الذوبان Solubility بالنسبة لملح معين قبل للذوبان في الماء، هو أن هذا الملح إذا وضع في الماء فإنه يذوب.. وبنفس الطريقة فإن التعريف الاجرائي للنكاه يتضمن بيان العمليات التي يقوم بها الباحث ليكتشف عن وجود الصفة التي تمثل المفهوم وفي هذه الحالة فإن الباحث يعطى عدداً من الأطفال فصلاً من كتاب ليقوموا بقراءته وتلخيصه، والذين يقومون بهذا العمل بنجاح يمكن وصفهم بالنكاه، والذين يفشلون في تحقيق ذلك ليسوا أنكياه وهكذا.. والتعريف الاجرائي هذا مستخدم كثيراً في العلوم الاجتماعية، وذلك لصعوبة أو استحالة تطويع للصفات التي يقوم للباحث بتعريفها..

وعلى سبيل المثال فإن الباحث الاجتماعي سيقوم بوصف أحد الأشخاص بأنه "محافظ" إذا أجاب على سلسلة من الأسئلة بطريقة معينة. والافتراض هنا هو أن إجابات معينة لأسئلة محددة (مثيرات) تمثل نماذج وصفات للشخصية أحدها هو صفة "المحافظة".

وهناك مشكلات تتعلق بدرجة توافق كل من التعريفين مع بعضهما ويلجأ الباحثون في تقييم تلك باحتمالات الصدق Validity tests والتي سيجئ ذكرها فيما بعد .. كما أن هناك العديد من المفاهيم "كالجمال" و"الوعي

الباطن" و"الجبلية المادية" وغيرها من المفاهيم التي لا يستطيع الباحث تعريبها إجرائياً.

جـ- المتغيرات Variables

المتغير هو مفهوم تطبيقي له قيمتان أو أكثر .. والمفاهيم التي يتم تطبيقها امبيريقياً مثل "الطبقة الاجتماعية"، "المشاركة السياسية"، "الجنس" تعامل كمغيرات .. فعلى سبيل المثال فهناك خمسة قيم على الأقل لمفهوم "الطبقة الاجتماعية" وهي منخفض/ الوسط المنخفض/ الوسط/ الوسط العالى/ العالى .. والدخل كمفهوم يمكن أن تكون له ثلاث قيم وهي المنخفض / المتوسط/ والعالى .. كما أن هناك متغيرات لها قيمتان فقط كالجنس (ذكر/ وأنثى) .. وإن كانت معظم المفاهيم في العلوم الاجتماعية متعددة القيم

وهناك ثلاثة أنواع شائعة من المتغيرات (دات القيمتين أو المتعددة القيم) في البحوث العلمية هي: المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ثم المتغيرات الضابطة، والمتغير التابع هو المتغير الذي يرغب الباحث عادة في شرحه أما المتغيرات التي ستفسر لنا الظاهرة فهي المتغيرات المستقلة أى أن المتغير المستقل هو السبب الافتراضي للمتغير التابع والمتغير التابع هو الناتج المتوقع من المتغير المستقل.

ومع ذلك فيمكن أن يكون المتغير المستقل في دراسة معينة هو نفسه متغير تابع في دراسة أخرى.. ولكن لابد من وضوح كل منهما في الدراسة وبيان ترتيبهما الهرمي.. فعلى سبيل المثال فيمكن اعتبار "الحرمان النسبي" في مجتمع معين كمتغير مستقل ولى "العنف السياسي" هو المتغير التابع وفي هذه الحالة فإن الفرص سيكون "الحرمان النسبي" يؤدي إلى "العنف السياسي" وفي دراسة أخرى يمكن أن يكون التصنيف بالعكس ويؤدي إلى الفرص التالية "العنف السياسي يؤدي إلى الحرمان النسبي" وفي الطواهر الاجتماعية المعقدة فهناك متغيرين مستقلين أو أكثر تتلازم وتفسر متغير واحد تابع ..

كأن تكون "المشاركة السياسية" هي المتغير التابع أما المتغيرات المستقلة فتكون "المعلومات السياسية" "الانتماء الحزبي" "الاهتمام بالسياسة" إلى آخره.

أما بالنسبة للمتغير الضابط فهو المتغير الذي يمكن بواسطته اختبار العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة والتأكد من أنها علاقة عرصية أم لا .. والعلاقة مثلاً بين عدد رجال الإطفاء وحجم التدمير الذي أحدثه الحريق لا يمكن شرحها، إلا بعامل ثالث (المتغير الضابط) وهو حجم الحريق نفسه.

ومثال آخر توضيحي عن المتغير للضابط يتمثل في العلاقة التي نلاحظها بين "المشاركة السياسية" و "الاتفاق الحكومي". فهل يتأثر حجم الاتفاق الحكومي "متغير تابع" بمدى المشاركة السياسية (متغير مستقل)؟ أم أن هذه العلاقة لا يتم تفسيرها إلا بالمتغير الضابط؟ لقد أختير النمو الاقتصادي كتغير ضابط وتبين أن مستوى النمو الاقتصادي يؤثر على كل من الاتفاق الحكومي والمشاركة السياسية وبدون التغير في مستوى النمو الاقتصادي فإن العلاقة بين المشاركة السياسية والاتفاق الحكومي تختفي، أي أن المتغيرات للضابط تحدم في اختبار العلاقة التي نلاحظها بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

ثانياً: مميزات الطريقة العلمية وخطواتها

1- مميزات الطريقة العلمية وخصائصها،

1- تعتمد هذه الطريقة على الاعتقاد بأن هناك تفسيراً طبيعياً لجميع الظواهر التي نلاحظها.. كما أن هذه الطريقة تفترض أن العالم هو كون منظم لا توجد نتيجة فيه بدون سبب.

وإذا كان الإيمان البدائي، يرد كل شيء غير عادي إلى تدخل الآلهة، أو السحرة أو غير ذلك من الأسباب، فإن الإنسان الحديث يتطلع ويتلمس الأسباب الطبيعية، ما دام ذلك ممكناً.. وعلى الرغم من أن هناك بعض مجالات المعرفة، التي لا تطبق في الوقت الحاضر - الطريقة العلمية، فإن هذه الطريقة قد لقيت نجاحاً ملحوظاً في مجالات عديدة أخرى.

ب- ترفض الطريقة العلمية الاعتماد على مصدر الثقة، ولكنها تعتمد على الفكرة القائلة بأن النتائج لا تعتبر صحيحة إلا إذا دعمها الدليل Evidence.

إن إمكانية إضافة حقائق جديدة إلى المعرفة الإنسانية، ليس أمراً سهلاً ميسوراً، وعلى الرغم من أن الشخص العادي، يتقبل كثيراً من الأفكار على أنها صحيحة، فلي الباحث المنطق لا يمتزف بصحتها أو قيمتها قبل أن يحصنها للفحص الدقيق والبحث عن دليل صحتها وورن وتقييم الجوانب المؤيدة والمعارضة.

وكثيراً ما نستعصي المشكلة العلمية على الحل.. لأن الدليل غير كاف أو لأنها لا تثبت للاحتبار المنطقي أو العقلي.

والباحث الحديث لا يتقبل ما قاله أرسطو - أو غيره من الفلاسفة الكبار، على أنه قضية مسلم بها.. ولكنه يقوم بالتأكد من ذلك بفحص الحقائق، وذلك يتطلب الملاحظة المباشرة Direct Observation ويتطلب التجربة أيضاً.

ومن أقدم الأمثلة على ذلك/ ما قام به جاليليو في البحث عن معدل سرعة سقوط الأجسام.. وذلك بإسقاط كرات مختلفة الأوزان من برج بيزا المائل في عام 1589 لم يكن جاليليو مقتنعاً بمجرد الاستنتاج المنطقي Reasoning أو استشارة أهل الثقة في الموضوع، ولكنه درس الحقائق - في الواقع - بالطرق التجريبية.

لقد كان الاعتقاد المعائد لدى المفكرين - من أتباع أرسطو - أن الأشياء الثقيلة تسقط على الأرض بسرعة أكبر من الأشياء الخفيفة .. وهذا الافتراض يبدو منطقياً ومعقولاً لكل من يفكر في الأمر دون أن يجثم نفسه عاء اختبار هذا الفرض بالتجربة.

لقد رفض جاليليو أن يوافق على ما يقوله أهل الثقة، كما رفض المطلق كأساس لنتائج وتعلم - ربما لدهشته هو أيضاً أن للكرات الحديدية

المختلفة الأوران تنقط جميعاً بنفس معدل السرعة (ونذلك باستثناء الاختلافات الطعيفة التي تسببها مقاومة للهواء...).

ج- لقد استبدلت الطريقة العلمية للملاحظة المباشرة بالمنطق، أى أنها اعتمدت على الملاحظة المباشرة ما دام ذلك ممكناً .. وتشير تجربة جاليليو السابقة إلى هذا الجانب من الطريقة العلمية واختلافها عن الطرق الأخرى.. فالأفكار والحقائق سواء تم الوصول إليها عن طريق المنطق أو عن طريق الاستعانة بمصدر ثقة. يجب أن تخضع للاحتبار والتجربة لإظهار صحتها أو بطلانها.

ولا يعنى ذلك من غير شك، أننا قد استعينا عن المنطق أو مصادر الثقة نهائياً في البحث.. ذلك لأن ما يقوله أهل الثقة بالنسبة لموضوع معين، يمكن أن يكون معيداً عندما تنقصنا الأدلة الأخرى.. وخصوصاً عندما لا يكون هناك دليل مخالف.. ولكن يجب أن نشير إلى أن الاعتماد على أهل الثقة، لا يكون بذاته وسيلة البحث العلمي بل ربما يؤدي هذا الاعتماد بالباحث إلى أن يضل الطريق.

د- يجب أن تكون حثيثات النتائج التي نصل إليها في الطريقة العلمية منطقية دائماً. وبمعنى آخر فالنتائج يجب أن تكون متمشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة، ومع للتجربة دلهل مجال الدراسة.

فالمسطق يمكن أن يعتبر لغة الاستنتاج للعقل Reasoning (المتصل بالصعات) كما تعتبر الرياضيات لغة القياس (المتصل بالكم أو الحجم)، وعلى ذلك فاستخدام المنطق المناسي وضروري للبحث العلمي كذلك.

2 - الخطوات التي يجب إتباعها في البحث:

١- تحديد المشكلة:

لا بد أن تكون هناك مشكلة محددة.. حتى يقوم الباحث بالبحث عن حل لها .. وإذا كان الباحث العلمي والمحقق الجليل يشتركن معاً في البحث عن

الحقيقة. وإذا كنا نقارن عملية البحث بعملية التحري الجنائي .. فإن عمل الباحث يشبه عمل المحقق الجنائي في فحص الظروف الخاصة "بموت أحد الأشخاص" مثلاً، وذلك لاكتشاف أسباب الوفاة.. أى أن الباحث لديه شيء محدد في ذهنه ويريد أن يعلم عنه شيئاً، هذا الشيء هو الحل لمشكلة معينة محددة.

ب- تجميع البيانات:

والخطوة التالية بعد تحديد المشكلة.. هي البدء بتجميع البيانات والمعلومات وفحصها فحصاً دقيقاً .. على أن تكون هذه المعلومات والبيانات متعلقة بالحقائق الخاصة بالمشكلة .. وكثيراً ما يتعاضى الباحث عن بعض المعلومات ذات العلاقة بالمشكلة.. وغالباً ما يضل البحث في هذه الحالة كذلك. بالمقارنة بعمل التحري الجنائي قد تعمل الشرطة بعض الظروف التي أدت إلى ارتكاب الجريمة.. كإى تعمل مثلاً أن "كيس نقود" القاتل مفقود، أو قد تقوم الشرطة نفسها بقفل مفاتيح تشغيل السيارة دون أن تقطع لأسباب استمرار اشتغال السيارة حتى بعد انقلابها.. إن هذه الحقائق وأمثالها ضرورية كنيل للتعرف على الجريمة وأسبابها.

ج- وضع الفرض:

بعد الفحص المبدئى للبيانات والمعلومات، فإن هناك حلاً للمشكلة يطرح نفسه على الباحث.. هذا الحل المبدئى (أو للتخمين الذكى) يمكن ببساطة أن يكون حلاً خاطئاً . فقد تفترض الشرطة مثلاً في أول الأمر أن حادث الوفاة قصاء وقتل.. وأنه لا أسباب جنائية وراء الحادث.. ولكن بعد فحص الأدلة المتوفرة.. فقد تدخل فكرة الجريمة والقتل في الموضوع.. ومع ذلك فقد تبدأ الشرطة في البحث عن الجاني في الطريق الخاطئ .. ذلك لأن الشرطة مثلاً تعتقد أن السرقة هي الدافع وراء الجريمة.

ومن الطبيعي والمعيّد في ذات الوقت أن يصعّب الباحث تخمينات معقولة للحل الممكن للمشكلة حتى في بداية البحث.. إن هذا التخمين Guess هو ما يسميه بالفرض Hypothesis وهذا الفرض قد تثبت صحته، حيث يتفق مع

جميع الحقائق المتوفرة .. وقد يكون خاطئاً ومن ثم ينبغي إهماله والبحث عن فرص جديد.

د اختبار الفرض، Testing the Hypothesis

إن صياغة تخمين مقول - أو فرض - بالنسبة لحل المشكلة، يساعد في تحديد الاتجاهات التي يمكن البحث فيها عن الدليل.. وعلى ذلك، فحتى إذا ثبت أن الفرض خاطئ فإنه يساعدنا في الدراسة. وبعد أن نستقر على فرص معين بناء على البيانات والمعلومات الأولية المتوفرة، فإننا نبدأ العمل على تجميع الدليل من جميع المصادر الممكنة.. وذلك لاختبار الفرض. وعن طريق اكتشاف الحقائق الجديدة.. وتطبيق المبادئ المتفق عليها في المعرفة والمنطق .. سنقرر صحة الفرض وتفاقه مع الحقائق المتوفرة من عدمه. إن هذا البحث الدقيق عن المعلومات والبيانات.. موجهها بالفرض المبدئي Tentative Hypothesis يكون الجهد الأساسي لأي بحث علمي.. تماماً كما هو الحال في لتحرى الجنائي.

هـ النتيجة:

وبعد اختبار الفرض بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ووضعها في الإطار المنطقي الصحيح.. فإن الباحث إما أن يرفض ويهمل الفرض الذي وضعه وذلك بعد أن ثبت عدم صحته، وإما أن يكون هذا الفرض صحيحاً.. وبالتالي فإنه يشكل بالنسبة للباحث النتيجة الأساسية في دراسته.

وبمعنى آخر - فإن الدراسة ينبغي أن تستمر حتى يقتنع الباحث بصحة وصدق الفرض الذي وضعه.. وحتى يستطيع بالتالي أن يقتنع الآخرين بوزن وصحة الدليل الذي توصل إليه.

أي أنه إذا ما أيدت للملاحظات العلمية والتجارب صحة فرض من الفروض دون أن يتعارض مع هذا الفرض أو ينقضه أي دليل آخر، فإننا نكون قد أضعنا إلى حصيلة المعرفة حقيقة جديدة.. وليست قيمة هذه الإضافة فقط لأنها تفسر الحالات الفردية التي بدأ بها الفرض، وإنما القيمة الحقيقية

تكمُن في أنها تنصّر كل الحالات المشابهة والتي لم تدخل في مجال البحث الذي تم القيام به .. هذه العملية هي ما يسمى بالتعميم Generalization .

وأخيراً فكما يعد المحامي قصيته لتقديمها للمحكمة، يجب على الباحث أن يعد النتائج التي توصل إليها بطريقة يتقبلها ويفهمها المختصون في مجاله العلمي.

دالاً: مفاهيم أخرى:

١- بين النظرية والقانون

المعنى العلمي للنظرية يشير إلى اثنين أو أكثر من الفروض المتعلقة ببعضها تم تدعيمها بالأدلة.. ويختلف هذا التعريف عن المعنى المتعارف عليه للمصطلح كما أن النظرية ليست قانوناً... النظرية تشرح أو يمكن أن تتنبأ بشيء في "عدد" من الحالات، ولكن القانون يشرح شيئاً في كل حالة أي أن القانون هو التعميم على مختلف الحالات، وهناك العديد من القوانين التي تم اكتشافها لشرح ظواهر في العلوم الطبيعية، ولكن ذلك ليس شأننا في العلوم الاجتماعية ومن أمثلة قوانين العلوم الاجتماعية قانون تناقص العائد Law of Diminishing Return حيث يدلنا هذا للقانون الاجتماعي على أن زيادة تطبيق عامل الإنتاجية (الأرض/ العمل/ رأس المال) سيؤدي إلى زيادة العائد ولكن ذلك يحدث إلى نقطة معينة.. وبعد ذلك يمكن أن يحدث العكس إلا إذا رادت عوامل أخرى لوضع الأمور في نصابها من جديد

وهناك فرق بين النظريات القوية والنظريات الضعيفة، فالأولى يمكن استخدامها في التنبؤ والثانية يمكن استخدامها في التشرح: كما أن لقوى النظريات يمكن التعبير عنها كمياً وليس نوعياً.

كما يعمل جميع العلماء داخل الأطر Paradigms والأطر هي طرق للتفكير عن المادة الموضوعية والتي يشتركون فيها مع الآخرين وهذه تشمل الافتراضات أو المعتقدات Assumptions والمفاهيم المشتركة Conceptualisations والقيم والاتجاهات والمعتقدات.. وتظهر مزايا الأطر

في منع العلماء من تضيق جهودهم ووقتهم على مشكلات ليسوا معديين أو مؤهلين لحلها.. أي أن الأطر في هذه الحالة تفتح للطريق أمام التخصص.

ب- صحة البحث والموثوقية Validity and Reliability

يعتبر البحث صحيحاً Valid عندما تكون النتائج حقيقية وصائفة ويعتبر البحث صلاً موثقاً فيه عندما يكون بالإمكان تكرار الوصول لنفس النتائج، كما أن للصحة والثقة مطلوبان للبحث في التصميم وفي القياس، والقياس يتم عندما يصع الباحث الأرقام أو غيرها من الرموز للنصائح أو المتغيرات الامبيريقية..

هذا وهناك جوانب عديدة للصحة فهناك صحة الاستمرار والاتفاق Concurrent وصحة للتنبؤ Predictive، ونخشي بصحة الاتفاق أو صحة الاستمرار مدى اتفاق القياسات مع قياسات أخرى ثبتت صحتها، فضلاً عن أن هذه الصحة تعكس القدرة على التمييز بين فئات الناس المعروفة باختلافها، وعلى سبيل المثال، فالباحث الذي يدرس قراءة الصحيفة بين كل من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس يعرف مقدماً أن هناك لاختلافات سبق إثبات صحتها بين الجماعتين بالنسبة للاستخدام، وإذا حدث أنه أظهرت نتائج دراسته تشابهاً بين الجماعتين فمعنى ذلك أنه كل يقى شيئاً آخر غير الاستخدام.

أما الصحة للتنبؤية فتدل على مدى استطاعة أداة القياس تمييز الاختلافات التي يمكن أن تظهر في المستقبل، فالباحث المتمرس يمكن أن يتنبأ بأن النسبة العالية من الذين استجابوا للاستبيان مثلاً هم من المسجلين في الدراسات العليا.

هذا والقياس يعتبر موثقاً فيه إذا كان الخطأ في الدراسة صغير بطريفة معقولة، خصوصاً وأن هذا الخطأ لا يتجنب كثيراً من ملاحظة إلى أخرى، أي أن للموثوقية يمكن تعريفها بأنها الدرجة التي يتم فيها القياس بدقة وانتظام، أي أن تكون حالة من أخطاء القياس.

جـ عن الاستنباط والاستقراء واكتشاف المعرفة:

من أين نبدأ؟ نحن نبدأ بفهم طبيعة اكتشاف المعرفة كما أن الهدف الرئيسي للبحث الأساسي Basic Research هو اكتشاف المعرفة الجديدة . وإذا رجعنا لتاريخ البحث العلمي تبين لنا أن الباحثين على مر التاريخ قد لجأوا إلى المنطق الاستنباطي أو استخدام التعليل الاستقرائي Deductive logic or inductive reasoning والاستنباط هو المنطقية المبهجة التي وضعها أرسطو حيث يبدأ الباحث بمقدمة متفق عليها (الناس جميعاً يموتون/ محمد من بين الناس/ محمد مات) وصدق النتائج هنا ينبع من صدق المقدمات الموصوعة وهي هنا (الناس جميعاً يموتون)، وبالمقابل فإن التعليل الاستقرائي يبدأ من بعض الحقائق الجزئية أي أن الباحث هنا يبدأ من أن محمداً قد مات، ثم يلاحظ أن هناك رجالاً كثيرين يموتون، ومن هنا يمكن أن يقرر الباحث أن كل الرجل الذين قام بملاحظتهم يموتون ويصل إلى النتيجة بأن، "كل الناس يموتون"

وأهم العيوب الواضحة في هذه الطريقة الأخيرة هو استحالة ملاحظة جميع الأحوال التي تدعم هذا التعميم الاستقرائي ومن هنا كان التركيز على أحد عينة ممثلة لمجتمع البحث كما أن البعض يرى عيب الاستنباط الرئيسي هو في عدم البدائية، بحقيقة أو مسلمة حقيقية متفق عليها كما أن الاستنباط لا يؤدي إلى حقائق جديدة ولكنه يصل إلى النتيجة انطلاقاً من المقدمة الموصوعة وفي حدودها، ومع ذلك يجب أن نؤكد أن الطريقة العلمية أو المنهج العلمي لا يقتصر على الاستقراء وحده (يسمى البعض Inductive Science) ولكنه يتكامل مع الاستنباط وفي حقيقة الأمر فقد يبدأ الباحث بطريقة شمولية عن الظواهر ويصنع بعض التساؤلات أو الفروض (الحلول المبدئية) ثم يختبر الفروض أو التساؤلات بالأدلة الاستقرائية (الجزئية) وعند ثبوت صحة الفرض يكون هو نفسه النتيجة أو الحل النهائي ومن هنا يصنع العديد من العلماء للمراحل التالية للطريقة أو المنهج العلمي:

أ- تحديد المشكلة. ب- تجميع البيانات اللازمة لحل المشكلة.
ج- وضع فروص مبدئية. د- اختبار الفرض عن طريق تحليل البيانات أو
الأدلة. هـ- الوصول للنتيجة والتعميم.

ويجب في هذه المرحلة التأكيد على أن الفرض Hypotheses يركز
عادة على مسائل واضحة Clear Assumptions يحددها الباحث (مثال:
الجامعة تقوم أساساً بالتعليم = حقيقة مسلم بها، التعليم بواسطة الحاسب الآلي،
يمكن أن يزيد من قدرة أداء الطلاب» فرض يحتاج إلى دليل...) وهنا يتم
للبحث لاثبات ذلك أو نفيه .

كما يجب أن ندرك أن العملية البحثية عملية دائرية Circular In Nature
تحليل الباحث وتفسيره للنتائج التي وصل إليها يمكن أن يؤدي إلى أسئلة
جديدة أو فشل في الإجابة على السؤال الأصلي وبالتالي البدء في البحث من
جديد، والبحث الجديد يفرز مشكلات عديدة إلى جانب حله لبعضها وهذه هي
طبيعة اكتشاف المعرفة.

د- أخلاقيات البحث العلمي:

تعتبر الاخلاقيات ذات أهمية بالغة في مختلف البحوث الاجتماعية
والسلوكية خصوصاً تلك للبحوث التي تتضمن الإنسان، ول سوء الحظ فقط
أصبحت الممارسات الأخلاقية أكثر شيوعاً أو على الأقل أكثر صعوبة في
اكتشافها في السنوات الأخيرة نظراً لحجم وتكاليف وتعقد العديد من الدراسات
المعاصرة.. فضلاً عن صعوبة تحديد المقصود بمفاهيم الممارسات
الأخلاقية، وكما يقول قباحث شارلز جود وزملاؤه (Judd,C.,1991) فإن
قضية الاخلاقية في البحث قد تتركز في النهاية بين الموارنة بين تكاليف
الممارسات المشكوك فيها أمام الفوائد المحتملة للبحث.

هذا وتفترط الحكومة الأمريكية في البحوث التي ترعاها أو تمويلها
بضرورة مراعاة الجامعات بالأبعاد الأخلاقية التي وضعتها مجالس
أي آر بي (IRB) Institutional Review Boards والتي تحتوى عادة على

معايير التوافق مع هذه الأبعاد، كما أصدرت الجمعية الاجتماعية الأمريكية الكود الأخلاقي (Miller, D., 2002) والذي يعطي قصصاً عديدة منها الكفاءة المهنية والأمانة واحترام حقوق الغير والمسئولية الاجتماعية والمعايير الأخلاقية والإفصاح عن مصادر التمويل المالي وغيرها.

الفصل الثاني

كيفية اختيار مشكلة البحث وكيفية التعبير

عنها بالتساؤلات أو الفروض

أولاً: كيف تختار مشكلة البحث؟

يؤكد المشتغلون بالبحث العلمي أن اختيار مشكلة البحث وتحديدّها، ربما يكون أصعب من إيجاد الحلول لها.. كما أن هذا التحديد والاختيار، سيترتب عليه أمور كثيرة منها: نوعية الدراسة التي يستطيع الباحث أن يقوم بها، طبيعة المنهج الذي يتبع، خطة البحث وأوقته.. بالإضافة إلى نوعية البيانات التي ينبغي على الباحث أن يحصل عليها.

إن مشكلة البحث الملائمة يجب أن تكون ذات دلالة وأصالة فضلاً عن إمكانية القيام بدراستها (Feasibility) كما يجب أن يقيم الباحث المشكلة المقترحة على ضوء قدراته وتوفر المعلومات والمتطلبات المالية للمشروع والوقت المتاح والصعوبات الاجتماعية الأخرى التي يمكن أن تواجهه (أحمد بدر، 1998).

أما بالنسبة لخطة البحث فيسعى أن تتضمن ما يلي: بياناً أو عرضاً واضحاً ومختصراً للمشكلة، العرض أو الفروض التي يصعبها الباحث بالنسبة للمشكلة وحلها، اعترافاً بأهمية المشكلة ودلالة دراستها، تعريف المصطلحات الأساسية في الدراسة، الصعوبات التي يواجهها الباحث، ملخصاً للإنتاج الفكري المتعلق بالموضوع، تحليل إجراءات البحث المقترحة.. مع تقدير البرنامج الزمني.. كما قد يطلب بعض المشرفين على البحث تقارير تقدم السبحة Progress Report (من وقت إلى آخر) وذلك لتقييم مدى التقدم في الدراسة والبحث.

وسحاول هما بلى التعرف على بعض جوانب مشكلة اختيار موضوع البحث ومجاليه.

(أ) التعرف على المجال الموضوعي للباحث:

يعتبر الإطلاع على المقالات العلمية لمشورة وعلى تقارير البحوث وعلى الرسائل العلمية للمجارة من شأنه أن يثير الأفكار والاقتراحات الخاصة بالموضوعات التي تتطلب مزيداً من البحوث والدراسة، كما قد توحى البيبليوجرافيات (المنوية/الشهرية..) التي تصدر في معظم المجالات والموضوعات العلمية، توحى للطالب بالموضوعات التي يمكن أن يختارها لدراسته وبحثه.

ومن العسير من غير شك أن يقرأ الطالب مختلف المقالات التي تظهر في هذه البيبليوجرافيات.. ولكن الطالب يستطيع على الأقل أن يكون صورة دقيقة إلى حد كبير عما يقوم به زملاؤه من دراسات في نفس مجاله وتخصصه.. وهذا بدوره يمكن أن يعطيه ويوحى إليه بالأفكار والموضوعات التي يختارها لدراسته.

(ب) حب الاستطلاع الطبيعي كمرشد للباحث إلى المشكلة:

يجب أن يستحود موضوع البحث الذي يختاره الطالب على اهتمامه الشخصي ورغبته الأكيدة في الوصول إلى حل للمشكلة التي اختارها. وغالباً ما يقوم الطالب ببحث الفصل، عندما يكون هو الذي اختار موضوع بحثه بدلاً من أن يكون هذا الموضوع مفروضاً عليه.. إن البحث في هذه الحالة سيكون متعة للطالب فضلاً عن كونه واجباً وسبيلاً إلى تقدمه في عمله.

فالخبرة والمعلومات المتزايدة تدله على مشاكل أكثر عمقاً من تلك المشاكل التي كان على دراية بها عندما كانت معلوماته محدودة في مجاله.

كما يمكن أن نقول بأن الباحث المبتدئ يمكن أن يرتكب خطأ اختيار مشكلة سبقه إليها باحث أو باحثون آخرون وانتهوا إلى نتائج تحيط بمحتلف أبعاد تلك المشكلة.. كما قد يرتكب الباحث المبتدئ خطأ آخر يتمثل في اختيار موضوع عام له نطاق واسع عريض (Far Too Broad In Scope) فقد تستهوي الموضوعات المثيرة للبراقة الباحث المبتدئ، وللأسف فغالباً ما يثبت أن كثيراً من هذه الموضوعات البراقة المثيرة للعريضة المحتوى.. أكبر بكثير من قدرته على معالجتها ودراستها.

ومن الملائم إذن اختيار موضوع أقل اتساعاً وأكثر تحديداً مع دراسته بعمق كافٍ - ذلك لأن الجهد اللازم لحل المشاكل التي تبدو لا أهمية لها من الوهلة الأولى هو جهد ثبت أنه كبير ومضن.

ويجب ألا يتوقع الباحث أن شخصاً آخر سيختار له موضوع البحث، صحيح أن هناك أحياناً مقترحات ممتازة تأتي عن طريق الأستاذ أو الزميل الباحث.. ومن شأن هذه المقترحات أن تفتح عين الطالب على موضوعات جديدة لم يسبق أن فكر فيها.. ولكن كل طالب باحث يجب أن يختار لنفسه في التحليل النهائي، المشكلة التي يرغب في دراستها وبحثها، وإذا لم يقوم الطالب باختيار المشكلة اختياراً حكيماً، فليس من المأمول فيه أن يرضى عن عمله رضا حقيقاً في المستقبل.

(ج) طرق أخرى في اختيار المشاكل:

يحدث أحياناً أن يقرأ الباحث مقالاً يختلف فيه مع مؤلفه اختلافاً عميقاً، وهذا الاختلاف من شأنه أن يؤدي إلى قيام الباحث بدراسة المشكلة التي جاءت في هذا المقال نفسه.. وإلى نشر وجهة نظره بالنسبة لهذه المشكلة، لقد بدأ باحثون كثيرون بدايات طيبة في البحث عن هذا الطريق، أي محاولة إثبات وجهة نظر مخالفة عما هو مشور لباحثين آخرين.. بل وكثيراً ما تظهر اكتشافات جديدة هامة نتيجة لهذه الاختلافات.

(د) ما هي الأسئلة التي ينبغي على الباحث أن يجيب عليها بالنسبة لمشكلة البحث...؟ (أحمد بنر، 1996).

يجب أن يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة تتعلق بمشكلة البحث، تلك لأن إجابته على هذه الأسئلة، سيساعده على تقرير أهمية المشكلة، وبالتالي ما سيقوم ببذله من جهد... وهذه الأسئلة هي:

1. هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث ورغبته؟
2. هل هي مشكلة جديدة؟
3. هل ستضيف الدراسة للمبتدولة إلى المعرفة شيئاً؟
4. هل يستطيع الباحث القيام بالدراسة المقترحة؟
5. هل المشكلة نفسها صالحة للبحث والدراسة؟
6. هل سبق لباحث آخر أن سجل للقيام بهذا البحث؟

ويمكن أن نناقش هذه الاعتبارات فيما يلي...

1- هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث ورغبته؟

لقد سبق لنا مناقشة هذا الجانب، وما نريد أن نؤكد أنه أن البحث في مشكلة لا تحوز على اهتمام الطالب ورغبته.. يمكن أن يؤدي الطالب إلى أكثر ألوان الضجر والضييق.. وعندما تكون الرغبة الحقيقية هي الدافع وراء الدراسة والبحث، فإن ذلك سيؤدي غالباً إلى صياغة مشكلة جديدة باهتمام الآخرين وبالجهد الذي يبذل فيها.

2- هل هي مشكلة جديدة؟

عند تقييم الموضوع لو مشكلة البحث لابد من أن يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة ومن بينها ...

- هل هناك فجوات في المعلومات الخاصة بموضوع البحث وتحتاج إلى استكمال؟

- هل النتائج التي يحتمل الحصول عليها ذات طبيعة نظرية أم لها قيمة عملية مباشرة؟ وماهي الهيئات التي يمكن أن تفيد من البحث؟

وإذا كانت جودة الموضوع تحظى بهذه الأهمية، فمن اللازم أن يقوم الطالب بمراجعة الإنتاج الفكري في مجاله الموضوعي. وذلك حتى لا يكرر بحوثاً سبقه إليها باحثون آخرون. وهذا يستلزم بالضرورة معرفته بالمراجع ومصادر المعرفة والدوريات الكثيفة ودوريات الاستخلاص وكيفية استخدامها: (Abstracting and Indexing Journals)

ويمكن أن تشير إلى أن الموضوع الذي يتخصص تطبيق المعلومات المتوفرة بطريقة جديدة، يمثل بحثاً حقيقياً ومنطقياً، كما قد يكون هدف البحث التحقق من دقة بحث سابق وإثبات صحته أو بطلانه.

3- هل ستضيف الدراسة المبنونة إلى المعرفة شيئاً؟

لا تسمى أي أهمية جميع مشكلات البحث، والمشكلة العادية أو البديهية يمكن أن تؤدي فقط إلى إسهام متواضع وقليل في مجال البحث، ولهذا السبب فيجب التمييز في موضوع البحث للتعرف على مقدار أهميته وبالتالي درجة إسهامه في المعرفة الإنسانية.

4- هل يستطيع الباحث القيام بالدراسة المقترحة؟

يجب أن يأخذ الباحث في اعتباره استعداده التعليمي العميق والمصادر المادية والوقت المتاح. أي أن تكون له القدرات والمهارات والمعلومات المتخصصة اللازمة لبحث المشكلة وأن يكون لهذا البحث الذي اختاره مشرف أو لجنة إرشاده فضلاً عن ضرورة توفر المراجع أو أكبر قدر منها سواء بالمكتبة أو عن طريق الإنترنت.

وكثيراً ما يقوم الباحث بمشروعات بحث ثم يتبين له عند تحليله للبيانات عدم تمكنه من المهارات الضرورية الاحصائية اللازمة لاستكمال دراسته على الوجه الأكمل.

وعلى ذلك فمن الواجب أن يقوم الباحث قبل بدء المشروع بدراسة مبدئية (Tentative Study) لتحديد أشكال البيانات والمعلومات المطلوبة وطرق معالجتها. وإذا لم تتوفر لديه المهارات اللازمة أو لم يستطع اكتسابها خلال الزمن المتاح له، كل عليه أن يترك موضوع البحث إلى موضوع آخر يستطيع أن يقوم به.

5- هل المشكلة نفسها صالحة للبحث والدراسة؟ Is it Feasible

إذا كان هناك العديد من المشاكل الصالحة للبحث والدراسة، فإن هناك السوء الحظ وبناء على الوضع الحالي للمعرفة- مشاكل عديدة لا حل لها بالنسبة للعلوم الاجتماعية، أو عدم إمكانية إيجاد بدائل وأولويات بالنسبة لها.

أي أنه عندما لا توجد طريقة مقبولة لحل المشكلة أو لإيجاد البدائل والأولويات في العلوم الاجتماعية وعندما لا يستطيع الباحث أن يجد الأداة أو الوسيلة التي تمكنه من البحث فإن المشكلة نفسها يجب أن تنحى جانباً والبحث عن مشكلة أخرى. كما أنه عند عدم توفر المراجع والكتب والمصادر الأساسية فإن هذه المشكلة يجب أن تنحى أيضاً والبحث عن المشكلة التي تتوفر لها المصادر والمراجع بأعداد مناسبة.

6- هل سبق لباحث آخر أن سجل للقيام بهذا البحث؟

إن أخلاقيات البحث تتطلب من الباحث ألا يتعدى على زملائه في هذا الصدد بمعنى أنه إذا كان أحد زملائه قد سجل مشكلة معينة للبحث فيها، فيجب أن يكون لهذا الباحث الآخر أولوية القيام ببحث هذه المشكلة إلا إذا تم ذلك بمعرفته الكاملة وبإذن منه أحياناً.

ويمكن اتباع القواعد التالية عند تحديد المشكلة بشكل نهائي...

1. كن واثقاً من أن الموضوع الذي اخترته ليس غامضاً أو عاماً بدرجة كبيرة.

2. يمكن أن تجعل مشكلة البحث أكثر وضوحاً، إذا قمت بصياغتها على هيئة سؤال يحتاج إلى إجابة محددة.
- 3 وضع حدود المشكلة، مع حذف جميع الجوانب والعوامل التي سوف لا يتضمنها البحث أو الدراسة.
4. عرف المصطلحات الخاصة التي يجب استخدامها في دراستك - وذلك في حالة احتمال وجود لبس أو سوء فهم أو تفسير متباين لبعض المصطلحات.

هذا ويمكن بلورة مشكلة للدراسة في عدد من التساؤلات أو الفروض والتي ستكون النتائج إجابة على هذه التساؤلات، أو نتيجة لاحتبارات الفروض بالدليل (الدليل التاريخي مثلاً عند اتباع المنهج التاريخي والدليل التجريبي مثلاً عند اتباع المنهج التجريبي وهكذا).

والأسئلة التي يمكن طرحها عن العالم المحيط بنا أسئلة لا حدود لها ونكس أين نبدأ وكيف نقرر مدى أهمية السؤال؟ القواعد التالية يمكن أن تساعدنا على ذلك:

أ- التركيز على أكثر الحقائق عمومية؛

الحقائق التي ستزودنا بإجابة على أكبر عدد من الأسئلة هي بصفة مبدئية الأكثر فائدة، أي الأسئلة ذات النطاق الأوسع أي الأكثر فائدة للعلم والمجتمع.

ب- البداية بالحقائق الأوسع نطاقاً،

مثل هذه الحقائق ستخدم كمرشد لجذب اهتمامات الباحثين ثم التعرف على هذه الحقائق للتعرف عن طريقها لما يمكن تسميته بالمتغير الإطارى Frame Process Variable أي أننا نطرح إلى الحقائق ذات النطاق الأوسع الإطارية ثم الحقائق الجزئية ذات الدلالة.

ج- البداية مع الاستقراء Induction

عندما تكون الظاهرة أو التساؤل في المهد قليل من هناك نظريات علمية نستطيع أن نستخدم معها الفروض وبالتالي فالبحث يبدأ بالاستقراء للحقائق.

د- وضع الفروض والنظريات

عند اكتمال الإطار الخارجي والخصائص المركزية، عندئذ يمكن وضع التخمينات المحسوبة Calculated guesses عن التفاصيل التي تربط بين الإثنين .. والتخمينات المحسوبة هي الفروض Hypotheses واختبارها بالبيانات يؤدي إلى الوصول إلى حل أو نظرية.

ثانياً: طبيعة الفروض والعناصر المتصلة

بوضع الفروض والنظريات الصليمة

أ- تعريف الفرض،

يعرف الفرض بأنه تخمين أو استنتاج نكي بصوغه ويتنبأ الباحث مؤقتاً لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر .. ويكون هذا الفرض كمرشد له في البحث والدراسة التي يقوم بها..

ويمكن أن يشبه الفرض الذي يضعه الباحث في دراسته، بالرأى الذي يعتقه الشخص العادي في حياته اليومية.. فعلى الرغم من أن الحقائق تعتبر مقدمة لكل منهما إلا أن الفرض وحده -كقاعدة- هو الذي يتم اختبارها من خطوات البحث التالية بالبيانات والمعلومات ومريد من الحقائق..

ومن العسير أن نرسم خطاً فاصلاً حاداً بين كل من الفرض والنظرية .. والفرق الاساسي بينهما هو في الدرجة لا في النوع .. فالنظرية في مراحلها الأولى تسمى "الفرض" وعند اختبار الفرض بمريد من الحقائق بحيث يتلاءم الفرض معها، فإن هذا الفرض يصبح نظرية.. أما للقانون فهو يمثل النظام أو العلاقة الثابتة التي لا تتغير بين ظاهرتين أو أكثر.. وهذه للعلاقة الثابتة

الضرورة بين الظواهر تكون كذلك تحت ظروف معينة.. ومعنى ذلك أن القوانين ليست مطلقة.. ولها محددة بالظروف المكثية أو الزمانية أو غير ذلك. كما أن هذه القوانين تقريبية بمعنى أنها تكل على مقدار معرفة الباحثين بالظواهر التي يقومون بدراستها في وقت معين.. وبالتالي فمن الممكن أن تستبدل القوانين القديمة بقوانين أخرى جديدة أكثر منها دقة وإحكاماً.

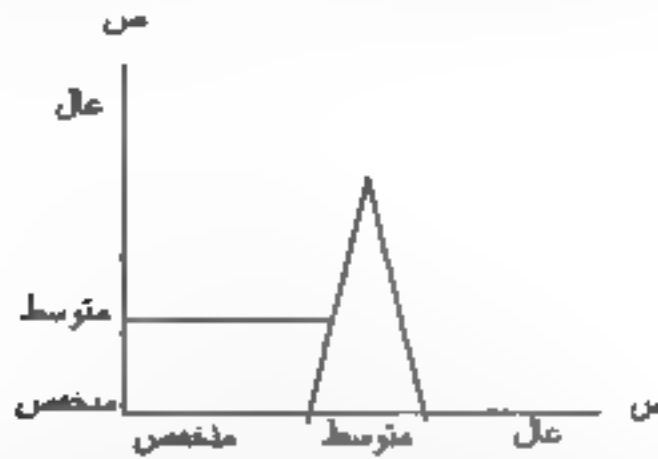
وعلى ذلك فإذا أردنا أن نتعرف على أصل كلمة الفرض (Hypothesis) في اللغة الإنجليزية فسجدها تتكون من مقطعين: هيبو (Hypo) ومعناها شيء أقل من أو أقل ثقة من الأطروحة (Thesis) أي أن الفرض (Hypothesis) يعتبر تخميناً معقولاً مبنيّاً على الدليل الذي يمكن الحصول عليه عند وضع هذا الفرض.. وغالباً ما يصعب الباحث عدة فروض أثناء دراسته، حتى يستقر آخر الأمر، على واحد من الفروض التي يراها مناسبة لشرح جميع البيانات والمعلومات.. وهذا الفرض النهائي يصبح فيما بعد النتيجة الرئيسية التي تنتهي إليها الدراسة.

وقد قام الباحث هيلوى (Hillway, T., 1964) بالتمييز بين المصطلحات التالية: الفرض - النظرية - القانون - التعميم - النتيجة.. هذه المصطلحات تعنى جميعها نفس الشيء تقريباً.. ذلك لأنها تتصل بحل المشكلة بناء على الدراسة والبحث، وإن كان هناك فرق بين هذه المصطلحات يتمثل في أن الفرض يعتبر التخمين المؤقت المعقول، أما النظرية فهي العرض النهائي، والذي يمكن الدفاع عنه بالأدلة المتجمعة.. وإلى كل التمييز بين الفرض والنظرية - على اعتبار الأخيرة ذات أدلة أكثر أو ثقة أكبر - هو أمر سببي من غير شك، وذلك نظراً لأن المعلومات التي يمكن الوصول إليها تكون حاصصة - طبقاً للطريقة العلمية - للمراجعة بناء على البيانات الجديدة أو الحديثة.. ومعنى ذلك باحتصار أن النتيجة التي يصل إليها الباحث بالطريقة العلمية - لا تعنى بالضرورة، أنها الحقيقة الثابتة النهائية، التي لا تقبل الجدل والمراجعة.

بـ شروط الفروض والنظريات السليمة

- الوضوح والايجاز ويتم ذلك بوضع التعريف الاجرائية Operational المناسبة لجميع المفاهيم الداحلة في قرص البحث.. ويستعين الباحث عادة بالانتاج الفكري أو رأى الخبراء للوصول إلى التعريف أو التعريف الذي يرتضيه في بحثه.
- الشمول والربط: أى اعتماد الفروض أو النظريات على جميع الحقائق الجزئية المتوفرة، وأن يكون هناك ارتباط بين الفرض وبين النظريات التي سبق الوصول إليها ، ولـى تفسر الفروض لكبر عدد من الطواهر.
- أن تكون الفروض قابلة للاختبار: فالفروض الفلسفية والتضاييا الأخلاقية والأحكام القيمية يصعب بل يستحيل اختبارها في بعض الأحيان.
- الفروض العلمية لا تتلون بالقيم Values: أى أن القيم التي يؤمن بها الباحث ليس لها مكان في الطريقة العلمية.. وعلى كل حال ففي العلوم الاجتماعية حيث يكون الباحث متأثراً بالمجتمع المحيط به، يجب عليه أن يكون واعياً بالسبب للقيم التي يدين بها وأن يجعل ذلك واضحاً على قدر الإمكان في دراسته.
- أن تكون الفروض خالية من التناقض: أى ألا تتناقض بعض أجزاء الفرض مع أجزاء أخرى منه.
- أن يعتمد الباحث على مبدأ الفروض المتعددة: فيضع عدة فروض محتملة بدلاً من فرض واحد.
- يجب أن تكون الفروض محددة Specific: أى أن يوضح الباحث العلاقات المتوقعة بين المتغيرات وكذلك الظروف المحيطة بهذه العلاقات، وعلى سبيل المثال فإن الفرض الذي يشير إلى أن "م" له علاقة بـ "ص" يعتبر فرضاً عاماً بدرجة كبيرة ولا يؤدي عادة إلى تنبؤات محددة . فالعلاقة بين "م" "ص" يمكن أن تكون سلبية أو إيجابية

... كما أن العلاقات بين المتغيرات يمكن أن تكون أكثر تعقداً كما هو الحال في الشكل التالي:



فالتغيرات في القيم المنخفضة "س" لا تؤدي إلى أي تغييرات في قيم "م"، والتغيرات في القيم المتوسطة "س" تؤدي إلى زيادة في قيم "م"، والتغيرات في القيم العالية "س" تؤدي إلى تغيرات هابطة في قيم "م" (علاقة سلبية) ولحيراً فعلى الباحث أن يكون واعياً إلى أن العلاقات بين المتغيرات في العلوم الاجتماعية عاقت ليست مستقلة عن الزمن وعن المكان بل وعن وحدة التحليل ذاتها.

- توفير الطرق المناسبة لاختبار الفروض: ذلك لأن الباحث قد يصل إلى الفروض الواضحة والمحددة والبعيدة عن القيم .. ثم يجد أنه ليس هناك من وسيلة لاختبار هذه الفروض وعلى سبيل المثال كيف يمكن أن تختبر الفرض الذي يشير إلى أن الميكروب "س" له علاقة إيجابية بالنسبة للمرض "م" دون يتوفر لدينا الميكروسكوب؟
- هل الفرض أمر ضروري دائماً؟

إذا كان العرض من الدراسة هو مجرد الحصول على الحقائق وحدها (Fact- Finding) فقد لا يكون هناك إلا فائدة قليلة للعرض... أي أن الباحث الذي يريد معرفة تاريخ بلد معين أو حياة أحد الزعماء أو الوصف الحالي لمرتبات المعلمين مثلاً، فإن عمله سيتضمن بصفة كلية تحديد الحقائق.

ويصدق نفس الشيء على من يحاول تجميع بيلوجرافيا شاملة أو غير ذلك من القوائم والفهارس ... أى أن الحصول على الحقائق وحدها لا يتطلب وجود فرض معين.

ولكن معظم البحوث والدراسات تتضمن، فضلاً عن الحصول على الحقائق، تفسير هذه الحقائق.. أى أن البحث الذي يجمع حقائق عن صناعة معينة أو حزب سياسى معين، لا يكتفى بمجرد التجميع بل هو يستخلص النتائج من هذه الحقائق. أى أنه 'يعمم' بشأن ما يمكن أن تعلمنا إياه هذه الحقائق.

وعادة لا تقبل الجامعات الأطروحات لدرجة الدكتوراه مثلاً، إذا تضمنت فقط تجميع الحقائق دون وجود الفرض أو التعميم، بناء على تفسير الباحث ونتائجه. وإن كان من الممكن قبول الرسائل الأدنى من ذلك، والتي تتضمن تجميع الحقائق والحصر عليها فقط.

ملخص

أولاً: عن الفرض والنظرية :

يمكن أن نعتبر الفرض:

أ- النظرية أو التعميم أو النتيجة (الفرض النهائي) الذي ينتج عن دراسة المشكلة من المشاكل.

ب- التخمين المؤقت الذي يصعبه الباحث في بداية بحثه لإرشاده في البحث والحصول بعد ذلك على المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع البحث والفرض "النهائي" .. أو النظرية التي يتم الوصول إليها في دراسة علمية لا يمكن اعتباره حقيقة نهائية" وذلك لأن الفرض النهائي يمثل فقط الفصل إجابة يمكن الحصول عليها مع البيانات والمعلومات المتاحة.

ويمكن أن تحل نظرية الفصل محل هذا الفرض فيما بعد... إذا لم يستطع هذا الفرض أن يجرى اختبار الرمز أو الاكتشافات الحديثة.

وأخيراً فينبغي أن نشير إلى أن الفرض أو النظرية التي يختارها الباحث بصفة نهائية بعد دراسة عميقة ودقيقة، ويستعد للدفاع عنها - يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

أ- يجب أن تكون قائمة على شرح جميع المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع.

ب- يجب أن تتفق مع ما يسمى بقانون الاقتصاد والبساطة في شرح الظواهر والمعلومات (Law of Parsimony) أي أن هذه النظرية تشرح المعلومات بطريقة أكثر بساطة من غيرها من النظريات.

ج- يجب أن تكون دقيقة بحيث تصدق للتنبؤات المبنية عليها.

د- يجب أن تكون مساعدة وموحية بمزيد من الاكتشافات الجديدة في هذا المجال.

وعلى الرغم من أن الفرض لا يكون ضرورياً في الدراسة التي تهتم فقط بتجميع الحقائق والوصول إليها، إلا أن الفرض لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة للأطروحات والبحوث العلمية الرئيسية.

ثانياً: هل الطريقة العلمية أو المنهج العلمي هو سبيلنا الوحيد للوصول إلى الحقيقة ؟

لا أحد يستطيع أن يزعم بأن الطريقة العلمية هي وحدها السبيل إلى الوصول إلى الحقيقة. فهي أداة ملائمة للكشف عن الحقيقة الموضوعية، وعلى ذلك فإن البحث العلمي يمكن أن يدلنا على ما يعتقد الناس - أو كيفية هذا الاعتقاد - بالنسبة لقضايا اجتماعية معينة.. ولكنه لا يدلنا على ما يجب أن نؤمن به ونعتقد ولا يدلنا على الكيفية التي يجب أن يكون عليها سلوكنا. وكل ما يمكن أن نأمل فيه عندما نمد الطريقة العلمية إلى المجالات غير العلمية Non- Scientific Fields هو إننا نقوم بتثبيت وترسيخ الحقيقة كلما أمكن وعرضها بموضوعية وبالتالي يمكننا توسيع الاتفاق العقلاني بين الدارسين وجعل فهمنا أكثر أصالة. فضلاً عن إرساء دعائمها بشكل أكبر في المجالات التي نستطيع تحقيقها وتثبيتها..

إن الحقيقة التي يتم اكتشافها بالبحث لا تكون بالضرورة الحقيقة كلها أو الحقيقة النهائية عن الحياة وعن الكون.. وكلما اكتشفنا حقائق جديدة وقمنا بصياغة نتائج جديدة.. فإن معارفنا تزيد وتراجع بصفة دائمة.

وأخيراً، ينبغي أن نؤكد على أن البحث أصبح مفصلاً عن غيره من الطرق التي تريد من معارفنا ذلك لأنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن البحث يؤدي بنا إلى نتائج أفضل وإلى نتائج أكثر دقة من غيره من الطرق.. ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن البحث سيحل جميع المشاكل الإنسانية.

ثالثاً. مراجعة مختصرة لطرق الحصول على المعرفة

1- الخبرة: وهذا المدخل يسميه البعض بالأمبيريقية Empiricism ويعتبر البعض أن الخبرة هي طريق موثوق فيه للوصول للمعرفة ، ولكن التعلم عن طريق الخبرة وحدها، طريق مخوف بكثير من المحاولة والخطأ Trial and error وهناك إمكانية أن تكون النتائج التي يصل إليها الفرد عن طريق الخبرة بالنسبة للشخص نفسه ولكنه ليس صحيحاً ولا يسحب على الآخرين.

2- الاعتماد على مصادر الثقة: عندما يصيبنا المرض فنحن نلجأ للطبيب نتبع نصائحه وتعليماته لاجتياز الخطر، ولكننا تعلمنا من الأطباء هم بشر أولاً وأخيراً، يحطنون ويصيبون، وليس هنا مجال لمرد النتائج الخطيرة لأخطاء الأطباء، ومنذ مئات السنين كانت هناك مصادر الثقة الدينية حيث يذهب الناس إلى أن الأرض هي محور الكون، ولكن الاكتشافات التي أحرزها كوبرنيكوس بينت أن الأرض هي كوكب يدور حول الشمس، وخاف كوبرنيكوس من انتقام الكنيسة نتيجة آرائه ولم ينشرها إلا بعد حين، ومن ناطة القول أن الكثيرين من الناس ظلوا يدينون بالولاء والثقة بأهل الكنيسة وفي حالتنا السابقة كما هي حالات أخرى في مختلف الأدبيات ثبت أن هذه الأمور العلمية للديوية لا يصل لها أهل الثقة من رجال الدين.

3- العلم : العلم هو وسيلتنا الأساسية للمعرفة فهي الطريقة التي تتبع الملاحظة المنهجية وليس الملاحظة العابرة، والعلم يجمع بين الأمبيريقية مع التفكير المنطقي والسعي دائماً - باستخدام الأدوات والأجهزة العلمية والتجارب - إلى الوصول إلى دقة للملاحظة والنتائج.

رابعاً: أهداف العلم:

أ- الشرح Explanation :

يصع الشرح للظواهر في إطارها الأوسع والعلماء يحتاجون دائماً إلى أفضل الشروحات التي تفسر لنا أسباب حدوث الأشياء وعلى سبيل المثال لا الحصر ففي بحوث تأثير الصحافة والإعلام، يرى بعض "الباحثين" في المجال أن زيادة ميل الناس نحو العدوانية يعود إلى صور العنف الواردة في للصحافة والتلفزيون وغيرها، ويرى آخرون أن زيادة الإثارة الفسيولوجية الناتجة عن التعرض لصورة العنف تعتبر مبرراً للسلوك العدواني، وهناك شروحات أخرى عديدة تحاول الإجابة على العلاقة السببية بين العنف في وسائل الإعلام والسلوك العدواني .. ولكننا بعد هذا كله يجب أن نفكر وأن نشرح لماذا يحب الناس في "مختلف الأعمار" العنف في وسائل الإعلام.

ب- الفهم Understanding

الشرح الجيد يمدنا بالفهم السليم وعادة ما يتصل الفهم بالمعرفة لتتابع الأحداث السببية التي تكشف عن جوانب الظاهرة، إحدى ديناميكيات العلم هي للطلب المستمر لتحقيق مستويات أعلى من الفهم.

ج- الضبط Control

بمساعدة الشرح والتفسير والفهم على الوصول لضبط العوامل الداخلة في الظاهرة ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن عملية ضبط المتغيرات الداخلة في الظاهرة هي إحدى الخصائص المميزة للبحث في العلوم الطبيعية ولكن حصر للمتغيرات الداخلة في الظاهرة الاجتماعية تكون أكثر صعوبة.. ولعل ذلك يعكس إمكانية بل و دقة الوصول إلى حلول في بحوث العلوم الطبيعية والوصول فقط إلى بدائل alternatives وأفضليات Choices في العلوم الاجتماعية.

د- التنبؤ Prediction

لعلنا في نهاية المطاف أن نصل إلى إمكانية التنبؤ بعد الشرح والتفسير والفهم ومبسط المتغيرات، والتنبؤ في مجالات العلم الطبيعي واضحة فجدول الدوريات Periodic Table الحاصل بالعناصر وترتيبها الكيميائي حسب عدد الذرات جعل بعض العلماء يتنبأون بعلم وتخصصات جديدة تم اكتشافها في المستقبل، ولا يصدق هذا التنبؤ بعض الدرجة على العلوم الاجتماعية، كما لا يصدق هدف المبسط أيضاً على العلوم الاجتماعية، ذلك لأن حصر المتغيرات الداخلية في الظاهرة الاجتماعية أكثر صعوبة من حصر المتغيرات الداخلية في الظاهرة الطبيعية، وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نعرف إحدى المتغيرات في العلوم الاجتماعية لنعرف مدى تأثيرها.

الفصل الثالث

الصحافة مهنة المهن : اتجاهات وتكامل

بحوث علوم الإعلام مع العلوم الأخرى

أولاً: نظرة بيوجرافية للمؤلف عن دحوله مجال الصحافة والإعلام والمعلومات:

الصحافة مهنة المهن.. هي عبارة كل يرددها علينا أستاذنا الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة، في محاضراته السياسية على طلاب الصحافة في معهد التحرير والترجمة والصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة في بداية الخمسينيات، وكان ذلك باباً من قناعاته بأن الصحافة بمصاها للواسع الذي يشمل الإذاعة والتلفزيون لا تخدم كل المهن فحسب، ولكن الإعداد الأكاديمي للصحفي لهذا السبب يجب أن يتناول علوم الإعلام مع خلفية ضرورية في الإنسانيات كاللغتين العربية والانجليزية وفي العلوم الاجتماعية كالجغرافيا السياسية والعلوم السياسية وفي القوانين كالقانون الدستوري والقانون الدولي والقانون الجنائي (في الجانب المتمثل بحرائم الصحافة والنشر) وغيرها، وهذه فعلاً هي العلوم التي كانت تدرس بالمعهد وهي التي تدرس حالياً بتوسع في كليات وأقسام الإعلام المعاصرة.

لقد كانت الدراسة في معهد للصحافة دراسة عليا حيث يقبل في الدراسة الخريجون من جميع التخصصات والكليات الجامعية، وكنت من بين المقبولين -وأنا خريج من كلية العلوم- وكان من بين زملائنا أيضاً مجموعة كبيرة نسبياً من خريجي الكليات العسكرية (صباط أركان حرب)، ولعلنا نذكر أن صلاح جلال نقيب الصحفيين السابق كان من خريجي كلية العلوم، كما تولى خريجوا معهد الصحافة من العسكريين رئاسة تحرير بعض الصحف المدينية والعسكرية، وبعض خريجي المعهد تقدم مباشرة للحصول

على درجة الدكتوراه (والدبلوم العالي للمعهد ثلاث سنوات معادل للماجستير) وأصبحوا أعضاء في هيئة التدريس بمعاهد وكليات الإعلام.

وبحضرني في هذه المناسبة - أي قبولي بمعهد الصحافة - امران أولهما أنه فتح شهيقي العلمية لدراسة العلوم السياسية بمعهد العلوم السياسية التابع لكلية الحقوق بجامعة القاهرة في المبنى المقابل لكلية الآداب جامعة القاهرة حيث كنا ندرس علوم الإعلام والصحافة.

وقد كنت أوراقي للدراسة بمعهد العلوم السياسية وكان رئيسه أ.د. أحمد سويلم العمري في ذلك الوقت الذي استدعاني لسحب أوراقي من التقدم لمعهد العلوم السياسية، فقلنا هذا المعهد يقبل فيه خريجا الكليات النظرية وليس كلية للعلوم أو الطب أو غيرها.. وبدرته قلنا.. سيادة الدكتور.. أنتم تشرطون النجاح في الامتحان الذي تعقدونه للمتقدمين للمعهد.. وبالتالي فسوف ترفضون طلبى إذا رسبت، فكل رده على .. لا سترفض طلبك حتى في حالة نجاحك في امتحان القبول .. لقد كنت هذه الواقعة سببا مباشرا لإصرارى على دراسة العلوم السياسية (والعلاقات الدولية بالذات) كجزء من استكمال دراستى للدكتوراه في جامعة كيم وسترن ريزرف بأمريكا، وبالتالي كنت أول من ألف كتابا بالوطن العربى عن "الإعلام الدولى" وقت بتدريس هذا المقرر بقسم العلوم السياسية بجامعة الكويت (1970-1975) وتدريسه مع رأى العام أيضا بكلية الإعلام بجامعة القاهرة (1976-1978)، وصدر كتابى عن الصحافة للكويتية Global Journalism عام 2007م.

أما الأمر الثانى المرتبط بقبولى للدراسة بمعهد الصحافة بجامعة القاهرة، هو أن المعهد يشترط للتدريب العملى، وسألت أ.د. الأكر وكيل وزارة الإعلام في ذلك الوقت، لى يدبر لى أمر هذا التدريب العملى، وعملت بناء على توصية العديد من زملاء أ.د. بورلرة الإعلام - بمجلة آخر ساعة كمندوب صحفى "علمى" تحت إشراف الصحفى النابه أ. محمد حسنين هيكل

وكانت الأهمية الصحفية المبكرة للأستاذ هيكل واضحة للكثيرين في ذلك الوقت (1952/1953) .

وإذا كان عملي كمندوب صحفي علمي يتطلب جميع الأخبار عن المؤسسات العلمية المصرية، فقد كان لقايتي بالأستاذ الدكتور أحمد زكي رئيس معهد فؤاد الأول الأهلى للبحوث ومدير مكتبه أ. عادل أحمد ثابت^(*) نقطة تحول جذرية في حياتي العملية والأكاديمية وكان الأستاذ عادل نفسه يعمل مديراً لمركز المخابرات العلمية بالمركز القومي للبحوث، وكان معه خبراء هيئة اليونسكو الدولية للتوثيق العلمي، وهم الذين رشحوني للعمل كأول أمين مكتبة علمي للمكتبة المركزية للعلوم والتكنولوجيا، وعقب ذلك تم ترشيحي لبعثته ليونسكو للدراسة والتدريب في مراكز التوثيق والاتصال العلمي بهولندا والسويد والنرويج وفرنسا وبعدها رشحتني الحكومة المصرية لدراسة التوثيق والمعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية واستمر عملي في المكتبات والتوثيق والمعلومات والإعلام بعد ذلك بالمركز والجامعات العربية حتى الآن لمدة تزيد على الخمسين عاماً.

ثانياً: التكامل المرفق في بحوث علوم الإعلام:

1/2 تقديم

لقد بلغت المجالات الموضوعية التي تتكامل مع علوم الإعلام حوالى (25) موضوع، طبقاً لما جاء في النوريات الأجنبية التي سيشير إليها الباحث في الوحدة الأخيرة من هذا الكتاب، ومن بين الموضوعات المشمولة ما يلي:

(*) الأستاذ عادل أحمد ثابت حصل على ماجستير من كلية العلوم بالاسكفة إلى أنه خريج معهد التحرير والترجمة والمصحفة جامعة القاهرة، وقد تفتك أ. عادل مع اللغة حمل خبراء اليونسكو في مجال التوثيق العلمي وترك أ. عادل الفصل وجاء بعده الدكتور أحمد كاش الذي كان يعمل استاذاً مساعداً لتقريباً بكلية طب جامعة القاهرة - ليتولى إدارة المركز القومي للإعلام والتوثيق بوزارة البحث العلمي.

*الانثروبولوجيا *العلوم السلوكية *بحوث التربية والتعليم *علم النفس
 *العلوم السياسية *الاتصال *بحوث ليليل Speech *الاتصال التعليمي
 *القانون *الدراسات النقدية لبحوث الاتصال الجماهيري *بحوث الاتصال
 الإنسانية *بحوث الميديا المتداخلة *الإعلام *بحوث الاتصال التطبيقي
 *الاذاعة والميديا الالكترونية *بحوث التسويق *تاريخ الصحافة *الثقافة
 والمجتمع *الاتصال السياسي والاستمالة Persuasion *الثقافة العامة *الرأى
 العام *العلاقات العامة *العلامات وثقافة المجتمع *الاتصال عن بعد
 *النظرية والمجتمع *الاتصال المكتوب.

هذا بالإضافة إلى موضوعات علمية ذات طبيعة محلية ثقافية مثل
 الإسلام وعلوم الإعلام ومن بين الكتب والدراسات الهامة المتعلقة:

- محسى الدين عبد الحليم (1984) الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية.
 القاهرة: مكتبة الخانجي
- محسى الدين عبد الحليم (1990) الرأى العام في الإسلام ،ط2. القاهرة :
 دار الفكر العربى
- عبد العزيز شرف (1998) الإعلام الإسلامى وتكنولوجيا الاتصال
 القاهرة: دار نهاء للطباعة والنشر والتوزيع، 144ص.
- محمد منير حجاب (2003) الإعلام الإسلامى : المبادئ. النظرية
 التطبيق. القاهرة : دار للعج للنشر والتوزيع.

هذا بالإضافة إلى الابتكارات الهندسية والمعملية في الأكاديمية الدولية
 للهندسة وعلوم الإعلام التي ترأسها الإعلامية للبلهة أ.د. مى الحديدى(*)
 حيث تضم شعبة علوم الإعلام (الإنتاج الإذاعى والتليفزيونى والإنتاج

(*) جاءت بعدها أ.د. ملهى الطوائى- عميدة كلية الإعلام بقاهرة سابقا.

السيميائي والإنتاج الإعلاني والوسائط المتعددة والإنترنت إلى جانب علوم
شعبة هندسة الإعلام.

لقد حدد سمير محمد حسين في كتابه ³الإعلام والاتصال بال جماهير
والرأى العام* المجالات التالية لبحوث الإعلام.

أ - بحوث تستهدف توفير معلومات وبيانات عن العوامل والمتغيرات المؤثرة
في الإعلام والاتصال بال جماهير.

ب- بحوث تستهدف التعرف على اتجاهات جمهور المستفيدين.

ج- بحوث تستهدف التعرف على خصائص الوسائل الإعلامية والقائمين
بالاتصال وأساليب الممارسات الإعلامية.

د- بحوث تستهدف دراسات المواد الإعلامية وتحليلها.

هـ- بحوث تقيس عائد الجهود الإعلامية وتقييم أثر الإعلام.

و- بحوث تستهدف تقييم أثر الجهود الإعلامية غير المحلية (الاقليمية
والدولية) على الأوضاع الإعلامية الوطنية في المجتمعات المختلفة.

أما ولبورشرام Schramm فقد لحص اتجاهات بحوث الاتصال كما يلي
طبقاً لما جاء في كتاب نافزيجر Nafziger ورملاؤه عن بحوث الاتصال
ال جماهيري:

1- الاتجاه إلى الأبحاث السلوكية والكمية.

2- محاولة للوصول إلى نظرية متكاملة لعملية الاتصال، وعمل نماذج
واستخدام الأساليب الرياضية.

3- إمكانية تعبير الآراء والاتجاهات عن طريق وسائل الاتصال المتباينة..
كما يمكن أن نشير إلى أن الرواد الأوائل في مجال بحوث الاتصال
كانوا من دراسات متنوعة سياسية واجتماعية ونفسية وغيرها.. وإذا

فحصنا بعض إنتاج هؤلاء مثل لاسويل ولزرزفيلد ولوين وهو فلاند مثلاً . فسلجدا اهتمامهم ببحوث الاتصال لخدمة - وفي نطاق - اهتماماتهم الواسعة.. فقد ركز لاسويل على الاعتبارات السياسية، واتبع في تحليله التحليل "الماكرو" Macrocosmic الذي يفترض أن المؤسسات والمجتمعات والثقافات تظهر قنونا ونظاما لمعد من ذلك القانون أو النظام الظاهر لأعداد كبيرة من الناس في أى وقت معين.

أما لازر زفيلد وهو فلاند فقد تركز اهتمامها في استجابات الأفراد أى أنهما قد انتهجا في التحليل الاتجاه "الميكرو" Microcosmic الذي يركز على جميع المعلومات التفصيلية عن الأفراد للتنبؤ بسلوكهم، وأخيراً فتعتبر اهتمامات لوين بالجماعة الاجتماعية الصغيرة وسطا بين الاتجاهين الماكرو والميكرو.

(جيهان رشتى 1971 الإعلام ونظرياته : 39)

ثالثاً. بحوث الاتصال والسياسة العامة:

يذهب هارولد لاسويل في كتابه عن بحوث الاتصال (1972) إلى أن التقدم في بحوث الاتصال والرأى العام، يعتمد على تطوير مفهوم المسؤولية المهنية في هذا المجال باعتباره من بين المجالات الأساسية في "العلوم السياسية" .. وذلك لأن هناك روابط وصلات بين العاملين في مجال الرأى العام والاتصال وبين عمليات تكوين السياسات وتنفيذها، سواء كان ذلك في القطاعات الحكومية أو الخاصة ولعل هذه النتائج تتبلور فيما يمكن أن يسمى بالمعايير وحدود القبول والتصديق لدى الرأى العام (Norms and Sancuons).

أى أننا يمكن أن نقول بأن بحوث الاتصال، تلعب دوراً إيجابياً متميزاً في مرحلة تقييم (Appraisal) السياسية العامة... ذلك لأننا عندما نقيم النشاطات الرسمية، فإن ذلك يتم بناء على درجة تطابق هذه النشاطات مع أهداف السياسة العامة.

كما يمكن أن نلاحظ بأن ما قيل عن المؤسسات التي تكفل المشاركة في تشكيل الرأي العام، بصنق على جميع القطاعات الأخرى في المجتمع.. فالمتصلون بالرأي العام هم المنتجون والموزعون والمستثمرون والمستهلكون وجامعوا المعلومات والناشرون وغيرهم من المؤسسات الأولية (كالأسرة).. والمؤسسات الثانوية (كالجماعات والأصناف الخ.) .

وإذا كان العاملون في مجال الاتصال والدعاية والرأي العام لهم هذا الدور الإيجابي في مختلف هذه الأنشطة، فينبغي أن يكون لهم شخصية مهنية ومسئولية محددة، غير متحيزة في العمل الذي يقومون به.. ذلك لأنه ليس كافياً أن يحصل خبراء الاتصال على المهارات في كيفية عمل المسح Survey وتحليل المضمون وغير ذلك من العمليات الفنية، فالمهنة الأصيلة يجب أن تكمل المهارة بالوعي Complement Skill With Enlightenment ومعنى ذلك أن الجمعيات المهنية في مجال الاتصال، لم تتخذ خطوات ملموسة لإيضاح الأهداف والمعايير التي يمكن أن يقيم على صونها دور الاتصال في المجتمع.

2/2 الصوت الثالث

لقد دعا هارولد لاسويل إلى ضرورة وجود صوت ثالث غير متحيز، ذلك لأن عالماً في حاجة إلى "صوت ثالث" يمكن أن يجنب إليه الانتباه العام عن مجريات الأمور .. فالأصوات الرئيسية في الوقت الحاضر أصوات متحيزة تخدم مصالح ذقية للحكومة أو الحزب أو التجارة.. الخ.. وهذا الصوت الثالث هو الذي يمكن أن يعرض صورة غير متحيزة للمصادر المختلفة.

ولكن المشكلة هنا تكمن في أن العاملين بحقل الاتصال، هم أنفسهم جزء من جماعات مهنية أو أحزاب سياسية، أو غير هؤلاء من المؤسسات التي تلعب دوراً نشطاً في السياسة العامة.. وعلى ذلك فهم غير قادرين أو غير راغبين في أن يقوموا بهذا الدور .. دور الصوت للثالث...

ومع ذلك فإن لاسويل لا يفتد الأمل في إمكانية وجود هذا الصوت في السنوات القادمة ... وهو يعال ذلك بقوله أن ثورة الحاسب الآلى قد أدت إلى اختراع آلة، تستخدم بواسطة الصفوة والسلطة ومؤسساتها المركزية لتدعيم وتثبيت مراكرها، وليس جديداً أن نقول بأن المعرفة هي القوة Knowledge Is Power خصوصاً تلك المعرفة عن الأفراد والجماعات والتي يمكن للحصول عليها على وجه السرعة، واستخدامها في تهديد هؤلاء الأفراد والجماعات أو استمالتهم.

3/2 بحوث الرأى العام هي بحوث للاتصال،

يمكن أن نعتبر بحوث الرأى العام كجزء من نظام الاتصال في مجتمعنا المحلى وفى المجتمع العالمى .. ذلك لأن نظام الاتصال يعتبر واحداً من أهم التركيبات الأساسية في المجتمع، ولعله أهمها جميعاً، فالنظام الاتصالى يربط الجماعات والثقافات، بل والأمم مع بعضها كما أن كفاءة نظام الاتصال تعكس- إلى حد كبير- كفاءة ومرونة النظام الاجتماعى نفسه كما جاء في كتاب دافيسون عن بحوث الرأى العام كبحوث اتصال (Davison, w p, 1972) .

ولكن ماذا يمكن أن يسهم به الباحثون في مجال الرأى العام في نظم الاتصال هذه ؟ إن أهمية نظام الاتصال يمكن أن تتضح إذا فكرنا في المجتمع أو الأمة كهرم مقسم لفقاً إلى قطاعات، وهلك في قمة الهرم قطاع الصفوة أو صناع القرارات، وتحت هؤلاء يوجد قطاع أو أكثر، من الجماعات التى تلى الصفوة الحاكمة، وهذه الجماعات الأخيرة هي التى تمارس تأثيراً مباشراً على صناع القرارات وتعينهم على تنفيذ قراراتهم وهم الصحفيون أصحاب الأعمدة الصحفية المستمرة الثابتة ورؤساء التحرير. إن العملية الاتصالية التى تتم إلى أعلى- وهي التى يهتم بها الباحثون في مجال الرأى العام لكثير من غيرها- يمكن أن تكون لها الوظائف التالية:

1. شرح وتوضيح الرأي العام بالنسبة لأي قضية معينة، خصوصاً بالنسبة لتحديد الجماعات ذات الاتصال المباشر بهذه القضية وأسباب ذلك... وهل يعتبر هذا التجمع في الرأي مثلاً لأقلية أو لموجة كبيرة من المشاعر الشعبية؟ وقد تناول الباحثون هذه الوظيفة الاتصالية في بحوث المصحح بكثير من التفاصيل.

2. إن بحوث الرأي العام تمد صناع القرارات بتركيب يشرح التغذية المرتدة Feedback أي عدد الناس الذين لديهم معلومات عن القضية المطروحة ودرجة عمق هذه المعلومات ومحتئها .. كما تكل هذه البحوث على درجة فهم الجمهور لقرارات الحكومة وتصريحات الزعماء، وعلى رد فعل الجمهور للقرارات السياسية. أي أن وظيفة التعمية المرتدة الخاصة ببحوث الرأي العام قد حظيت باهتمام كبير هي الأخرى.

3. أما الوظيفة الثالث لبحوث الاتصال من القاعدة للقمة فهي غير معروفة وغير موثقة بما فيه الكفاية.. وهذه هي ما يعبر عنه بالتبديل عن الرأي العام Substitute For Public Opinion ويعبر الباحثون عن هذه الفكرة بقولهم إن صانعي القرارات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، كانوا يتعرفون على الرأي العام بعد أن يصبح كثير من الأفراد ولقنين من مواقفهم لأن الكثير يشتركونهم في هذه المواقف.. وكل هذا الرأي العام يعبر عن نفسه بالمظاهرات الجماهيرية، وبالاضطرابات والمقاطعات أو بأي شكل آخر من أشكال التعبير الشعبي، التي تنسم بقليل أو بكثير من العنف..

ثالثاً: علاقة علوم الاتصال بعلم المعلومات

3/1: هل علم المعلومات جزء من علوم الاتصال؟

يرى العديد من الباحثين أن علم المعلومات Information Science جزء من علوم الاتصال: لأنها جميعاً علوم تهتم بالاتصال الإنساني human Communication كما يرى العالم جيسى شيرا Shera أحد علماء المعلومات

والاتصال في أمريكا أن مركز المعلومات هو أحد عناصر النظام الاتصالي الكلي في المجتمع والذي يحفظ لهذا المجتمع هويته وثقافته، أما الباحث جلين هارمون Glynn Harmon فيسجل في بحثه عن تطور ونمو علم المعلومات العديد من التعاريف التي تحتوي على مصطلحي "المعلومات" و"الاتصال". أما جوزيف بيكر Joseph Becker فقد قدم تعريفا لعلم المعلومات على أنه دراسة كيفية قيام الناس بإنشاء واستخدام وتوسيع المعلومات.

2/3 الارتباطات الببليومترية بين علوم الاتصال وعلم المعلومات؛

يتركز الاهتمام الأول هنا كما يذهب للباحث وليم بزلي (Paisley, w 14) في علاقة الاتصال بين علم للمعلومات مع الحقول المرتبطة كما نعلمه مصفوفة استشهادات للدوريات Cross-citation خصوصاً بالاستعانة بكشاف استشهادات العلوم الاجتماعية الذي يصدره معهد المعلومات العلمية (ISI) ففي الجدول التالي تظهر استشهادات للدوريات في علم الاتصال والحقول المرتبطة (حيث قلنا معدلات الاستشهاد لكل ألف من الاستشهادات في الدوريات المنشهد بها Chung Journals) وذلك عام 1980.

الاستشهادات القطرية المصنفة	الدوريات المستشهد بها في دوريات														الدوريات التي استشهد بها
	JPSP	ASR	APSR	QJS	CM	CSSJ	J.D	JASIS	IPM	POQ	JQ	Jc	JB	CR	
470	19	13	-	-	-	-	-	-	-	43	36	38	11	47	Comm. Research
588	-	-	-	-	-	-	-	-	-	18	25	29	57	5	J. Broadcasting
1312	-	-	-	-	-	-	-	-	-	14	24	44	18	5	J. Communication
1199	-	8	9	-	-	-	-	-	-	23	118	28	26	-	Journalism Quarterly
744	-	22	28	-	-	-	-	-	-	90	15	17	-	-	Public Opin. Q.
308	-	-	-	-	-	-	39	88	13	-	-	-	-	-	Inf. Proc. Mgt
786	-	-	-	-	-	-	-	188	-	-	-	-	-	-	JASIS
639	-	-	-	-	-	-	-	16	47	-	-	-	-	-	J. Doc
819	12	-	-	46	74	13	-	-	-	-	-	15	-	-	Ca. Speech J
678	49	-	-	22	47	12	-	-	-	-	-	-	-	-	Comm. Manag
1014	-	7	-	58	32	12	-	-	-	-	-	8	-	-	Q.J. Speech
1873	-	-	54	-	-	-	-	-	-	7	-	-	-	-	A. Pol. Sci. Rev.
2837	1	119	5	-	-	-	-	-	-	3	-	-	-	-	Am. J. Sociol. Rev.
5524	185	4	-	-	-	-	-	-	1	-	1	-	-	-	J. Pers. Soc. Psych.
	5949/4343/1421			211/68/79			184/37/6			827/408/443/143/71					الاستشهادات القطرية التي لم يصنفها

المصدر: محسوبة من كشف استشهد العلوم الاجتماعية J.citation
Reports V.6 1991 وكشافات المصنفة Cross-Citation تعني أن الدورية
الأولى مثلاً وهي Communication Research تستشهد بنفسها عدد (47) مرة
في كل ألف استشهد تعطيه، كما أنها تستشهد بمجلة الرأي العام الفصلية
Public Opinion Quarterly عدد (43) مرة في كل ألف استشهد.

والجدول السابق يظهر عدد مرات تكرار استشهد الدورية بين الحقول
العربية للاتصال الجماهيري و علم المعلومات والاتصال بين الأشخاص
Interpersonal Communication فضلاً عن الاستشهادات من وإلى ثلاث
دوريات يكثر الاستشهد بها في علم الاجتماع.

أما الدوريات التي تمثل علم للمعلومات فهي: إدارة وتجهيز للمعلومات (IPM)، ومجلة الجمعية الأمريكية لعلم للمعلومات (JASIS)، ومجلة التوثيق (J.D.).

ويستوجه الجدول المذكور إلى مستويين أولهما: ما مدى التوازن بين حقل فرعى إلى حقل آخر؟ وثانيهما: ما مدى التوازن داخل هذه الحقول الفرعية؟ أما للمزال الأول فتتم الإجابة عليه بوصوح عن طريق الأقسام الحالية (...) من الجدول والتي تدل على غياب كامل للاستشهادات بين الحقول الفرعية التي تمثلها تلك الدوريات المحددة.

أما للمزال الثاني فتتم إجابته بطرق مختلفة في كل حقل فرعى، حيث يلاحظ أنه في الاتصال الجماهيري والاتصال بين الأفراد، تظهر الاستشهادات بين الدوريات بطريقة متوازنة نسبياً.. أما بالنسبة لعلم للمعلومات فهناك دورية واحدة وهي (JASIS) لا تقوم باستشهاد الدوريتين الأخريين بهائياً، أما دورية إدارة وتجهيز للمعلومات (IPM) فتقوم بالاستشهاد بالدوريتين الأخريين أكثر مما تستشهد بنفسها.

ويلاحظ أن الدوريات في علم الاجتماع (APSR/ASOR/JSPS) تتسلم عدد (123) استشهاداً من دوريات الاتصال الجماهيري، ويرد له عدد (12) استشهاداً فقط، عدد (11) منها للدورية الجسر وهي قرأى العام الفصلية (POQ)، أما دوريات الاتصال بين الأشخاص فتقوم باستشهاد دوريات العلوم الاجتماعية عدد (68) مرة ولا تتسلم بالمقابل أى استشهادات، وأخيراً فدوريات علم للمعلومات لا تقوم باستشهاد دوريات علم الاجتماع ولا يتم في المقابل الاستشهاد بدوريات علم للمعلومات.

وخلصه هذا التحليل أنه على الرغم من أن مجالات البحث بين علم المعلومات وعلوم الاتصال والاجتماع موجودة إلا أنها لمزالت في حاجة إلى التحالف لتكوين حقل بحثي متميز بالتعددية الموضوعية وهو علم المعلومات.

3/3 بحوث الاتصال وعلم المعلومات:

لاحظ العديد من الباحثين مثل برجمان وزميله (Bergman, C And Schement, J) أن هناك اشتراكاً بين المجالين (علم المعلومات وعلم الاتصال) في الموضوعات التي يقومون ببحثها وذلك مثل فجوات المعرفة Knowledge Gaps، الكليات غير المسطورة Invisible Colleges، بحث الاختراعات Diffusion Of Innovations، التفاعل الإنساني مع تكنولوجيا الاتصال، سلوك البحث عن المعلومات والبيانيومتريقا والميانيومتريقا، نظرية المعلومات، نظرية النظم، النشر الإلكتروني ومجتمع المعلومات وغيرها.. حيث تظهر هذه الموضوعات في دوريات المجالين، كما عمل بعض الباحثين في كل حقل من الحقلين في العمل بمدارس الاتصال ثم في مدارس علم المعلومات والعكس صحيح.. فضلاً عن أن بعض المعاهد والجامعات في كل من أمريكا وبريطانيا -على سبيل المثال لا الحصر- قد دمجت بين المجالين في مدرسة واحدة مثل جامعة راتجرز في أمريكا وجامعة شمال لندن وغيرها من الجامعات بما فيها جامعة قطر كما يلي في جامعة راتجرز بأمريكا وهي:

كلية دراسات الاتصال والمعلومات والمكتبات بجامعة راتجرز.

School of Communication, Information and Library Studies
(SCILS)

فضلاً عن النماذج الكثيرة في بريطانيا ومن بينها الجامعات التالية التي تمنح درجة البكالوريوس في المعلومات والوسائط أو المعلومات والاتصال.

Aberdeen

School of Information and Media. The Robert Gordon University. 352 King Street, Aberdeen AB9 2TQ, UK.

Edinburgh

Department of Communication and Information Studies Queen Margaret College Clerwood Terrace, Edinburgh Eh 12 8Ts. UK.

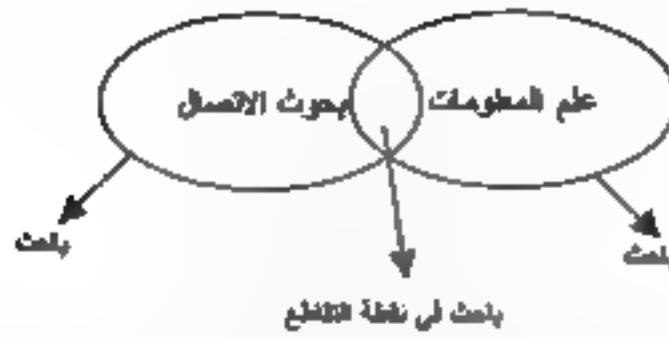
North London

School of Information and Communication Studies University of North London Ladbroke House, 62-66 Highbury Grove, London N52 AD, UK

وأخيراً فقد دمجت جامعة قطر بين علم المعلومات والإعلام (حيث يدرس في هذا القسم أعضاء هيئة تدريس من كل من المكتبات والمعلومات وعلوم الإعلام).

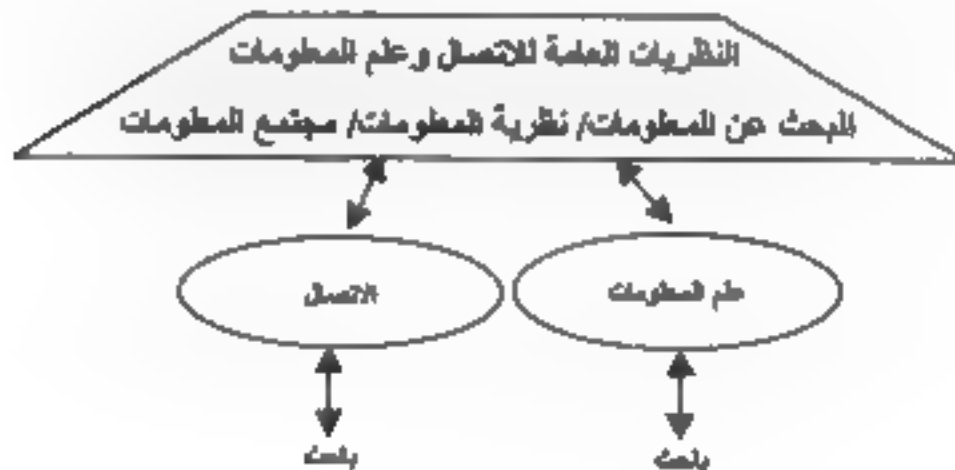
فالمجالان يمكن أن يكون لهما عدد من حقول البحث المشتركة In Common ولكن كل مجال لهما حقوله الأخرى المميزة له.

فالباحثون الذين تغطي دراستهم المجالين سيكون موقعهم في نقطة التقاطع، ومن بين أمثلة موضوعات التقاطع: بث المبتكرات Diffusion Of Innovations. سلوك البحث عن المعلومات، فجوة المعرفة، السياسة المعلوماتية ، ومجتمع المعلومات.



أما في الجزء الخاص بالاتصال فنجد موضوعات مثل الاتصال بين الأشخاص interpersonal، تأثيرات الاتصال الجماهيري والاتصال التطبيقي. على حين يشمل الجزء الخاص بعلم المعلومات موضوعات مثل الفهرسة والتصنيف وأساليب استرجاع المعلومات والتوثيق.

وأخيراً هناك نموذج النظرية المشتركة Common Theory حيث يرى المجالان متفرقين على مستوى الأقسام الأكاديمية، فالباحث في أي واحد من الحقلين يمكن أن يعتمد نظرياته العامة من جسد مشترك من المعرفة.. وخصوصاً مع استخدام مناهج بحث مختلفة .. وبالتالي ستكون هناك استشهادات مشتركة Citing Common Literature وذلك كالرسم التالي:



ويمكن في هذه الحالة أن نشير إلى أن ظهور المنظرين على الجانبين الاتصالي والمعلوماتي كما يتضح في تحليل الاستشهادات سيساعدنا في

التعرف على أي نظرية ذات جذور في الحقلين. فعلى سبيل المثال نرى أكثر المؤسسين لنظرية مجتمع المعلومات وهم ماكلوب Machlup وبيل Bell وبورات Porat وروبين Rubin، ظلوا بعيدين لعدة عن البيئة الأكاديمية لكل من الاتصال وعلم المعلومات.. حيث عمل ماكلوب كباحث اقتصادي وعمل بيل كباحث اجتماعي، أما بورات فعلى الرغم من تعليمه كباحث اتصال إلا أنه غير بارز في هذا المجال.. واتساج هؤلاء الباحثين ولساهمهم كمفكرين لمجتمع المعلومات سيولد لنا نظرية مشتركة، ولعل هذه الجهود المشتركة قد أدت إلى تبني اقتصاد المعرفة Knowledge Economy .

وعلى كل حال إذا كان علم المعلومات له هذه العلاقات مع علم الاتصال وخصوصاً مع تنقل العديد من الباحثين بين المجالين والاهتمام بنظريات مشتركة كقاعدة لتطلق، فهناك علاقات لعلم المعلومات مع مجالات أخرى عديدة بنفس القوة والميل للتتظير المشترك، كما هو الحال مع التربية والإدارة والحاسبات وغيرها من العلوم.

4/3 النشر الإلكتروني، حيث التقى الجمعان في أصل وأداء واحد،

قام أ.د. محمد فتحى عبد الهادى حوكيل كلية أداب جامعة القاهرة - بنشر كتابه عن النشر الإلكتروني عام 2001 وكان الناشر هو المكتبة الأكاديمية وقد احتوى على عدة بحوث جمعت بين أسئلة علم المعلومات (أ.د. أحمد أسور بسدر) وعنوان مقاله : النشر الإلكتروني ومشكلاته المعاصرة، أما أسئلة الصحافة فمنهم أ.د. أشرف صالح وعنوان مقاله الطريق السريعة للمعلومات في العالم العربى وأ.د. شريف درويش اللبى وعنوان مقاله للتطورات الحديثة في تكنولوجيا النشر الإلكتروني وتطبيقاتها في مجال الصحافة فضلاً عن كتبه الأخرى عن تكنولوجيا الطباعة والنشر الإلكتروني والإخراج للصحفي والطباعة الملونة والتطور التكنولوجي وأثره في الارتقاء بالفنون الجرافيكية.

رابعاً: ملخص اتجاهات البحوث والدراسات في علوم الإعلام في مجلة الرأي العام الفصلية:

قام العالم تشايلدرز Childs بتحليل محتويات مجلة الرأي العام الفصلية Public Opinion Quarterly منذ صدورها عام 1937 ولمدة ثلاثين عاماً. حيث تبين له أن اتجاهات البحوث تشمل الأقسام الرئيسية التالية:

(أ) استفتاءات الرأي العام:

- أساليبها الفنية.
- دور الاستفتاءات في السياسة العامة.
- الاستفتاءات في دولة معينة أو دول مختلفة.
- تقييم الاستفتاءات.

(ب) الرأي العام لجماعات مختارة بالنسبة لقضايا محددة تشغل بال الرأي العام المحلي أو في الدولة الأجنبية.

(ج) أثر بعض العوامل المختارة في تشكيل الرأي العام:

- بصفة عامة.
- عوامل معينة.
- بعض المكونات الأساسية.
- التأثير النفسي لهذه العوامل.

(د) السلوك الانتخابي:

- الانتخابات.
- المرشحو.
- التنبؤ.
- الأحزاب.

- بعض العوامل المؤثرة

(هـ) الاتصال Communication:

- الصحافة والمطبوعات.
- السينما.
- وسائل اتصال أخرى.
- الراديو.
- التلفزيون

(و) الدعاية:

- بصفة عامة.
- بالنسبة لبلاد معينة.
- العلاقات العامة.
- التعليم.
- الحرب النفسية.
- الأمم المتحدة.
- الإعلام.
- الزعامة.

(ز) البحث في مجال الرأي العام:

- بصفة عامة.
- فترحات ومناهج.

(ح) نظرية الرأي العام:

- تعريف.
- بعض النماذج.

- بعض الفروض Hypotheses

وهناك بعض النتائج التي انتهى إليها الباحثون في عرضهم لاتجاهات بحوث رأى العام وهي كما يلي:

- 1 تركيز الاهتمام بصفة أساسية على استفتاءات رأى العام وأجهزة الاتصال وهيئاته.
- 2 كان هناك اهتمام ملحوظ باتجاهات الناحيين وآرائهم وبالسلوك الانتخابي.
- 3 لم تحظ دراسات السيطرة على رأى العام عن طريق الحكومات وجماعات المصالح Lobbies والزعماء وإخصائى الإعلام كخبراء العلاقات العامة والمعلمين، هذه لم تحظ باهتمام دراسى رأى العام بنفس درجة الموضوعات الأخرى.
- 4 الدراسات النظرية عن رأى العام ومفاهيمه Conceptual، كانت نادرة للغاية ويبدو أن هذه الدراسات لاتحتل موقعا أساسيا في مشاكل علوم الإعلام خصوصاً في الدول النامية.
- 5 تركزت بحوث رأى العام في محاولة التعرف على طبيعة رأى العام وتكوينه، وعلى دور وكالات الاتصال والإعلام في عملية تكوين رأى.
- 6 تعتبر كثير من بحوث رأى العام، بحوثاً تطبيقية، تسعى لحل المشاكل المباشرة للقائمين بعملية استفتاءات رأى العام، وبحوث التسويق والمسؤولين عن وكالات الاتصال وأجهزتها، والمعلمين وخبراء العلاقات العامة والدعاية بأشكالها المختلفة.
- 7 أن ما تحتاجه البحوث في الوقت الحاضر، هو مزيد منها في مجالات "المصالح العامة" لا "المصالح الخاصة" ومزيد من البحوث لحل مشاكل رأى العام التي تهتم الجماهير، وليست تلك التي تهتم بالمصالح التجارية الخاصة.

8 هناك حاجة ملحة كذلك للبحوث الخاصة بنوعية للرأى العام، وبثوره في السياسية العامة وفي صراعات للرأى Opinion Conflict. وإذا كان لنا أن ندلى ببعض الملاحظات على اتجاهات البحوث في هذا المجال، قلن مؤكداً على ضرورة الاهتمام ببحوث "الإعلام والتنمية القومية" لما لذلك من أهمية كبرى بالنسبة لحطط التنمية التي تقوم بها دول العالم الثالث على وجه الخصوص، وذلك من أجل تقريب الهوة بين الدول النامية والفقيرة، ومن أجل الدخول في نظام إعلامى عالمى يتيح لهذه الدول الاستفادة من المعلومات العلمية والتكنولوجية، وحيث تتفاعل ثقافة تلك الدول النامية مع ثقافات الدول المتقدمة.

خامساً: منهج الدراسة وتنظيم الفكر:

Methodology and Organization of Thought

تهتم علوم السياسة والإعلام بصفة أساسية بتحليل الظواهر الإعلامية والسياسية أكثر من اهتمامها بالوصف التاريخي لها.. وتهتم كذلك بالقوى Forces والعوامل Factors التي لها أثر في تغيير انحياز القوة السياسية.. وتهتم أيضاً بالأهداف التي يمكن تحقيقها من وراء العمل السياسى.. وعلم السياسة كمنهج للتحليل يهتم بالسؤال الأساسى وهو: من يحصل على ماذا ومتى وكيف وبأى هدف؟ ولما كان للرأى العام يعتبر إحدى القوى والعوامل ذات التأثير في الحياة السياسية، ولما كانت الدراسات المختلفة للرأى العام لم تحرج لنا بنظرية متكاملة لهذه الدراسة سوف يتركز منهج دراستنا حول للمشكلة المركزية التالية:

"الرأى العام كقوة في مجال السياسة الداخلية والخارجية، وديناميكية تكوينه أو تغييره ثم الأثر الذي تحدثه وسائل الاتصال الجماهيرى والدعاية بالنسبة للرأى العام.

هذا وسوف تشمل دراسة الأثر الذي تحدثه وسائل الاتصال عملية الاتصال التي عبر عنها لاسويل بشكل مبسط في السؤال التالي: من يقول ماذا وبأي وسيلة وإلى من وما هو الأثر المتوقع؟ مع بيان النقد والتعديل الذي قام به الباحثون في هذا المجال (انظر للصفحة التالية) وهو شرح مبسط لنموذج الاتصال الذي وضعه لاسويل.

وأخيراً ينبغي على دارس الموضوعات السياسية والإعلامية بصفة عامة، أن يضع نصب عينيه العناصر التالية أثناء قراءته واستيعابه للمادة كمحاولة لتنظيم التفكير والتحليل:

1- الافتراضات الأساسية Basic Assumptions وهذه الافتراضات تشمل ما يلي:

الطبيعة الإنسانية Human nature طبيعة المجتمع Society طبيعة الدولة State طبيعة العالم World المعاصر؟

النتيجة : نموذج استنباطي للتفكير Deductive

السؤال الأساسي	ماذا تغطي كلمات السؤال	مجالات البحث
من Who	المرسل Communicator	تطيل المصدر الذي يملك في عملية الإعلام Control analysis
يقول ماذا Says What	الرسالة Message	تطيل مضمون الرسالة الإعلامية Content Analysis
وبأي وسيلة How	الوسائل المطبوعة والمرئية - التلفزيون Media Media	تطيل الوسيط الإعلامي Media Analysis
إلى من To Whom	الاستماع لدى توجه الجمهور الرسالة	تطيل الجمهور المستهدف بالرسالة Audience Analysis
وما هو الأثر With What effect	الأثر المتوقع حدوثه	تطيل الأثر المتوقع Effect Analysis تحت الظروف والموائل المختلفة

نموذج تحليل عملية الاتصال كما وضعها لاسويل Lasswell

2- إطار البحث وعناصره:

المصالح القومية- الأهداف القومية- عناصر القوة المتاحة- طرق استخدام القوة وحدودها (السياسية- النفسية- الاقتصادية- العسكرية....)
النتيجة: السياسة التي يمكن اتباعها

3- الطريقة العلمية:

تجديد المشكلة وحصر الحقائق/ وضع الفروض Hypothesis/ تحليل المعلومات والحقائق مع تحقيقها أو تعديلها أو رفض الفرض نهائياً- محاولة الوصول إلى حل للمشكلة، مع وضع البدائل وأولوياتها.
كن حريصاً على ألا تخلط بين آرائك كشخصية وما تتحيز له
Prejudices and Bias وبين الموضوعية Objectivity في البحث، يجب أن تكون محدد الاتجاه رغم عرصك لمختلف وجهات النظر المتعارضة.

الفصل الرابع

تكامل البحوث النوعية والكمية مع دراسة مقارنة للمقابلات والملاحظات ونماذج من مناهج البحث في دراسات علوم الإعلام

أولاً، عن التعريف والمقارنة بين البحوث النوعية والكمية:

1/1 مقدمة

يذهب الباحث ارثر برجر (Berger, A.A, 2000: 13) إلى أن مصطلح 'نوعى' Quality يعود إلى الجذور اللاتينية وهي Qualitas والتي تعنى 'من أى نوع' Of What Kind وعندما جاء مصطلح النوع Quality فى نصوص دراسات الإعلام فإنها تتضمن جوانب مثل نوعيات وصفات للنص Text's Properties وكذلك درجة التميز والصفات المميزة بصفة عامة ... أى أن هناك عنصراً للتقييم والحكم والمذاق يرتبط بمصطلح النوعى.

أما مصطلح الكمية Quantity فتراجع جذوره إلى الكلمة اللاتينية Quantitas والتي تعنى 'مدى الصخامة' How Great أو كم مقداره How Much.

وعندما نفكر عن البحث الكمية فى دراسات الميديا والاتصال، فنحن نفكر فى الأعداد والحجم والقياس، أى أن الباحثين الكمييين يقومون بعدة أشياء معينة، وليس كل شيء، وواقع الأمر أن هناك أشياء لا يمكن وضعها فى التعبير الكمية وتحمل أهمية كبرى فى بعض البحوث.

وبالتالى فإن الباحثين الذين يهتمون بالكم يهتمون بالكم يهتمون أحياناً بأنهم ضيقوا الجوانب، أى أنهم ضيقوا الجوانب المحصورة فيما يمكن عدّه أو قياسه أو ملاحظته، فى الوقت الذى يهتمون فيه أشياء أخرى، كما أن الباحثين الذين يهتمون بالنوع أو الكيف وحده يهتمون بأنهم يقرعون دلول النص لأشياء

ربما تكون غير موجودة، أو لى لهم آراء أو تفسيرات تبدو غريبة أو حتى فطرية idiosyncratic (ومصطلح idios يعنى خاص private والتفسيرات الفطرية للميديا والنصوص هي تفسيرات شخصية تماماً)، وقد وضع الباحث آرثر بيرجر (Berger, A. 2000: 14) جدولاً للمقارنة بين البحوث النوعية والكمية كما يلي ثم نماذج من الدراسات النوعية:

البحوث النوعية	البحوث الكمية
<ul style="list-style-type: none"> • تقوم بلقاء والقبول • تقوم بتجهيز البيانات المجمعة • تركز على الأحداث في النص • إحصائية • نصف وتشرح وتكتب • تؤدي إلى العرض أو النظرية • يمكن نقد ومهاجمة المنهجية 	<ul style="list-style-type: none"> • تقوم • تستخدم مفاهيم للشرح • تركز على الجملوات في النصوص • نظرية • تفكر • تؤدي إلى التقييم • يمكن مهاجمة نقد التصور

ثم أشار بيرجر Berger إلى منشور وضعه قسم الدراسات النوعية لجمعية تعليم الصحافة والاتصال الجماهيري.

Qualitative Studies Division of the association for Education in Journalism and mass communication.

وكانت نماذج الدراسات النوعية كما يلي:

- الثقافة الشعبية .
- فلسفة الاتصالات.
- التحليل النصي والأدبي للمضمون الاتصالي.
- دراسات الأداء في الاتصال الجماهيري.
- الدراسات الإيديولوجية.
- نقد الميديا Media Criticism.
- العمل الأمبيريقى والنظري في الدراسات الثقافية.
- إنتاج وتنظيم دراسات الاتصالات الجماهيرية

أما نماذج الدراسات المنهجية الكمية فتشمل التجارب وتحليل المصنوعات والمسوحات والاستبيانات والأساليب الفنية التي تؤدي إلى التطوير الإحصائي للحصول على المعلومات.

أي أن هناك مدرستان في الفكر البحثي لعلوم الإعلام إحداهما كمية والأخرى نوعية/ وإذا كانت المدرسة الأولى تركز على القياس والاختبار والسببية وتقرب بذلك من القاعدة المعرفية للعلوم الطبيعية فإن المدرسة الثانية تركز على الوصف والتحليل وعلى دراسة الحالة بتعمق وعلى السياق العام وتقبل المواقف الداتية للأفراد وتقرب بذلك من القاعدة المعرفية للإعلاميات ولعل بحوث علوم الإعلام تعكس التكامل بين الاتجاهين الكمي والنوعي.

كما تبرز هنا مشكلة المصطلحات وبالذات مصطلح النوعية Qualitative حيث يرى بعض الباحثين أن هناك تعارضاً رافقاً بين المصطلحين النوعي والكمي، ذلك لأن التعبير الكمي سيكون للحصائص النوعية ولذا يمكن أن نصف شيئاً ما بأن له صفة نوعية أو كمية اعتماداً على كيفية اختيارنا لتمثيل هذا الشيء في التعبير الرمزي Symbolism.

2/1 التمييز بين البحوث النوعية والكمية:

1/2/1 طيف البحث بين الذاتية والوضوعية،

تضم معظم البحوث الاجتماعية والتي يطلق عليها بحوث علمية-جوانب نوعية وعناصر ذاتية Subjective عديدة، وحتى في العلوم الطبيعية هناك عناصر ذاتية تتصل باختيار العوامل الداخلة في تصميم التجربة المحكمة، وفي بحوث العلوم الحيوية والطبية هناك الملاحظة الحذرة والقياس اللازم للتبصبات العقلية ومعدل التنفس وضغط الدم وغيرها من العوامل المتغيرة، .. وإذا كان الهدف من الدراسة في المجالات السابقة هو الإنسان فإن ذلك يتطلب دخول بعض العناصر النوعية وغير المحكمة حتى

فى العلوم الطبيعية والحيوية الطبية.. ويلاحظ ذلك فى الارتفاع المؤقت لضغط دم المريض وتوتر أعصابه من الفحوص التى يتعرض لها، والتى قد تتأثر حتى بواسطة رؤيته للممرضة أو الطبيب المعالج الذى يأمن/ أولا يأمن إليه، كما يختلف تعبير المرضى عما يحسونه من آلام ومستويات هذا الألم ومواقفه.

وعلى كل حال فالبحوث الاجتماعية والإعلامية تهتم بمعاج سلوك الناس والتفاعل بينهم أو بين الناس والنظم أو الأشياء أو الحيوانات، وبالتالي فلا بد أن يكون الباحثون الاجتماعيون على استعداد دائم لشرح مبررات استخدام الطرق النوعية والدفاع عنها وأن يكون الباحث على وعى مستمر بمزايا وسلبيات التدخل النوعى فى البحث.

2/2/1 طبيعة البحث النوعى وارتباطه بالعلاقات العامة واتصالات التسويق

تلاحظ الباحثة كريستين ديومون (Daymon, Christine D. 2002) فى دراستها عن البحث النوعى، أن له مميزات ثلاثة وهى:

أ- إذا كان هناك على المستوى العالمى وجهتى نظر عن معظم بحوث الاتصال الإدارى، وهى التفسيرى والواقعى، فإن البحث النوعى عادة - وليس دائماً - يتصل بالجانب التفسيرى.

ب- هناك افتراضات (أو مسلمات) assumptions قسمة عديدة ترتبط بالبحوث النوعية.

ج- يتميز البحث النوعى بصفات عديدة من بينها الطبيعة الذاتية.

د- هناك وعى متزايد فى العلاقات العامة المعاصرة بالحوار التعاونى والذى يحققه البحث النوعى.

وإذا كان البحث الكمي يركز على القياس والاحتبار فإن البحث النوعي يركز على المشاركين والعوامل الكامنة في الميول، كما يطلق على البحث الكمي في العلوم الاجتماعية بحثاً علمياً لأنه عادة ما يتم فيه صياغة مشكلات بحثية في شكل يصلح لاختبار الفرض، ويحاول التعرف على العلاقات بين المتغيرات وقياسها مع التقليل على قدر المستطاع من تحلل الباحث.

والفروق بين البيانات الملاحظة والمتوقعة تقدم للباحث قصداً ذات دلالة الاحصائية. وتصميم ذلك يطلق عليه التصميم التجريبي، لأنه يشبه التجريب العلمي.. والتصميمات الأكثر تعقيداً تضم الاختبار القبلي والاحتبار البعدي حيث يقوم الباحث بقياس التعرض القبلي والبعدي مع المبدأ مع التحكم في العوامل التي تحول بين التأثير الدائى للباحث وبين التجربة الموضوعية، وواضح أن هذا التصميم البحثي لا ينطبق على جميع الظروف خصوصاً إذا كانت المتغيرات المتعلقة غير ممكنة القياس (Hannabuss, S. 1995: 6)

ويلخص جاميمسون (Gummesson, E. 1991) بعض الفروق الرئيسية بين هذين المسارين الكمي والنوعي حيث يسميهما الإيجابي والهيرمانتيكي (Positivist And Hermeneutic) حيث يركز للمسار الإيجابي على القواعد والشروط التي يمكن بواسطتها اكتشاف وشرح الظاهرة بطريقة موضوعية، مع تعريف المعرفة الصحيحة بمصطلحات علمية، أما المسار الهيرمانتيكي فيؤكد على الفهم والتصور Perception والقطرة Idiosyncrasy، فصلاً عن طرق المشاركين في فهم التجربة وتصميمها، ويطلق على هذا المسار أيضاً مصطلحات أخرى مثل: الانساني Humanistic أو الطبيعي Naturalistic مضيء Illuminative الاستكشافي Exploratory أو النوعي Qualitative.

ويرى الباحث جاميمسون Gummesson أن المسار الإيجابي Positivism يركز على الوصف والشرح وعلى الدراسات ذات الإطار المحدد وعلى النظريات والفروض الواضحة Explicit فصلاً عن التمييز بين الحقائق والقيم وبين العقلانية والمنطق .

أما الباحثة كريستين ديومون (Daymon, Christine, 2002) ترى أن البحث النوعي هو في حقيقته تجمع متباين من الفلسفات والتقاليد التاريخية والمفاهيم المحددة والممارسات المفيدة.. وتضيف إلى ذلك أن البحث النوعي يميل إلى التركيز على التفسير أكثر من المشرح وعلى دراسات الحالة العميقة أكثر من التركيز على حالات التحليل المحكومة العوامل، كما تركز على الوصف والتحليل أكثر مما تركز على اختبار الفروض الرسمية، وتركز على التقرير الروائي للنتائج أكثر مما تركز على تقديم التحليل الإحصائي، كما أنها تركز على تقبل المشاركة الدلّية أكثر مما تسعى إلى الوصف والاتجاه الحيادي الموضوعي، وأنها تركز على الانتباه إلى تفرد السياق Uniqueness Of The Context مع سماحة تقبل تعدد ممارسات المعرفة.. وعلى كل حال فهذه ليست قائمة حاصرة أو شاملة لخصائص البحث النوعي كما أن العديد من بحوث العلوم الاجتماعية ذات صفات مهجنة Hybrnd في طبيعتها أي أنها تتاح بالأساليب النوعية والكمية وبالتالي فإن محاولة عزل الدراسات النوعية يعتبر إجراءً استبطاعياً.

وقد فصلت الباحثة كريستين دايمون (Daymon, C., 2002) البحوث النوعية كجزء من النظرة العالمية للتفسيرية بالخصائص التالية:

3/1 - خصائص البحوث النوعية:

- **الكلمات :** تركز البحوث النوعية على الكلمات وليس على الأرقام على الرغم من أن الأرقام تستخدم أحياناً لبيان مدى التردد لموضوع محدد Theme في النصوص .
- **اشتراك الباحث Researcher involvement** الأداة الرئيسية في البحث النوعي هو الباحث الذي يشترك مع الجمهور الذي يقوم الباحث بدراسته، وهذا يختلف عن البحث الكمي حيث يعتبر الباحث بعيداً عن الجمهور (حيث يستخدم المسح مثلاً) ..

- التفسير يتأثر بوجهة نظر المشاركين، أى أن تفسير البيانات يتأثر بوجهة نظر الباحث وتاريخ حياته بالإضافة إلى المشاركين من الجمهور فى الدراسة.

- دراسات ذات نطاق صغير:

يستخدم فى الدراسات الكيفية عادة عينات صغيرة لتزويدنا بوصف ثرى مفصل شمولى فصلاً عن الشرح.

- المرونة:

على السرع من أن الباحثين لديهم موضوعات ومسؤلات تشغل البحث وتقدمه، إلا أن هذه البحوث تلتزم بمحاولة استكشاف طرق جديدة مثيرة.

- الاستقراء ثم الاستنباط:

نميل للبحوث الكيفية إلى البدء بالتهيرير الاستقرائى Inductive Reasoning ثم عن طريق العمليات التتابعية تنتهى للتهيرير الاستنباطى.

نانياً: المقابلات وأنواعها وأسباب استخدامها

يستمكن الباحثون عن طريق المقابلة من الحصول على المعلومات التى لا يستطيعون الحصول عليها عن طريق الملاحظة وحدها، ويرى البعض أن مصطلح المقابلة يرد إلى المصطلح الفرنسى *entrevue* والذى يعنى أن ترى شخصاً آخر أو تقابله أى أن هناك علاقة وجهاً لوجه عادة، وليس دائماً ذلك لأن هناك بعض المقابلات التى تتم بالتليفون أو غيرها من الأساليب الإلكترونية كالانترنت، فصلاً عن أن البعض يعرف المقابلة بأنها استبيان شفوئى.

هذا وتستخدم المقابلات فى البحث بكثرة لا لتوضيح المعلومات عن المستجيبين ولكن للتعرف على أفكارهم بالنسبة للقضايا والمواقف المختلف عليها، أى أن المقابلات هامة فى التعرف على سلوك وخبرات المستجيبين فصلاً عن آرائهم وقيمهم ومعتقداتهم ومشاعرهم، وعادة ما ترتب الأسئلة التى

يصل إليها للباحث من المقابلات في نماذج من الإجابات كما يلي على سبيل المثال لا الحصر: وجهات النظر التي يعبر عنها المستفيدون من المعلومات عن جوانب الخدمة/ سلوك المستفيدين بالنسبة لأنماط إدارية معينة/ تأثيرات تقديم التدريب على دافعية العاملين/ مواقف تعتبر عناصر صاغطة على العامل/.. ومن اللازم في هذا التقسيم السابق إظهار الأدلة المتعارضة.

كما أن هناك بعض الأوقات التي يقول فيها المستجوب شيئاً ولكنه يحمل معنى مصادماً من خلال نبرة مختلفة لحديثه أو اللغة التي يعبر بها.. ويضع بعض الباحثين كوادراً معينة لتسجيل الاتجاهات العامة أو ردود الفعل، حتى يساعد هذا الترتيب عند مرحلة التحليل.

وخلاصة هذا كله أن البحوث النوعية عن طريق المقابلات والمناقشة الجماعية لها أدوار متعددة، من بينها وضع خريطة لطبيعة المشكلة البحثية وتحديد ما .. أي أن البحوث النوعية ليست مجرد مقدمة للبحث الكمي أو محاولة لتفسير نتائج، بل تعتبر البحوث النوعية قائمة بذاتها كطريقة بحثية رئيسية، فإذا أردت الكشف عن التفاعل الاجتماعي والاستجابات المتعددة فيمكنك استخدام المناقشات الجماعية، وإذا أردت التعرف بعمق على الحالات التاريخية أو ردود الفعل أو الدوافع الفردية فيمكنك استخدام المقابلات.

1/2 البحوث التليفونية وتكنولوجيا المعلومات الحديثة وبعض جوانبها النوعية،

تعتبر المقابلات التليفونية وجماعات المناقشة والاستبيانات والدراسات التي تتم عبر البريد الإلكتروني ومن خلال الانترنت .. هذه تعتبر جوانب جديدة في البحوث المسحية.

فهناك زيادة هائلة في عدد التليفونات بالمنزل فضلاً عن أنواع التليفونات الأخرى المحمولة والمرئية وغيرها.. وهذه تقدم لنا طريقة فاعلة من ناحية الاقتصاد في الوقت والتكاليف مع الاتصال بعينات ضخمة منتشرة

جغرافياً خصوصاً مع استخدام نظم المقابلة الهاتفية بالاستعانة بالحاسب الآلى CATI Computer Aided Telephone Interviewing كما عاينت الانترنت (خصوصاً عن طريق البريد الإلكتروني) في إجراء بحوث للمسح بسرعة هائلة.

هذا ويعتبر معظم الناس أن المقابلات والاستبيانات التي تتم عبر تكنولوجيا المعلومات المعاصرة هي بالضرورة بحوث كمية، ولكنها في واقع الأمر يمكن أن تكون نوعية وكمية في نفس الوقت حسب متطلبات موضوع البحث وحسب مهارات المقابلة والاستبيان حتى لا تكون الأسئلة مجرد أسئلة سطحية تقتصر على سؤال وإجابة (خطأ) أو (صواب).

وإذا كانت الأسئلة التي يستجيبها الباحث بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة يحصل أن تكون أسئلة قصيرة و بسيطة، يمكن فهمها بسرعة.. الخ فهذه تعتبر في نفس الوقت واحدة من عيوبها.. إلا أن لها مزايا أخرى عديدة تتمثل في الاقتصاد في الوقت والتكاليف وكذلك عدم التأثير بشخص القائم بالمقابلة (في شكله وسلوكه وجسمه ومنه وغيرها من العوامل).

2/2 أنواع المقابلات

تقسم بعض الباحثين (Berger, A.A, 2000: 111) المقابلات إلى أربعة أنواع وهي:

أ- المقابلات غير الرسمية Informal Interviews
وتتم هذه المقابلات دون رقابة أو تنظيم أي أنها تتم تلقائياً وهي في جوهرها محادثات تخدم في كسب ثقة الآخرين الذين سيتم إجراء المقابلة معهم.

ب- المقابلات غير المقتنة Unstructured interviews
وهذه تتم بحيث لا يمارس الباحث إلا رقابة قليلة نسبياً على المستجوبين.

ج- المقابلات شبه المقتنة Semistructural

ويكون مع القائم بالمقابلة عادة قائمة مكتوبة من الأسئلة لمؤال المستجوبين، للحفاظ على النوعية السببية الموجودة في المقابلات غير المقتنة، هذا وتعتبر الجماعات البؤرية Focus groups المستخدمة بكثرة في بحوث التسويق مقابلات شبه مقتنة وتعتبر الجماعات البؤرية شكلاً حراً من المناقشات بواسطة جماعة من الناس يقودها مدظم أو وسيط Moderator.

د- المقابلات المقتنة.

في هذا النوع من المقابلات يستخدم الباحث مجموعة محددة من التعليمات التي ترشد القائم على المقابلات التي تسمى للحصول على إجابات على الأسئلة المحددة، كما يعتبر أسلوب المقابلة عنصر هاماً من بحوث المسح.

3/2 أسباب استخدام المقابلات

إذا كنا نحصل على المعلومات عن الناس عن طريق ملاحظتهم وعن طريق سؤالهم عما يفعلون ثم عن طريق تحليل النصوص التي ينتجها الناس (وهذا هو تحليل المضمون الذي سنتناوله فيما بعد)، وإذا لم يكن لدينا الفرصة لملاحظة الناس لفترة طويلة، فإننا لا نستطيع أن نعرف كثيراً عن أنشطتهم السابقة وتاريخهم .. ولكننا نستطيع اكتشاف ذلك بسؤالهم عنها. كما نستطيع أن نعرف على أفكار الناس وأرائهم واتجاهاتهم ونوافهم عن طريق سؤالهم الأسئلة السليمة وقد أشار الباحث برجر (Berger, A. A., 113: 2000) إلى الجدول التالي الذي يوضح بعض الفروق بين الملاحظة والمقابلة كما يلي:

الملاحظة	المقابلة
الحاضر	الماضي والحاضر
الأفعال	الانجاعات
المسبق	النوع
فردياً	الاستماع وسبر الباطن probing

ويمكن استخدام كل من الملاحظة والمقابلة في نفس الوقت، فالملاحظة تعطينا أصلماً بالمساق ولكنها لا تساعدنا في الوصول إلى أعماق الناس لفهم أسباب قيامهم بأشياء معينة، أي ما هي دوافعهم وما يلقاهم.

ولعل أهم ميزة للمقابلة هي إمكانية تسجيل المقابلات أي أننا نستخرج سجلاً مكتوباً ولعله مرئي أيضاً يمكن تحليله بالتفصيل فيما بعد، فصلاً عن أننا في النهاية نكتسب بالمقابلة قدراً من التحليل للنص، أي أن القائم بالمقابلة يمكن أن يستخرج من المستجوب أموراً ومعلومات لا يعرفها عن المستجوب، وقد وضع برجر Berger بعض المبادئ الأساسية في كيفية إجراء المقابلة الإعلامية منها اكتساب ثقة المستجوب وثقة السجل المكتوب بتاريخه ومكانه واسم الشخص المستجوب فضلاً عن ضرورة تحديد المصطلحات المستخدمة مع الاهتمام الاساسي بعدم الخروج عن الموضوع وأن تكون الأسئلة واضحة محددة لا تحتمل التأويل والتفسير .. ويتم هذا كله بناء على قيام القائم بالمقابلة بالإعداد الجيد لأسئلته قبل للمقابلة، مع الاعتماد على إعطاء أحكام تقييمية.. ولكن لابد أيضاً من تسجيل ملاحظات جانبية أخرى عن حالة المستجوب العصبية أو أنه كان في حالة اطمئنان واسترخاء Relax.

وفي النهاية لابد من الإشارة إلى أن إجراء المقابلات ليس أمراً بسيطاً، ذلك لأنه يحتاج إلى نشاط متعدد (في التسجيل المكتوب أو المرئي وفي سحبه وتكويده) ، كما يجب الحذر من عدم التعميم نتيجة المقابلات ولكنها فريدة في إمكانية الدخول في أفكار المستجوب واتجاهاته.. وإذا ما تمت المقابلة بنجاح فهو نشاط عالي الأهمية ويقدم مكتسبات ربما لا تتحقق بالوسائل الأخرى.

ثانياً: المبادئ التي ينبغي مراعاتها أثناء المقابلة

١. كسب ثقة الشخص الذي تجرى معه المحادثة لضمان تعاونه في الرد على الأسئلة.

2. وضوح الأسئلة حتى تشجع المستجوب على أن يعبر عن اتجاهاته بحرية تامة (أي أن تشمل أسئلة مفتوحة ومغلقة) . ومن الضروري أيضاً أن يسيطر للمقابل على المناقشة حتى لا يخرج المستجوب عن الموضوع.
3. يجب أن تتم المقابلة في وقت ملائم .. وألا تكون في حضور أشخاص آخرين قد يتدخلون في الإجابة، أو قد يخرج المستجوب في التعبير عن رأيه بصراحة لأسبابهم.
4. يجب ألا تزيد المقابلات مع نفس الأفراد عن مرتين في العام، حتى نتجنب العينة المتحيزة (Biased) وسعود لمناقشة ذلك عند الحديث عن طريقة أسلوب القياس التكرارى.
5. يميل الأشخاص عادة إلى الإجابة بصراحة أكثر على الأسئلة التي يلقونها عليهم أشخاص آخرون من نفس طبقتهم أو جماعتهم. ولذا فمن المفصل اختيار الشخص الذى يقوم بالمقابلة اختياراً سليماً كما يفصل ألا يتم تسجيل بيانات المقابلة أثناء المقابلة ذاتها، بل بعدها مباشرة وذلك حتى يكون المستجوب منطلقاً ومنبسطاً وحرراً أثناء المقابلة.

رابعاً: بعض النتائج المتصلة بالبحوث الكمية والمقابلات

1. تتطلب مشكلات بحوث علوم الإعلام منهجية متعددة الجوانب كما أن هناك تكاملاً في المسارين النوعى والكمى لهذه البحوث.
2. هناك ميل شديد نحو الأساليب الكمية كطريقة وحيدة في بعض الأحيان للدراسات الإعلامية كما يعكس الإنتاج الفكرى وعياً قليلاً جداً بالمناهج النوعية التي طبقت على مدى عقود عديدة في العلوم الاجتماعية.
3. تهتم بحوث علوم الإعلام - كجزء من العلوم الاجتماعية- بنماذج سلوك الناس والتفاعل بينهم أو بين الناس والنظم، وبالتالي فلا بد أن يكون الباحثون على استعداد دائم لشرح مبررات استخدام الطرق النوعية

والدفاع عنها وأن يكون الباحث على وعى مستمر بمزايا وسلبيات الممثل النوعي.

4. يركز البحث الكمي (الإيجابي) على القياس والاختبار ويركز البحث النوعي (الهيرمانتيكي) على المشاركين والعوامل الكامنة في السياق.

5. تعتبر المقابلات التليفونية وجماعات المناقشة والاستبيانات والدراسات التي تتم عبر البريد الإلكتروني ومن خلال الانترنت، تعتبر هذه جوانب جديدة في البحوث المسحية الكمية، ويمكن أن تكون أيضاً نوعية وكمية في نفس الوقت حسب متطلبات موضوع البحث.

خامساً: الملاحظة والبحث النوعي

تلعب الملاحظة دوراً هاماً في البحث النوعي، سواء على المستوى الجماهيري أو على مستوى التحكم المعلي، هذه وتتلوح أساليب الملاحظة من الملاحظة المكنة Covert Observation إلى ملاحظة المشاركة Participant، والقائم بالملاحظة بالمشاركة يلعب دوراً فيها، فقد يكون هو نفسه المستفيد يسأل أسئلة معينة أو يسلك سلوكاً معيناً ثم يلاحظ رد فعل الآخرين عليه، وأن كان بعض الباحثين يرون للنوع الأخير من الملاحظة لا يضمن الحيادية في النتائج.

هذا وتعتبر الملاحظة بالمشاركة عملية استطلاع غير مباشرة للرأي، فهي أقرب إلى الأسلوب العلمي التجريبي. كما تعتمد على ملاحظة الانفعالات والتصرفات والحركات والنبزات والإشارات والهمسات وغير ذلك مما يؤدي معلى... وهي تتم بالتكوين السريع والتسجيل الأمين للرأي وللأسلوب الذي يستخدم في التعبير عنه وملاصقته.

والذين يقومون باستطلاع الرأى بطريقة الملاحظة بصفة عامة يتصلون مباشرة بالناس فى أماكن العمل والالتقاء كاللواى والمقاهى والمسينما والمساجد والكنائس والقطارفت وغيرها.

وتكتب البيانات.. ثم تتولى جهة استطلاع الرأى العام فحصها وتبويبها واستخلاص نتائجها. ويجب ألا يكون التكوين فى وقت بعيد عن وقت إجراء الملاحظة ذاتها.

وتزداد قيمة الملاحظة كطريقة من طرق البحث فى الحالات التى يزيد فيها احتمال مقاومة الأفراد لما يوجه لهم من أسئلة، أو عدم تعاونهم مع الباحث أثناء المقابلة، وعلى كل حال فتكاليف طريقة الملاحظة أقل من تكاليف غيرها من الأساليب.

وكثيراً ما تعتبر التقارير التى يكتبها الصحفيون تقارير غير صحيحة بل ومضللة.. وذلك إذا بنيت على عينة غير ممثلة أو إذا اعتمدت على ملاحظات عابرة أو انطباعات وتحيزات شخصية أو غير ذلك من أخطاء الأداة (Instrument Errors) التى يمكن أن يرتكبها الصحفي.

ومع ذلك فمن الممكن ملاحظة الناس بطريقة أخرى منظمة ومستمرة.. وذلك للحصول على بيانات لا يتم التعبير عنها بشكل إحصائى.. ولكنها تعتبر بيانات صحيحة وموثوق بها، كذلك التى يتم للحصول عليها عن طريق الاقتراع أو قياس الاتجاه .

سادساً: الملاحظة النظامية والملاحظة الجماهيرية فى قياس الرأى العام

ويرى كثير من الباحثين أن الملاحظة النظامية (Systematic Observation) وخصوصاً تلك التى يشارك فيها الباحث والمستجوب فى خبرات مشتركة- من شأنها أن تقدم للباحث بيانات عن الرأى العام فى مصوره السياسى والاجتماعى Political and Social Context . والتقليل من خطأ التحيز

الشخصى فى إعداد تقارير موثوق بها- يمكن أن يتحقق عندما يشترك عدد من الباحثين فى موضوع معين، ثم تقرر نتائج الانطباعات الخاصة لأكثر من باحث واحد للمبالة موضوع الدراسة وهكذا.

وهناك طريقة أخرى لقياس الرأى العام تسمى طريقة الملاحظة الجماهيرية Mass Observation وتتلخص هذه الطريقة فى تعيين ملاحظين ميدانيين متفرغين، ينتشرون فى أماكن متفرقة ومحددة فى الدولة.. وبالإضافة إلى ما يقوم به هؤلاء الملاحظون من مقابلات عامة (Interviews) فإنهم يغمسون مع الناس فى الأماكن العامة، حيث يلاحظون ويسجلون المناقشات التى تدور بين الناس وكذلك الحوادث والضعائر الدبية والاحتفالات ورسوم الحائط وغيرها من المعلومات التى تحصل بوسائل تكوين الرأى Channels of Opinion Forming ويقوم هؤلاء الملاحظون كذلك بتسجيل ردود فعل الناس بالنسبة لمسائل محددة. وبعض هؤلاء الملاحظين يحتفظون بمفكرات Diaries يبحثون بها فى نهاية مدة معينة إلى المكتب المركزى الذى يتولى فحصها ومعالمتها إحصائياً.

وتظهر النتائج بشكل إحصائى ولكن الأرقام تكون مصحوبة عادة بتعليق كفى "Qualitative Statement" يكتبه الملاحظون أنفسهم. وهناك طريقة أخرى تعتمد على الملاحظة المباشرة "Direct Observation" ويجب الإشارة إليها كذلك. فمن الممكن تحت ظروف معينة الوصول إلى استنتاجات تتعلق بالرأى العام عن طريق تحليل مضمون وسائل الاتصال، أى أن تحليل محتوى وسائل الإعلام يمكن أن يستخدم كوسيلة لقياس الرأى العام، خصوصاً فيما يتعلق بالرأى العام الأجنبى، وقد عمدت الحكومات أثناء الحرب العالمية الثانية إلى تحليل محتوى صحف وإذاعات العدو للتعرف على اتجاهات الرأى العام.

ومن الواضح أن الاعتماد على الصحف والإذاعات المحلية للعدو، للتعرف على اتجاهات الرأي العام - أمر فيه مخاطرة كبيرة خصوصاً والعدو نفسه يعلم أن صحفه وإذاعاته تتعرض للتحليل والتفسير من قبل الجانب المعادي له. وعلى ذلك فالعدو يتحكم عن طريق الرقابة - في أساليب أخرى للتصليل والتعبئة. كما أن المقالات والأخبار الصحفية لا تعتبر دائماً مرآة للرأي العام. وذلك لأن الصحف لا تعكس اتجاهات الجماهير بحسب .. بل تؤثر الصحف كذلك في هذه الاتجاهات...

وأخيراً فبدخل في نطاق الملاحظة النظامية طريقة أخرى تعتبر ذات أهمية لقياس الرأي العام في المجتمعات الديمقراطية، خصوصاً أثناء السلم، وهي طريقة تحليل الشائعات المتداولة . ذلك لأن الشائعات تعتبر كشائعات لما يعتبره الناس أموراً لها أهميتها، كما أنها تعكس المشاكل والمواقف والمسائل الغامضة بالنسبة للجمهور سواء تم انتشار هذه الشائعات عن قصد أو عن غير قصد (All port, Gordon, 1947, ch.2).

وعلى كل حال يرى معظم خبراء الرأي العام أن طريقة تجميع الشائعات وتحليلها تؤدي إلى كثير من الالتباس وعدم الدقة في النتائج. وكل ما يصل إليه للبحث من وراء ذلك هو مجرد الحدس والتخمين.

لذا يرى هؤلاء الخبراء أن تقتصر هذه الطريقة - بما تؤدي إليه من الحدس والتخمين - على بيانات الرأي العام الخاصة بالعدو أثناء الحرب حيث تكون هذه المعلومات والبيانات غير متوافرة بالقدر الكافي.

وإذا كان الحديث السابق .. قد تركز على طريقة الملاحظة، كأسلوب للتعرف على الرأي العام، فينبغي ألا ننسى الدور الأساسي الذي يقوم به ملاحظ الميدان Field Observer الذي يجب أن يتوافر فيه كثير من الصفات الشخصية التي تجعله قادراً على القيام بوظيفته على الوجه الأكمل. هذا بالإضافة إلى ضرورة إحاطته بحملة البحث العلمي وفروعه وأدواته وطرق اختيار العينات وطرق تحليل وتفسير النتائج وشروط المقابلة والملاحظة. كما

ينبغي أن يكون لديه الدافع القوي للقيام بمهمته والإحساس بأهمية النتائج التي يصل إليها.

وأخيراً فإن نجاح ملاحظ الميدان يعتمد على خبرته وتدريبه. وكثيراً ما يتم تدريب ملاحظ الميدان عن طريق تمثيل الأنوار، أي أن يقوم أحد ملاحظي الميدان بتمثيل دور المتحدث إليه فيما يقوم ملاحظ آخر بإجراء الملاحظة في حين يقوم باقي الملاحظين بالمشاهدة.

سابعاً: الملاحظة بالمشاركة participant Observation

1/7 تعريف ومتطلبات:

تعتبر الملاحظة بالمشاركة أسلوباً بحثياً كفيماً، يمدنا بإمكانية دراسة الناس في المواقف الحياتية الفعلية، أي أنه أسلوب يجعل الباحث يحوّل في البيانات ويتعلم الكثير عن موقف معين نظراً لتواجده وحضوره مع الناس، هذا وتعتبر الملاحظة بالمشاركة شكلاً من أشكال البحث الميداني، وكما يعكسه الاسم نفسه فإن الباحث مشارك في الجماعة أو المنظمة التي يقوم بدراسة، وعلى الباحث أن يوازن بين دورين هامين وهما أن يكون الباحث مشاركاً وأن يكون ملاحظاً.. على ألا يفقد هويته وموضوعيته في الدراسة، أي أن الباحث مشارك بالملاحظة وملاحظ بالمشاركة، وفي الحالة الأولى هو جزء وظيفي Functional في الجماعة، يستمتع بالفهم القريب من السياق Context بالإضافة إلى الدور الإضافي كملاحظ ومسجل، أما الحالة الثانية كملاحظ بالمشاركة فالمقصود بها هو أن يكون الباحث كملاحظ خارجي محايد، الذي أعطى مزية للمشاركة بفرض تسجيل بعض الملاحظات ، وفيما يلي بعض الأمثلة التي نأمل في اكتشافها عن طريق الملاحظة بالمشاركة:

- أين يفعل الناس ما يقومون به من أنشطة؟
- ماهي الأفكار العامة والخاصة المعرفية التي يمتلكها الناس؟
- ماذا يفعل الناس؟

- من الذى يفعل ماذا ولمن؟
- من الذى يبدأ بالفعل ومن الذى يتفاعل معه وكيف؟
- لماذا يفعل الناس بالذات؟
- متى (وما هى عدد مرات) للقيام بهذا العمل؟
- ما طول الزمن الذى يستغرقه فى هذا العمل؟

2/7 ما هى المتطلبات التى يجب ان يلبسها القائم بالملاحظة المشاركة؟

- هناك بعض المتطلبات المسبقة لجميع الملاحظين بالمشاركة وهى أن الباحث يجب أن يلبس ثقة الأشخاص الذين يقوم بدراساتهم وأن وجوده لا يمثل لهم إلا أقل التدخل، ومن الأهمية بمكان أن يزوده المبحوثون بالاستجابات الآمنة وألا يخفوا أنشطة أو اتجاهات أساسية.
- الملاحظ بالمشاركة يعتمد بالتالى على المهارة فى العلاقة المتبادلة مع الأشخاص المعنوسين، فضلا عن مقدرته على قراءة ما بداخلهم.
- لابد من تعرف الباحث على المشاركين فى الملاحظة التى يقوم بها، وما عندهم وما هى علاقتهم بعضهم ببعض، ومن الأهمية بمكان معرفة وتسجيل البيانات الديموجرافية عنهم (كالعمر والجنس والوظيفة...)

3/7 ما هى اهم المشكلات المتصلة بالملاحظة المشاركة وما هى مزايا هذه الدراسات؟

- من بين المشكلات الهامة التى يضعها الباحث أمام عينيه هى:
- استحالة دراسة كل شىء أى أن الباحث يجب أن يركز Focus على شىء محدد.
- وجود أفراد ضمن الجماعة المعنوسة ممن يؤثرون على سلوك الجماعة وهى وجودك كملاحظ بالمشاركة يغير الطريقة التى يتعامل بها أفراد الجماعة مع بعضهم؟

- مشكلة قراءة ما في عقول الذين نلاحظهم بالمشاركة، كما يجب الحذر أن نفترض بأن تفسيراتنا لسلوك بعض الأشخاص هي ما يعنيه هؤلاء الأفراد بهذا السلوك؟

وإحدى طرق تجنب الخطأ في قراءة العقول، هي أن نوجه إليهم الأسئلة عن قيامهم بفعل شيء معين والمقارنة بين أفعالهم وأفعالهم لما من ناحية مزايا دراسات الملاحظة بالمشاركة ف يمكن الإشارة لما يلي:

- الملاحظة بالمشاركة تساعد في فهم ما يجري داخل جماعات معينة نقوم بدراساتها، فالعيش مع الجماعة سيجعلك ترى أشياء لم تكن ظاهرة أو واضحة أمامك، وعقولنا تبحث باستمرار عن المعنى، وهذا المعنى ندركه بفهم العلاقات والنماذج، والملاحظة المنهجية بالمشاركة للجماعات تساعدنا على اكتشاف هذه النماذج والعلاقات.
- تساعدنا الملاحظة بالمشاركة على تحديد الأسئلة التي يجب سؤالها للمشاركين معك، والإجابات على هذه الأسئلة هي التي تفتح أمامك خبايا أفكارهم.

4/7 خلاصة،

الملاحظة بالمشاركة واحدة من أهم أشكال البحث للواسعة الانتشار، ولكنها واحدة من أكثر الأشكال صعوبة، لأن هناك صعوبة في استخراج المطلوب للبحث والموجود في أعماق الناس، كما أن الاتصال بين الأفراد وعلاقتهم بعضهم ببعض أمور في غاية التعقيد، والملاحظة بالمشاركة تتم في الأحوال الطبيعية (وليس في الأحوال المحكومة العملية) وبالتالي الحصول على معلومات عما يفعل الناس بالمقارنة بما يقولون إنهم يفعلون.

ويذهب الباحث بيرجر (Berger, A.A 2000: 170) إلى أننا يمكن أن نستخدم نفس الطرق في الملاحظة بالمشاركة في تحليل نصوص الفيديو

الجماهيرية كما هو الحال بالنسبة للإعلان أو للفيلم عن مستشفى أو رواية علمية Science Fiction.

ثامناً: أسلوب القياس التكرارى: Panel Technique

يتضمن أسلوب القياس التكرارى -كأسلوب للبحث- تكرار المقابلات مع نفس مجموعة الأشخاص. والأشخاص الذين يشتركون فى الدراسة يعرفون بأعضاء الحلقة Panel Members لما للعملية كلها فقد أصبح اسمها أسلوب القياس التكرارى Panel Technique (Berelson,B,645-53).

وإذا كانت مراكز قياسات رأى العام تحذر القائمين بالمقابلة (Interviewers) من القيام بالمقابلات مع نفس الأشخاص أكثر من مرة أو مرتين فى العام -حتى لا تكون العينة متحيزة بعد كثرة المقابلات- كما أن الأسلوب التكرارى ينقص هذه القاعدة ص عد.. أى أن الأسلوب التكرارى يتطلب تصميم عينة ممثلة ثم يشجعها على التعلون مع المقلب، على أن تتكرر للمقابلة مع نفس الأشخاص بعد ذلك. ويتضح ذلك فى الدراسات التالية:

1- دراسة آثار Effects حدث أو أحداث معينة على رأى العام:

وذلك كدراسة الآثار التى تحدثها الحملات الإعلامية أو الدعاية الانتخابية أو الجهود الإعلامية على رأى العام.

وربما يقول قائل: إذا كما نريد أن نتعرف على تأثير حملة انتخابية معينة فما علينا إلا أن نقوم بالمقابلة Interview مع جماعة معينة قبل الحملة الانتخابية، ثم نقوم بمقابلة أخرى مع جماعة أخرى مماثلة بعد الحملة. وبمقارنة اتجاهات (Trends) الجماعتين يمكن أن نستنتج أن رأى العام قد تغير أم لم يتغير نتيجة لهذه الحملة.

وتعتبر هذه الدراسة الأخيرة بالغة الأهمية والقيمة ... ولكنها تعرف بدراسات تطور الاتجاه (Trend Studies)، أى أنها تنلنا على للتأثير النهائى (Net Impact) للأحداث على رأى العام . أما فى الأسلوب التكرارى

(Panel) فيمكن تحديد الأشخاص الذين بقوا ثابتين أو غيروا آراءهم بعد المقابلات المتكررة، كما يمكن معرفة أسباب الثبات والتغيير ودور وسائل الإعلام في هذا التغيير.

وعلى ذلك فإذا وصفا مجموعة من الأشخاص تحت الملاحظة المتكررة، فإنه يمكن أن نسجل التغييرات التي تحدث في اتجاهاتهم وانتماءاتهم وعاداتهم وثقافتهم، ونستطيع كذلك أن نميز بين الاتجاهات الأكثر أصالة More Basic وبالتالي الأكثر ثباتاً ورسوخاً، وبين الاتجاهات الأكثر سطحية وتعرضاً للتغيير.

دراسة الأشخاص وهم تحت تأثير الضغوط المتعارضة: Cross Pressures وذلك للوصول إلى تحليل دقيق.. وفهم أكثر واقعية لأسباب التغيير الاجتماعي، ولشرح هذه المشكلة الأخيرة.. يمكن أن نقول بأن كل واحد منا، يتعرض لهذه الضغوط المتعارضة بشكل من الأشكال في حياته اليومية. أي أن الفرد منا- إزاء واقعة جديدة- يمكن أن يكون حائراً أو موزع النفس بين عاملين: عامل أصيل في ذاته يدعو لاتخاذ موقف معين، وعامل آخر متعارض مع العامل الأصلي يدعو لاتخاذ موقف آخر. والمثال التالي يوضح الموضوع:

إذا تقدم حزبان للانتخابات مثلاً كل منهما يدعو لمرشح معين، فإن المواطن الذي ينتمي إلى أحد هذين الحزبين ولكنه يفضل انتخاب مرشح الحزب الآخر- يقع تحت ما يسمى بالضغوط المتعارضة. ذلك لأنه يريد الدفاع عن الموقف الأصلي وهو انتخاب مرشح الحزب الذي ينتمي هو إليه، وانتخاب مرشح الحزب المعارض الذي يعبر عن الموقف الجديد.

ومميزات الأسلوب التكراري تتمثل في التوفير المالي... ذلك لأن المقابل سوف لا يدفع في تأمين العينة، كما أن المكتب المركزي ليس في حاجة إلى الاهتمام بدرجة تمثيل الإجابات التي يتسلمها من المقابليين، بطراً لتأكده من الصفة التمثيلية للجماعة. ويصبح المقابل بالتكرير مستوعباً

لشخصيات المقابليين، وهذه المعرفة يمكن أن تساعد وأن تساعد المكتب المركزي في تقييم وتفسير نتائج البحث.

ولكن للأسلوب التكرار بعض العيوب.. ومنها: أن بعض أعضاء الجماعة يتركونها لأسباب مختلفة. وعلى ذلك فيبقى لمدير البحث أن يبدأ دراسته بعينة أكبر كثيراً مما يحتاجه حتى يتبقى عدد نهاية المصح عدد كاف.

أما العيب الأهم للأسلوب التكراري.. فهو عيب يتصل بنتائج النفسية. فمميز وعى وتنبه الأشخاص الذين يترقبون إعادة للمقابلة معهم وبالتالي فمبحاولون في الفترة التي تفصل بين المقابلة الأولى والثانية، اكتشاف الأسباب وراء معتقداتهم وآرائهم لأنهم يعرفون أنهم سيستجوبون بعد ذلك. وربما أدى ذلك إلى إجابات ثابتة لنفس السؤال. ومعنى ذلك أنهم يخفون التعبيرات للحقيقة في الاتجاه.

وقد يعمد هؤلاء إلى بذل جهود لزيادة معلوماتهم بقراءة الصحيفة أو المجلة أو الاستماع بعناية أكبر لبعض برامج الإذاعة.. وهكذا وباحتصار فإن الأسلوب التكراري الذي يبدأ بعينة ممثلة للسكان يمكن أن يصبح غير ممثل من الجهة النفسية لاتجاهاتهم، وذلك لأن الناس ليسوا مثل العناصر الكيميائية التي تتأثر بأدوات القياس بطريقة ثابتة يمكن للتنبؤ بها. فالناس يتفاعلون مع أداة القياس ذاتها، أي مع المقابليين. مما يؤثر على الثقة والصحة في نتائج المصح.

وهناك عيب ثالث وهو يتمثل في الصعوبة البالغة لعملية التحليل الإحصائي لجداول الأسلوب التكراري. ومازالت الأساليب الإحصائية الصحيحة المتعلقة في حاجة إلى التطوير والتنقيح.

ويذهب المؤيدون للأسلوب التكراري بعد هذا كله إلى القول بأن هذه العيوب مبالغ فيها، وأن مزايها الأسلوب تزيد على عيوبه.. خصوصاً مع

استخدام عينات ضابطة أخرى للتعرف على مدى تأثير مجموعة الأسلوب التكرارى بالمقارنات المتكررة.

وبهذا الشكل نستطيع أن نصل إلى إجراء عملية تصحيح متتالية.. بإضافة نتائج العينة للضابطة لنتائج المجموعة التجريبية، كما أن مجموعة الأسلوب التكرارى يمكن أن تعيش لفترة غير محدودة مع إحلال أفراد آخرين فى المجموعة فى فترات منتظمة.

ثاسعاً. قياسات الاتجاهات المتدرجة Attitude Scales

أكثر الطرق دقة فى قياس الرأى العام هى طريقة استخدام الاتجاهات المتدرجة، وما يميز هذه الطريقة عن غيرها من طرق قياس الرأى العام لا يرجع إلى أن الأشخاص يشاركون بالقلم مثلاً، بدلاً من بيان الإجابة الشفهية على الأسئلة المطروحة -ذلك لأن أساليب القياس والقياس الأخرى يمكن أن تتم كتابة وأحياناً بالبطاقات أو الاستمارات التى ترسل بالبريد- ولكن ما يميز هذه الطريقة عن سواها هى أن مختبر الاتجاه Attitude Tester يسعى للحصول على قياس كمى للدرجة التى يحتفظ بها الشخص أو مجموعة من الأشخاص باتجاه معين.

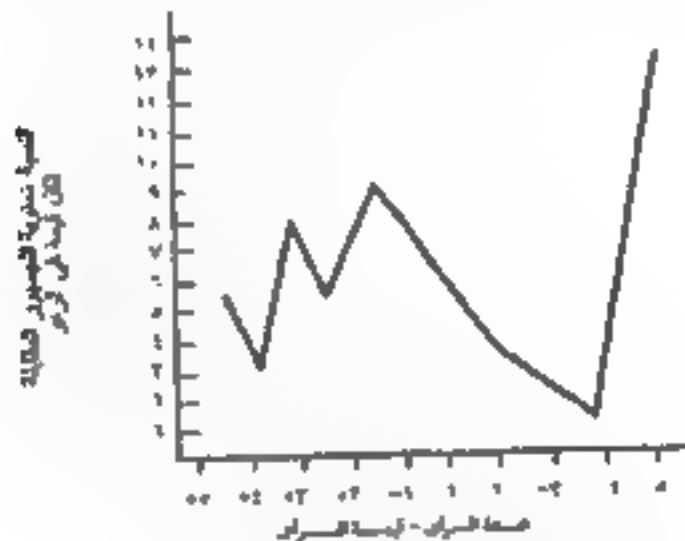
والاتجاه المدرج يشبه إلى حد كبير مجموعة الأسئلة Battery of Questions الموجودة على استمارة الاستبيان أو الاستطلاع. ولكن الاتجاه المدرج يختلف عن الاستمارة المذكورة بشموله لعدد أكبر من الأسئلة التى لم يتم احتياها مسبقاً فحسب بل تم تدرجها كذلك... أو يمكن تدرجها فى وقت لاحق.

ويهدف الاتجاه المدرج إلى قياس الاستجابة داخل الشخص، كما يحاول القياس التعرف على العلاقة بين اتجاه الشخص واتجاه مثابه داخل أشخاص آخرين فى نفس اللحظة.. أو لدخل نص الشخص فى فترات زمنية مختلفة. وبواسطة طريقة للوزن Weighting يستطيع الباحث أن يصنع قيمة رقمية (من رقم (1) إلى رقم (11) مثلاً) لكل جواب. ويتم الحصول على إجمالى

المعلومات Total Score للشخص على الاتجاه المدرج، عن طريق إضافة القيم العددية للدالة على إجابته على كل الأسئلة المطروحة.

وقد طور ثورستون Thurstone هذه الطريقة. ولكن ليكرت Likert بعدها، خصوصاً بالنسبة للجهد والوقت المبذولين فيها وإمكانية الحصول على نفس النتائج بعدد أقل من الأسئلة والأحكام.

ومن بين تطبيقات هذه الطريقة شدة التأييد أو المعارضة للرعاية السياسية، فقد قام المعهد الأمريكي للرأي العام (AIPO) عام 1953 بمسؤال عينة ممثلة للسكان عن رأيها في مكارثي Senator McCarthy واستخدم المعهد المذكور بطاقة خاصة لبيان شدة التأييد أو المعارضة.. حيث أوضح المقابلون للأشخاص المشتركين في العينة أو البطاقة التي تحتوي على عشرة مربعات تتراوح بين المكان الأعلى، ويتمثل بالرقم 5+ (ويدل على التأييد بدرجة كبيرة) والمكان الأدنى ويتمثل بالرقم 5- (ويدل على المعارضة بدرجة كبيرة) ... ثم طلب من المستجيبين أن يؤثروا على المربع الذي يمثل رأيهم في مكارثي . وكانت النتيجة هي الشكل البياني التالي:



شدة تأييد والمعارضة للزعيم السياسي
Ref : (AIPO 6/24/53)

والدينا هنا حالة من أقلية تتصف بالشدة في الرأي ضد مكارشي، وأغلبية غير متبالية نسبياً.. ولكن الفرق بين هذه وتلك في الحجم والشدة ليس كبيراً للغاية ويوضح ذلك في الجدول التالي:

القيمة	النسبة عند كل قيمة	المجموع	متوسط علامات الشدة
5	6	أغلبية تزيد مكرشي %35	2.7 أغلبية
4	4		
3	9		
2	6		
1	10		
1-	7	أقلية ضد مكرشي %30	3.4 أقلية
2-	4		
3-	3		
4-	2		
5-	14		
لا رأي له	35		

عاشراً، نماذج من مناهج البحث في بحوث الاتصال الجماهيري: إحصاء شامل لثمانى دوريات في مجال علوم الإعلام بين عامي 1990 - 2000 م .

قام الباحث كريج ترومبو (Trumbo, Craig, 2004) بتحليل مناهج البحث المستخدمة في بحوث الاتصال الجماهيري وكان مجموع المدخل (2.649) مدخل من ثمان دوريات مشهورة في المجال، وذلك للتعرف على المناهج النوعية والكمية والبزرات البحثية وطرق تجميع البيانات ومصادرهما فضلاً عن البحوث التي تجمع بين المناهج للكمية والنوعية، حيث أظهرت الدراسة (60) للكمي وعدد (40) للنوعي، كما يلاحظ أن نصف هذه الدراسات هي دراسات نظرية وفيما يلي رسم تخطيطي لعنوين الموضوعات واسم الدورية وبياناتها البيولوجرافية وذلك أمام كل منهج مطبق، حيث قام مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا باختيار عدد (28) مقال ذات علاقة بالبيئة العربية وذلك كما يلي:

المصدر الإلكتروني	النوع المصحح	الملاحظة	تحليل المضمون	المراجع
✓	✓			1. تسريع مصادر معلومات التلوث : لفتنر ميمى وتجريبي للمراسلة الإعلانية. Journalism & Mass Communication, v.72(1995), 178-89.
✓			✓	2. تأثير تحليل برنيج التلفزيون مع شجاع حور يوسف دوككيس الأول. Journalism Quarterly, v.67(1990), 814-25.
	✓			3. تمثيل الجنس في قناة المدينة الإلكترونية ونيس النساء في مينا موبكا J.Broadcasting and electronic media, v.37(1991), 49-65.
	✓	✓		4. تأثير لوم التلفزيون في الحياة المحلية لئيرال Journal of communication, v.4, 1991, 70-87.
	✓	✓		5. إشباع التلفزيون للرغبات الاجتماعية لأهل المنزل Communication Research, v.21(1994), 643-41.
	✓	✓		6. استخدام الموظفين المؤقتين والمديرين في بيئة حكومية محلية Communication Res, v.34(1997), 695-730.
	✓	✓		7. رؤية الأخبار التلفزيونية بواسطة كبار السن Journalism Quarterly, v.67(1990), 137-41.
	✓	✓		8. كيف يتعرف التلفزيون المحلي على الأخبار. Journalism Quarterly, v.7(1990), 672-83.
	✓	✓		9. الإعلام الجديد هل ترى كإعلام أو كتلفزيون Journalism Quarterly, v.68(1991), 120-30.
	✓	✓		10. دراسة عن آراء الإعلايات Journalism and Mass communication Quarterly 77(2000), 292-307.
		✓		11. أساليب لغير التلفزيون الموصوفين Journal of Communication, v.41(1991), 150-61.
		✓		12. صحفيون الذين ماتوا أو قتلوا في فترتهم المهمة دراسة في الصحافة العالمية 1982-1989 Journalism Quarterly, v.68 (1991), 195-99.
		✓		13. تثبات والتغير في وكالات الأنباء الخمسة الكبرى Journalism Quarterly, v.70 (1993), 40-50.
		✓	✓	14. تلفزيون الاشتراك في العالم الثالث، التجربة المغربية Journal of Communication, v.41(1991), 26-39.
		✓	✓	15. كيف يصف الصحفيون حياتهم - الفروخ والفراس في صناعة الأخبار Journalism Quarterly, V.67 (1990), 295-301.
		✓	✓	16. بحث الاتصال الجماهيري في أمريكا اللاتينية Journalism Quarterly, v.67(1990), 1015-1024.
		✓	✓	17. استيراد الأخبار الأجنبية: دراسة حالة للخدمات الإعلامية للاستخبارات برين. Journalism Quarterly, v.70 (1994), 421-32.
		✓	✓	18. صحيفات المرأة أو صحيفات النساء، إنتاج الأخبار للنساء في واشنطن بومب في الخمسينيات. Journalism and mass communication quarterly v 73 (1996), 364-78.

المنهج المنهج	المنهج المنهج	المنهج المنهج	المنهج المنهج	المنهج المنهج
			✓	19 نموذج اتصال يوحى مصمم بين الأشخاص. تحليل نظرية الدراسة grounded Human Communication Research, v.25 (1999), 531-47
			✓	20 الصحافة الأمريكية والخلفاء تاريخ الأحداث Journal of communication, v.47 (1997), 27-53
			✓	21 نظرية التلفزيون للاكتشاف 1978-1968 Journal of communication, v.42 (1992), 5-24
			✓	22 سياسات حماية الأطفال من العنف بالتلفزيون Journal of communication, v.46 (1996), 116-38
			✓	23 بناء العنصرية والعنف في نظرية الأخبار الأمريكية Journal of communication v.41 (1991) 8-23
			✓	24 بناء العنصرية والعنف في نظرية الأخبار الأمريكية Journal of communication, v.41 (1991), 58-74
			✓	25 المراجعة الهيكلية في نشر التحليل الاقتصادي في الإنتاج الفكري Journalism Quarterly, v.68 (1991), 663-71
			✓	26 مؤتمر الأخبار: كيف يقوم محررو الجريدة اليومية بتصميم الصفحة الأولى Journalism quarterly, v 60 (1992), 971-86
			✓	27 الخبراء والعمليات الإخبارية في أخبار التلفزيون دراسة حالة في حرب الخليج Journalism and Mass Communication Quarterly v 72 (1995), 709-8,2
			✓	28 صورة الولايات المتحدة في الرسوم الكرتونية السياسية المعاصرة Journalism and Mass Communication Quarterly v 73 (1996), 609-619

تعليقات ومناقشات:

استخدمت في هذا النموذج الدوريات التالية ومرات استخدامها كما يلي:

1- Journalism Quarterly 29	(11) مرة
2- Journal of Communication 30	(8) مرات
3- Journalism and mass Communication Quarterly 31	(5) مرات
4-Communication Research 32	(2) مرتين
5- Journal of Broadcasting and electronic Media 33	(1) مرة
6- Human Communication Research 34	(1) مرة
المجموع (28)	

- لقد أصبحت المكتبات الإعلامية المعاصرة مكتبات إلكترونية وهذه المكتبات إلى جانب قواعد البيانات وشبكة الإنترنت تقدم للباحثين الإتاحة للمواد مهما كان موقعها، كما أن المكتبة نفسها تحتوي على مصادر مرجعية ذات أهمية قصوى في التعرف على الحفريات العلمية الضرورية (الموسوعات) وعلى للمراجع الدالة على معاني المصطلحات (القاموس) وعلى للمراجع الدالة على الأماكن (الأطلس) وعلى للمراجع الدالة على تاريخ حياة الناس (البيوجرافيا).
- وقد أصبحت معظم هذه المصادر المرجعية المطبوعة تظهر في الشكل الإلكتروني مع المطبوع أو في الشكل الإلكتروني وحده.
- في النموذج السابق الذي اخترنا منه (28) بورية ذات اتصال بالمشكلات العربية، لاحظنا أن الباحث قد اهتم في الأصل في البحث (60) مقال، وبعض هذه المقالات تشمل مدخلين الكمي والنوعي، كما يلاحظ مثلاً أن المقال الأول (رقم 1) قد استخدم منهجين هما للمصحى والتجريبي أما المقال الثاني (رقم 2) فقد استخدم منهجين أيضاً هما التجريبي وتحليل المحتوى وهكذا.
- اعتبرت الملاحظة في هذه الدراسة منهجاً وليس مجرد أداة لتجميع البيانات.

الفصل الخامس

منهج التحليل التاريخي

أولاً: ماذا نقصد بالتاريخ وما موقعه بين التخصصات العلمية؟

عندما نفكر في التاريخ فنحن نفكر في دراسات الماضي وبالتالي فالتاريخ يتحدث عن الماضي، أي أننا لابد أن نعتمد في التحليل التاريخي على الوثائق والمواد الأخرى، أما إذا كنا نتعامل مع التاريخ الحديث، فممكننا استخدام المقابلة للحصول على المعلومات المطلوبة، أما حين نتعامل مع التاريخ القديم فنحن نمتعين بالكتب والمقالات والتسجيلات والأعمال الفنية وغيرها من المواد التي يمكن أن نحصل منها على المعلومات.

وإذا ما توافرت المصادر الكثيرة، فنحن لابد أن نختار منها المصادر ذات العلاقة وذات الأهمية بناء على بعض مفاهيم النظرية التي ترشدنا إلى ذلك، فعلماء التاريخ لا يعمدون بناء الماضي عند التحليل التاريخي ولكنهم يفسرون الأحداث طبقاً للدليل.

هذا وقد رأينا التاريخ مرتبطاً بموضوعات محددة، فتاريخ الفلسفة يكتبها الفلسفة وتاريخ العلم يكتبه العلماء وهكذا، ولكن ماذا عن تعليم الطلاب ليكونوا مؤرخين Historians، هل نعلمهم منهجية معينة أو نتركهم ليتخصصوا في أي مجال ثم نعلمهم المنهج التحليلي التاريخي؟ وهناك مشكلات في كل من المنحطين، يشير إليها برجر (Berger, A. 2000: 131) في الجدول التالي:

التاريخ كتخصص بسيط	التاريخ كموضوع متخصص
- يقوم الطالب بدراسة التاريخ	- يقوم الطالب بدراسة مجال تخصصي محدد
- يمكن أن يتناول مختلف المجالات	- يتناول فقط مجاله التخصصي
- قد يتعمق المعرفة	- قد ينقصه الأسلوب المنهجي

هذا ويعود مصطلح البحث الوثائقي إلى السلطات العلمية، التي يقوم بها الطالب الباحث لتعلم الحقائق والمبادئ الجديدة، عن طريق دراسة الوثائق والمسجلات Records. وعلى الرغم من أن هذا النوع من البحوث، يمكن أن يستخدم في جميع المجالات الأكاديمية، إلا أنه ذو أهمية خاصة في دراسة التاريخ والأدب واللغات والإنسانيات على وجه العموم.. ويستخدم علماء التاريخ هذه الطريقة بشكل ثابت، مما أدى إلى تسميتها في كثير من الأحيان بالمنهج التاريخي Historical Method.

وينبغي أن نشير في هذا المجال إلى أن التاريخ ليس مجرد قائمة بالأحداث في ترتيبها الزمني، إنه السجل الدال على إنجازات الإنسان.. إنه رواية حقيقية متماسكة للعلاقات بين الأشخاص والأحداث والزمان والمكان.

والناس يستخدمون التاريخ لفهم الماضي.. ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية.. ويمكن أن يوجه التحليل التاريخي نحو شخص معين، نحو فكرة، نحو حركة، أو نحو مؤسسة أو هيئة معينة، ومع ذلك فلا يمكن أن يعامل كل واحد من هذه الجوانب في عزلة عن الجانب الآخر.. فلا يمكن مثلاً أن تخضع شخصاً ما للبحث التاريخي، دون اعتبار لتفاعله مع الأفكار والحركات والمؤسسات القائمة في عصره.. وتحدد السبورة (وهي الشخص الذي تخضعه للبحث في هذا الحالة) نقطة التركيز فقط، التي يوجه إليها باحث التاريخ انتباهه.

وعلى الرغم من أن البحث التاريخي ذو أهمية بالغة في فحص أحداث الماضي (في الواقع هذا النوع من البحث هو الطريقة العملية الوحيدة) إلا أن البحث التاريخي يمكن استخدامه كذلك بشكل مفيد في دراسة الأمور الجارية.. وعلى سبيل المثال، فقد استطاع لحصائير الشعرة والكتابة السرية الأمريكيون (American Cryptographers) أن يستعينوا بطرق البحث الوثائقي لحل شفرة العدو وبالتالي ترجمة رسالاته العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية.. أي أننا لا ينبغي أن نعتبر البحث الوثائقي محدوداً بالدراسات التاريخية..

وربما تعتبر هذه الطريقة التي تتصل بتجميع وتحليل البيانات والمعلومات أقدم شكل من أشكال البحث الحقيقي.. ولقد استخدمها المؤرخون اليونان القدماء . واستخدمها أرسطو في دراسته عن الدراما والشعر اليوناني . ولقد طرأ على هذه الطريقة الوثائقية الكثير من التنقيح في العصر الحديث . وبالتالي أصبحت أكثر دقة عما كانت عليه أيام الفلاسفة وعلماء التاريخ في زمن اليونان..

ويتضمن البحث التاريخي بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والمجلات- مع بعضها بطريقة منطقية .. والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية.

وعلى الرغم من أن هذه العملية مطبقة بطريقة أشمل فيما يتعلق بالوثائق الإنسانية، إلا أنها يمكن أن تكون مفيدة أيضاً في دراسة التسجيلات Records- غير الإنسانية - ذات الأشكال المتعددة .. ففي الجيولوجيا مثلاً يمكن دراسة تطور الأرض عن طريق تجميع ودراسة الصخور والحفريات من الطبقات المختلفة. فالوثائق التي يتم فحصها في هذه الحالة ليست مسجلات مكتوبة أو حتى آثاراً ومحطات للنشاط الإنساني.. فهذه المسجلات هي مجرد حقائق طبيعية تمثل سجلاً للأحداث، يمكن ملاحظته، كما تتصف هذه الحقائق بالاستمرار والدوام إلى حد كبير، فالحفريات نفسها تدلنا على حياة ما قبل التاريخ، بطريقة أفضل وأكثر أصالة مما يمكن أن نتعلمه من المسجلات المكتوبة (Written records) مهما كانت كاملة ودقيقة.

وقبل أن نتناول كيفية دراسة التاريخ يمكننا أن نتساءل أولاً لماذا ندرس التاريخ أصلاً؟ .. إلى الإجابة على ذلك تتصل برغبة الإنسان في التعلم . وسواء كانت هناك فائدة أو قيمة عملية من دراسة التاريخ الإنساني المسجل (أو عصور ما قبل التاريخ) أو لم تكن هناك قيمة فعلية.. فإن معظمنا يهتم بالتعلم والتأمل في الأحداث الماضية.

في حب الاستطلاع إنن، سيزودنا بتبرير كاف على أية حال بالنسبة للدراسة الوثائقية، ومع ذلك فيبدو أن هذه الوسيلة تمدنا ببعض التعميمات Generalizations - بناء على الأحداث الماضية- والتي يمكن أن ترشدنا في سلوكنا الحاضر.. هذا فضلاً عن أن الأفكار والاتجاهات الجارية تبدو معهومة بطريقة أفضل عندما نتعرف على أصولها والخطوات التي تمت خلال عملية النمو..

ومعنى ذلك أن الوثائق لا تعتبر ذات قيمة أثرية فحسب، ولكنها تعطينا قوة متزايدة لفهم الطبيعة وفهم أنفسنا.. ونحن ندرس سجلات الماضي والحاضر لفهمها ولكتشاف الحقائق منها وكذلك لنعلم أشياء وحقائق عن مؤلفيها وواضعيها (في حالة المسجلات الإنسانية) . وأخيراً فنحن ندرس الوثائق للوصول إلى التعميمات (الفروض أو النتائج) عنها.

ثانياً: نشاط الباحث التاريخي ومدى اقترابه من العلم

يبنى المؤرخين دراستهم على الحقائق أو ما يعتقدون أنها حقائق، ولكنهم بالقطع لن يستطيعوا كتابة الجوانب التاريخية كلها اعتماداً على الحقائق فقط، ذلك لأنهم يقومون باختيار الحقائق والأحداث التي يعتبرونها ذات دلالة أكثر من غيرها، وبالتالي فهناك عنصر التفسير، وهذا ما يفرق أحدهما عن الآخر ويجعل من عملهم دراسة ذاتية.

ومع ذلك فمن الملاحظ أن المؤرخين يركزون اهتمامهم على الأشخاص السياسيين والعسكريين، ولا يعيرون اهتماماً للباس العاديين أو الحياة العادية أو الجوانب الثقافية أو الفنية .. فهذه بالنسبة لهم تبدو أقل أهمية، ومن هنا فدراسة التاريخ تشمل كلا من الموضوعية العلمية والذاتية في اختيار الجوانب التي يقومون بدراساتها وعلى الرغم من أن هناك لاختلاف في الرأي حول نشاطات الباحث التاريخي وهل تعتبر جهوده علمية

أم لا؟ وهل هناك شيء اسمه البحث التاريخي؟ ويمكن أن نعبر من وجهة نظر أولئك الذين يتخذون الموقف السلبى نحو البحث التاريخي فى اليبود التالية:

1. على الرغم من أن غرض العلم هو التنبؤ .. فإن البحث التاريخي لا يستطيع دائماً أن يعمم Generalize على أساس الأحداث السابقة. ذلك لأن الأحداث السابقة كانت غالباً غير مخططة أو أنها لم تتطور كما هو مخطط لها، لأن هناك عوامل أخرى كثيرة لا يمكن التحكم فيها، وكذلك لأن تأثير واحد أو عدد قليل من الأشخاص كان حاسماً.. وعلى ذلك فإن نفس النموذج بما يشمل من عوامل سوف لا يتكرر أبداً.

2. يعتمد الباحث التاريخي بالضرورة على الملاحظات التى يبنها الآخرون وغالباً ما يشك فى نزاهة وكفاءة هؤلاء الشهود نظراً لتحيزاتهم الشخصية.. ومعنى ذلك باختصار أن الموضوعية فى البحث التاريخي أمر مشكوك فيه..

3. أن للباحث التاريخي يشبه كثيراً ذلك الشخص الذى يحاول استكمال "العاز للصور المقطوعة" jig-saw puzzle حيث لا توجد أجزاء كثيرة من تلك الصور.. وعلى أساس الدليل غير الكامل.. فوجب على الباحث إذن أن يملأ الفراغات باستنتاج ما حدث وسبب حدوثه.

4. أن التاريخ لا يعمل فى نظام مقل.. مثل ما يحدث فى معمل العلوم الطبيعية، فالباحث التاريخي لا يستطيع أن يتحكم فى ظروف الملاحظة ولا يستطيع تناول المتغيرات ذات الأهمية والدلالة.

أما أولئك الذين يعتبرون أن البحث التاريخي له بعض صفات البحث العلمى فيعتمدون على المبررات التالية:

1. يحدد عالم التاريخ مشكلة معينة للبحث، ويضع الفروض أو الأسئلة التى تتطلب إجابة عليها، وهو يجمع ويحلل البيانات والمعلومات الأولية وهو

يختبر الفرض حتى يثبت اتفاقه أو عدم اتفاقه مع الدليل .. وهو يصع
أحياناً التعميمات والنتائج.

2. على الرغم من أن عالم التاريخ قد لا يكون قد شهد حدثاً معيناً، كما أنه
لم يجمع بياناته مباشرة في كثير من الأحيان ومع ذلك فله شهادة العديد
من الشهود الذين حضروا الحدث ورأوه من مختلف جوانبه.. ومن
الممكن أن تزودنا الأحداث التالية بمعلومات إضافية غير متوفرة
للمشاهدين المعاصرين.. فعالم التاريخ ليس يخضع لدوله بشدة للتحليل
النقدى وذلك للتعرف على أصالته وصدقته ونقته.

3 عندما يقرأ عالم التاريخ نتائج فإنه يستخدم قواعد الاحتمالات المتشابهة
لذلك التي يستخدمها علماء العلوم الطبيعية..

4. على الرغم من أن عالم التاريخ لا يستطيع التحكم في المتغيرات بصفة
مباشرة، فإن هذا العيب ليس قاصراً على المنهج التاريخي، بل هو يميز
البحوث السلوكية كلها خصوصاً تلك التي لا تستخدم فيها البحوث
المعملية المحكمة، وذلك مثل الاجتماع والإعلام والسياسة وعلم النفس
الاجتماعي والاقتصاد وغيرها.

وعلى كل حال .. فإن أكثر العوامل التي تحد من فعالية المنهج
التاريخي، هو أنه 'غير مباشر' Indirect أى أنه يجب أن يعتمد على
المصادر الأخرى. والطريقة أو المنهج الوثائقي هو منهج نقدي .. وبالتالي.
فإن المصادر معرضة للنقد الخارجي والداخلي .. والنقد الخارجي يتصل
بأصالة الوثيقة أى بسجلها وبمظهرها.. ولكن النقد الداخلي يتعلق بمعنى
الوثيقة ودرجة إتصالها بالحقائق.

إن تفسير المسجلات هو النقطة المركزية في للبحث الوثائقي .. ولما
كانت هذه المسجلات والوثائق هائلة الحجم أحياناً .. فيندفع على الباحث أن

يتعلم طريقة المعالجة وحسن الاختيار منها، حتى يستوفي البحث أركان الدراسة من جوانبها المختلفة..

ثالثاً: أسئلة البحث في الدراسات التاريخية:

وضع الباحث آرثر بيرجر (Berger, A.A.2000:139) التساءلات التالية:

1. هل نستطيع تضيق بؤرة البحث: حتى نستطيع أن نتناولها في الوقت المسموح به وبالمق الكافي.

2 هل نستطيع العثور على المصادر الأولية والثانوية المتعلقة:

على الرغم من اهتمامك للواضح بالموضوع، إلا أنك ربما لا تكون قادراً على الحصول على المصادر المطلوبة حتى من الإنترنت، وبالتالي فلابد من اختيار موضوع لبحثك له مصادر أولية (كالتسجيلات والبيانات والمقابلات والإحصائيات) والمصادر الثانوية (كالمقالات والكتب التي كتبها باحثون معروفون)

3. هل مصادرك موثوق بها: جميع المشتغلين بالبحوث التاريخية يواجهون مشكلة مدى الثقة في المصادر، فبعض الناس يكتبون في إجاباتهم أثناء المقابلات أي عند التعبير عن آرائهم، وإحدى طرق معالجة ذلك هو العثور على مصادر أخرى تزيد ما ذهب إليه هؤلاء.

4. هل أهل الثقة الذين تستشهد بهم موثوق فيهم؟ لقد سبقنا الإشارة إلى أن المؤرخين لا يتفقون مع بعضهم، وبالتالي فيفصل العثور على مصادر أخرى تزيد أو تنفي ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون.

5. ما هي المفاهيم أو نظرية التاريخ التي تستخدمها؟ عندما تكتب التاريخ فلابد من وجود مبدأ منظم يذك على المواد الجيدة الصحيحة والأخرى الرائعة أو المتحيرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد كانت هناك بعض المبادئ المنظمة في كتابات المؤرخين مثل: التاريخ هو سجل التقدم،

التاريخ هو دراسة صراع الطبقات، التاريخ هو قصة الزعماء والقادة
للمسكرين، التاريخ هو دراسة للحياة اليومية ... الخ.

رابعاً: أنواع الدليل التاريخي:

هناك مصادر أو أدلة أولية وأخرى ثانوية، والمصادر الأولية هي تلك
للمعاصرة للحدث أو لشخص أى أنها أقرب ما يمكن للحدث.. أما المصادر
أو الدليل الثانوي فهو غير المعاصر للأحداث أى أنه ليس هناك حلقة مباشرة
بينه وبين الحدث.. وعلى الرغم من أن الدليل الأولي هو أساس البحث
لوثائقي والتاريخي.. إلا أن الدليل الثانوي قد يكون له نفس أهمية الدليل
الأولي. هذا وتتجمع البيانات والمعلومات في البحث لوثائقي من مصادر
عديدة منها:

1- المذونات والوثائق الرسمية:

وهذه يمكن أن تشمل للمجلات الشرعية (التي تصدرها المحاكم مثلاً)
القوانين وغيرها من الأحكام التشريعية ومضابط الاجتماعات والتقارير
الإدارية (كالتقرير الرسمي لمؤسسة حكومية أو مدير جامعة لمجلس
الجامعة.. الخ) تقارير للجان في المنظمات والوحدات المختلفة، التقارير
السبوية، الشهادات الشرعية الخاصة بالأفراد (العقود والاتفاقات) أو التي
تملحهم قوة معينة على أفراد أو جماعات آخرين (كالإجازات والمواثيق ..
الخ) وغير ذلك من الوثائق المشابهة التي تدل على القرارات والأعمال
الرسمية .. وهذه الوثائق تشكل من غير شك مصادر للمعلومات الدقيقة نظراً
لحرص الجهات الرسمية على دقة هذه الوثائق واكتمالها وحفظها بعناية.

2 التقارير الصحفية:

على الرغم من أن هذه التقارير لا تكون دائماً دقيقة في التفاصيل التي
تسبورها (وحتى الحقائق يمكن أن تصدرها أو تعرضها بأكثر من طريقة

واحدة) ، فإن هذه التقارير - خصوصاً تلك التي تنشر في الصحافة أو الصحف المحترمة- تزودنا عادة بالحقائق الضرورية، وتعتبر سجلاً دائماً للأحداث التي تحدث يوماً بعد يوم في العالم..

وتزداد أهمية الصحف كمصادر للمعلومات، عندما لا تكون هناك رقابة عليها في البلد الذي تصدر فيه، ومع الرقابة تصبح الصحف مجرد وسط إعلامي للدعاية الرسمية حيث تميل نحو التحيز السياسي أو الاقتصادي وتتشكل الافتتاحيات وكتابات التحرير طبقاً لذلك.. ولكن يجب على كل حال أن نميز بين التقرير الحقيقي والتعبير عن الرأي (كما هو الحال في مقال رئيس تحرير إحدى المجلات) .. ومن الواضح أن الصحف والمجلات لا تكون بدقة واكتمال المصادر الرسمية أو العلماء.. وعلى ذلك فعلى الباحث أن يستخدم الصحف والمجلات عند عدم توفر المسجلات الرسمية..

3- تقارير شهود العيان عن الأحداث،

إذا لم يستطع الباحث أن يشهد الأحداث بنفسه (وهذا ما سوف يحدث عادة خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا التاريخية)، فإن وجود أحد الأشخاص الذين شهدوا الأحداث يعتبر مصدراً للمعلومات مرغوباً فيه.. وتأخذ هذه الشهادة الشكل الشعوي (عندما يتحدث الباحث مع الشاهد) أو تأخذ شكلاً مكتوباً...

ونظراً لعدم الاطمئنان إلى الذاكرة الإنسانية، فإن شهادة شاهد عيان "مكتوبة" وقت الأحداث نفسها سوف تكون أكثر ثقة من محاولة الشخص تذكر الأحداث بعد مضي وقت طويل عليها.. أي أن التقرير أو السجل المكتوب يبدو عادة أكثر مدعاة للثقة من التقرير الشعوي.. وإن كان ذلك ليس صحيحاً على إطلاقه.

4 المصادر الشخصية (كالرسائل والمفكرات):

يفترض أن الأوراق الشخصية كالرسائل والمفكرات لم يكتبها أصحابها بغرض النشر، وعلى ذلك فهي تكشف معلومات عن الأحداث أكثر تفصيلاً وصراحة مما تفعله الوثائق والمسجلات للعلماء. وهذه البيانات والمعلومات التي يستقيها الباحث من الكتابات الشخصية، تعتبر ذات أهمية في عمل الدراسات البيوجرافية (تاريخ الأشخاص)..

5- المفكرات والتراجم، Biographies, autobiographies and memoirs

وهذه المصادر - إذا كانت موثوقة فيها - تكون مفيدة في مراجعة الحقائق المتوفرة فعلاً عن حياة الشخص، ولكن هذه المصادر نادراً ما تؤسس حقائق جديدة.. ومن المفصل من غير شكل الاستعانة بالمصادر المباشرة والأصلية (كما ذكرنا سابقاً) إذا أمكن للحصول عليها.. كما أن المعلومات المباشرة في قصة حياة الأشخاص الذين تهمنا مذكراتهم يمكن أن تفيد في تتبع نمو وتأثير بعض الحركات أو الأفكار التاريخية، إلى حياة وأفكار الرجال الذين وضعوا الدساتير الأولى في حياة الأمة، أو أولئك الذين قاموا بالثورة الوطنية - لها أهمية بالغة في الدراسات السياسية والإعلامية والتاريخية وغيرها..

6- الدراسات الوصفية التي تمت في وقت سابق:

إذا لم يكن بالإمكان تكرار نفس الدراسات العلمية التي تمت في وقت مسبق (مثل القيام بتجارب أو دراسات معجية)، فإن هذه الدراسات تصبح مصدراً وثائقياً للمعلومات .. وتقرير الدراسة يستخدم بنفس الطريقة التي تستخدم بها أي وثيقة تاريخية أخرى.

7- الكتابات الأدبية والفلسفية:

إن الإنتاج الأدبي كالأشعار والروايات والمسرحيات والمقالات .. يمكن أن تزودنا بالمعلومات عن الأحداث الفعلية.. ولكن الباحث يميل غالباً إلى فحص هذا الإنتاج بالنسبة للأفكار التي تحتويها.. وفي الدراسات الأدبية واللغوية فإن الكتابات نفسها قد تشكل المصدر الضروري الحقيقى الوحيد عن البيانات والمعلومات..

8- البقايا الأثرية والجيولوجية:

وعلى الرغم من أن هذه المسجلات لا تعتبر وثائق كالمسجلات المكتوبة إلا أن البقايا الجيولوجية تؤدي نفس العرض في البحث التاريخي.. فهي تدرس بنفس الطريقة وهي تكشف عن بيانات تستخدم في تكوين النتائج والعروض.

9- متنوعات وأعمال أخرى، Miscellaneous

وهذه تشمل الأعمال الفنية والموسيقية والأثار والمحلفات وغيرها من مصادر المعلومات المختلفة التي تعتبر مصادر وثائقية هامة في أنواع معينة من البحوث أو في حالة عدم وجود معلومات وبيانات أخرى..

إن العمل الرئيسى الذى يواجهه الباحث الذى يقوم بحل مشكلة تتطلب الدليل الوثائقي، هو تحديد واختيار الوثائق نفسها.. وهذه الوثائق قد لا تكون سهلة المبال وتحتاج إلى عمل وصبر عظيمين لاكتشافها والحصول عليها، والمشكلة التي تتضمن البحث الوثائقي، لا يمكن حلها دون فحص المواد التي تحتوي على الدليل الضروري.

خامساً: أهمية المصادر الأولية :

من الأمور المتفق عليها لى للباحث لا يبنى أبداً لى يستخدم نسخة من إحدى الوثائق إذا كان باستطاعته لى يرى الأصل.. وعلى الرغم من أن

صورة الوثيقة (إذا أحسن تصويرها) تكفى أحياناً كبديل للأصل إلا أن الباحث ينبغي أن يكون حريصاً على الإطلاع على الوثيقة الأصلية.. ويزداد هذا الحرص إذا كانت الوثيقة (منشورة)... ذلك لأن الخطأ المحطوط فعلاً (الوثيقة) قد يدخل عليه بعض الأخطاء التي تغير من معالمه الأصلية والعرض منه.

والوثيقة التي تعتبر مصدراً أولياً هي - في معظم الأحوال المسجل المكتوب لما رآه الكاتب فعلاً أو سمعه - ويمكن أن يكون التقرير الصحفي مصدراً أولياً إذا شاهد المراسل الصحفي بنفسه الحدث الذي يكتب عنه.. ولكن المواد التي يقتبسها مؤلف معين من كتابات مؤلف آخر، لا يمكن اعتبارها مصدراً أولياً.. وعلى الباحث قبل أن يستخدم هذه المعلومات والبيانات أن يطلع على الأصل المنشور أو غير المنشور للمواد التي اقتبس منها. والكتب والحوادث والموسوعات وغيرها من المصادر التي تنشر الملخصات والموجزات لا تعتبر مصادر أولية، ذلك لأن هذه المراجع تعتمد في الأفكار والحقائق التي تنشرها لا على الملاحظة المباشرة ولكن على كتابات الآخرين.

والمعلومات والبيانات التي تمر على أيد كثيرة قبل أن تصل إلى يد الباحث - شأنها في ذلك شأن الإشاعات Rumors - لا تحمل إلا قليلاً من الشبه مع النص الأصلي .. والسبب في ذلك يعود إلى الأخطاء المقصودة أو غير المقصودة التي يقوم بها كاتب الآلة الكتابة أو الطابع أو المحرر.. الخ.. وقد أثبت البحث الدقيق في كثير من الحالات أن النصوص الأدبية أو التصريحات السياسية التي كانت تعزى لأفراد معينين، هي بعيدة كل البعد عما كتبه أو قالوه.. وعلى ذلك فإن الأساس الثابت الوحيد للنتائج التي يمكن أن يصل إليها الباحث في البحوث الوثائقية إنما يعتمد على استخدام المصادر الأولية .. أي تلك المصادر القريبة على قدر المستطاع من الظاهرة الفعلية

التي تخضع للبحث.. ويذهب الباحث الجاد إلى أن الوثيقة المفقودة هي كصفحة انتزعت من كتاب تاريخ الإنسان..

سادساً: التقييم الخارجى والداخلى للوثائق :

ويتصل هذا التقييم بالتعرف على أصالة الوثيقة (Authenticity) (وهناك التقييم الداخلى الذى يهتم بمعنى ودقة وقيمة البيانات التى تحتويها الوثيقة)، إن عند المزورين فى التاريخ الإنسانى كبير، فضلاً عن أن هناك دائماً فرصة وجود خطأ غير مقصود.. ومن أشهر قصص التزوير فى التاريخ العربى قصة التزوير المشهورة باسم هبة فسطاطين Donation of Constantine ، وقد حدثت فى القرن الثامن وعلى الأرجح بواسطة أحد رجال الكنيسة.. وقد خولت الوثيقة المزورة للإمبراطور السلطة الميخانية على جميع قطاعات إيطاليا. هذه وغيرها كثير من الوثائق المرورة والتي عرفت باسم الأحكام السبائوية الزائفة False Decretals ، وقد كشف عن زيفها فى القرن الخامس عشر عالم الإنسانيات الشهير لورنتيوس فاللا Laurentius Valla.

وهناك كثير من التزوير يقوم به بعض المؤلفين والناشرين لإعادة طبع كتب معينة يعتقد بأنها نادرة ثم يبيعونها بأعلى الأثمان.. بالإضافة إلى تزوير الوثائق ونشرها لتحقيق أهداف مالية أو سياسية أو قانونية معينة.

ومن القصص المشهورة عن هذا التزوير الرسائل الشخصية التى كتبها لينكولن بخط يده وظهرت فى السوق ملينة بالأخطاء الواضحة والتي يسهل إثبات تزويرها وزيفها. وفى أحد هذه الخطابات أشار لينكولن إلى ولاية كانساس فى فترة لم تكن هذه الولاية قد أصبحت جزءاً من الولايات المتحدة بعد

وهذه المحاولات يمكن أن يثبت تزويرها وزيفها بالتقييم الخارجى الدقيق الهادئ لكل وثيقة موضوع للدراسة..

وهذه القاعدة تنطبق على الوثائق "الجديدة" بصفة أساسية، أى تلك الوثائق التى لم تقيم بعناية فى الماضى.. وهناك فى كل مجال أكاديمى وثنائى

لا حصر لها والتي أصبحت أصالتها ثابتة.. ومع ذلك فينبغي على الباحث -كقاعدة عامة- أن يتبنى موقف الشك ولا يأخذ أى شيء كقضية مسلمة.

ويدرك الباحث أهمية الفحص للمقارن للمجلات المكتوبة - خصوصاً المجلات غير الرسمية - بالمخطوطة المكتوبة بخط يد الشخص نفسه Autograph Manuscript وذلك للتعرف على درجة التشابه أو الاختلاف بين الحظيين.. ومع ذلك فمن العسير تحديد كاتب وثيقة معينة بطريقة لا بدالها الشك.. وحتى للتوقيع يمكن أن يسبب مشاكل للتأكد من صحته..

وهناك بالإضافة إلى طريقة المقارنة المذكورة، وسائل أخرى لتقييم أصالة الوثيقة مثل التحليل الكيميائي والطبيعي للمادة التي كتبت عليها. لقد تعبر عن صناعة الورق بالتدرج على مر السنين، ويمكن للباحث أن يحدد تاريخ الوثيقة بمعرفة مكان وزمان صناعة الورق.. وينطبق هذا التحليل الكيميائي على الحبر المستخدم فضلاً عن طريقة الإخراج وسلامة الحروف والطباعة وحجمها وشكلها وما كان مستخدماً منها في ذلك الوقت.

ويمتصن الباحث في التأكد من ذلك لا بالمعمل الكيميائي لحسب بل بالعدسة المكبرة والميكروسكوب والكاميرا وغير ذلك من الوسائل التي تحدد درجة أصالة أو ريف الوثائق، كالأشعة فوق البنفسجية والتصوير بالطوريسنت.. الخ.

وعلى كل حال فالوثائق بالنسبة للباحث هي بمثابة الشاهد للمحامي في قاعة المحكمة.. أى أن الوثائق هي مصادر للمعلومات يجب استخراج البيانات والمعلومات المتعلقة منها.. وقبل أن تقبل المحكمة شهادة الشاهد فإنها تتأكد من هويته وتقيم مقدار الثقة فيه..

وهناك بعض الأسئلة القليلة التي يحرص الباحث على الإجابة عليها عند فحص الوثيقة وأهمها:

- من لدى لف هذه الوثيقة؟

- هل العلاقة بينه وبين الوثيقة علاقة طبيعية ومقبولة Plausible؟
- هل موضوع الوثيقة يمكن أن يكون داخل نطاق معارف هذه المؤلف؟
- هل يمكن أن يكون هذا المؤلف في المكان المبين وفي الزمن المبين بالوثيقة؟
- هل المعلومات الموجودة بالوثيقة، قد وصعها المؤلف بعينه في الوثيقة أم أنه نسخها ونقلها عن شخص آخر؟
- هل البيانات والمعلومات الموجودة بالوثيقة تتفق مع المستوى المعروف لدكاء المؤلف وتعليمه وخبرته ومزاجه وطباعه؟
- إن الإجابة عن هذه الأسئلة - وغيرها كثير - تساعد الباحث على الوصول إلى حكم سليم بالنسبة لأصالة الوثيقة من عدمها..

التقييم الداخلي للوثائق:

إذا كان لتقييم الخارجى يهتم بهوية الوثيقة وأصالتها، فإن التقييم الداخلى يهتم بما تحويه هذه الوثيقة .. بما تقوله .. بمعناها .. بدقتها.. وبالثقة العامة فى المعلومات الموجودة بها.. أى أنه عندما تثبت أصالة الوثيقة، فإن الباحث يجب أن يسأل نفسه عن دلالتها كمصدر للمعلومات. وكذلك عن أى نوع من البيانات تزودنا به الوثيقة لخدمة الغرض الذى نحن بصدده، وهو هل مشكلة البحث.

فعندما نتناول المسجلات المكتوبة Written Records يجب أن نتأكد من معانى الكلمات والرموز الموجودة بها. فكثيراً ما يحدث أن تكون لغة المحظومة أو الوثيقة معيرة لفترة من الفترات (اللغة العربية فى العصر الجاهلى، اللغة الانجليزية القديمة Old English) والتي لا يستحسن كثير من تعبيراتها فى الوقت الحاضر.. وفى أحيان أخرى قد يمثلهم الأمر حل شعرة

أو رموز (decipher) سجل معين كتبت به مذكرات أحد الزعماء أو مشاهير الأدب أو الفن.. الخ.

لقد اكتشف الباحثون علامات غريبة وصوراً على الآثار الحجرية وعلى ورق البردي في مصر .. كما اكتشف الباحثون صوراً أخرى وعلامات من نوع آخر على أفراس الطين المحروق Baked Clay في أرض ما بين النهرين (العراق) وقد ظلت هذه العلامات والصور سنين طويلة دون ترجمة مدلولها..

وفي حوالي عام 1800 استطاع جورج فريدريخ جروتيفند George Friedrich Grotefend أن يكتشف أسرار الكتابة المسمارية الآشورية في بلاد فارس القديمة، كما استطاع جين فرانسوا شامبليون Champlion Jean Francois بعد ذلك بحوالي عشرين عاماً أن يترجم اللغة الهيروغليفية في مصر القديمة عن طريق طريق دراسته لحجر رشيد Rosetta Stone.

هذا ويحتل تفسير النصوص أهمية كبيرة في كثير من الدراسات الأدبية والفلسفية والدينية والسياسية وغيرها حيث تدرس الكلمات والمصطلحات في بعض الأعمال دراسة عميقة للتعرف على المعنى الذي يقصده الكاتب.

وقد تكون دراسة عصر المؤلف أو بلده عنصراً أساسياً وضرورياً لفهم كتاباته، ذلك لأن ما يقصده الناس بمصطلحات أو تعبيرات معينة في زمن معين قد يكون له معنى ومدلول آخر عن استخدام الناس في الزمن المعاصر.. وعلى سبيل المثال فقد كان الناس أيام الكاتب شومر Chaucer يستخدمون في كتاباتهم الأرقام 20 ، 50 للدلالة على "عدد كبير" .. ونتيجة ذلك عندما تحدث شومر عن ملكيته لعشرين كتاباً، فإن الباحثين يفسرون ذلك لا بمعنى العدد المحدد وهو "عشرين" بل يفسرون ذلك على أن شومر كانت له مكتبة بها كتب كثيرة .. وربما يستخدم نص الآن مصطلح "ألف صنف

وصنف" لا للدلالة على عدد معين ولكن للتعبير عن عدد غير محدد من الأصناف ..

إن تفسير معنى الوثيقة يمكن أن يكون شيئاً في غاية السهولة كما يمكن أن يكون شيئاً بالغ التعقيد.. يتطلب في بعض الأحيان المعرفة الدقيقة بالتاريخ واللغات والسياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس وغيرها من الدراسات.. وفهم المقصود بالوثيقة ذو أهمية بالغة إذا أراد الباحث أن يعتمد على المعلومات والبيانات الواردة بالوثيقة لحل المشكلة التي تواجهه.

دقة الوثائق وصحتها:

وإذا ما تحدثت المعانى الموجودة بالوثيقة تحديداً واصحاً، فإن الخطوة التالية هي تقييم الوثيقة داخليا هي تقدير دقة وصدق هذه المعلومات الواردة بالوثيقة .. ويجب على الباحث أن يتساءل عن مقدار كفاءة المؤلف ونزاهته ومسميته واهتمامه بالموضوع؟ وهل كانت له وجهة نظر خاصة متميزة؟ وهل قام بملاحظاته بنفسه أم أنه نقل عن الآخرين؟ ومن المعروف أن اثنين ممن رأوا نفس الحدث قد يكون لهما تفسيرات مختلفة تبعاً لأسباب وتبريرات كثيرة.. وإذا ما حدث نزاع بين العمال وأصحاب العمل.. فإن ممثلي أولئك وهؤلاء غالباً ما يختلفون لا على تفسير الأحداث فحسب بل على وصف وبيان الحقائق المتعلقة بالموضوع.. والكتاب عن شخصية قائد مثل جمال عبد الناصر سيختلفون فيما بينهم في تفسير أعماله ودوافعه وانطباعاتهم عنه .. وخلاصة هذا كله أن الباحث لا يستطيع أن يتقبل المعلومات الواردة حتى في الوثائق الأصيلة على علاتها وطبقاً لتفسير صاحبها .. بل يجب على الباحث أن يستخدم كل وسيلة ممكنة للتأكد من مقدار صدق الكاتب والثقة فيما يكتسبه.. وعلى العموم ففي واقع الأمر، ليس هناك وثيقة تثبت دقتها المطلقة واكتمال معلوماتها عند فحصها للعميق.. ذلك لأن الأخطاء الإنسانية تزحف في كل مكان. وغاية ما يمكن أن نقوله هو أن بعض الوثائق فقط تثبت صحته ودقتها واكتمالها أكثر من غيرها.

بعض المخاطر في استخدام الوثائق:

لقد تركز اهتمامنا السابق على المزالق التي تتصل بالوثيقة نفسها في أصلاتها وصلاحتها كدليل ودقتها .. وغير ذلك، وهناك مخاطر رئيسية في استخدام هذه الوثائق، أولها هو عدم كفاية المعلومات والبيانات فيها. وثانيها، الاحتيار غير السليم للمعلومات من هذه الوثائق.. أى أخذ حقائق مبتسرة وإظهار جزء من الدليل وإغفال الجزء الآخر..

أشكال الدراسة الوثائقية:

لما كانت جميع المعلومات عن الماصى تأتي من الوثائق والمجلات فإن طريقة البحث الوثائقي هي الطريقة الوحيدة في الدراسات التاريخية .. ولكن طريقة البحث الوثائقي تلعب دوراً هاماً كذلك بالنسبة للدراسة العلمية المتعمقة، وتتناول خطوط هذه الدراسة ميادين كثيرة مثل:

(أ) تاريخ الحياة Biography.

(ب) تاريخ المؤسسات والهيئات.

(ج) المصادر والتأثيرات.

(د) التحرير.

(هـ) تاريخ الأفكار.

(و) الجيوبوجرافيا.

ويعنى البحث الجيوبوجرافي تحديد وتقديم الحقائق الأساسية عن حياة وشخصية وإنجازات شخص هام في مجال للبحث الدراسي.. فعالم الأدب سينتقى حياة رجال ونساء الأديب، ودارس التربية سيتعرف على رجال التعليم. والصحفي يهتم برواد الإعلام وهكذا .. وهؤلاء جميعاً يجب أن يستخدموا طريقة البحث الوثائقي .. ذلك لأن الحقائق الضرورية لتاريخ حياة الشخص لا يمكن تجميعها بالتجربة أو المسح أو دراسة الحالة.. ويصدق تاريخ الأفراد على تاريخ المؤسسات والهيئات.

أما بالنسبة لدراسة المصادر والتأثيرات فهذه تتضمن محاولة تعلم كيفية تأثير أفكار الشخص (أو الجماعة) وكتابته وإنجازاته الأخرى، بعوامل للتعليم والأصدقاء المحيطين به والقراءة وأحداث حياته اليومية والبيئة المحيطة به.. وتتم هذه الدراسة باكتشاف الدليل الواضح عن هذه التأثيرات في كتابات الشخص أو تصريحاته الشفوية أو ملوكه العام .. هي الأدب مثلاً نجد كتاباً معيناً متأثراً بكتاب آخر، ونحن نذكر أن داروين قد تأثر في نظرية "الصراع من أجل البقاء" بأفكار مالتوس Malthus عن السكان وهكذا..

لما بالنسبة لتحرير عمل أو أعمال مؤلف معين، لإنتاج نص حديث يصلح للقراءة، أو نشر وثيقة نادرة ذات أهمية ودلالة في مجال معين. هذه وغيرها من النشاطات الأكاديمية المشابهة تعتبر شكلاً مفيداً من أشكال الدراسة الوثائقية.. وقد يعنى ذلك أحياناً مجرد إعادة طبع مؤلف عام .. ولكن اختيار هذا المؤلف ليس بالأمر السهل .. كما قد تكون للترجمة أحد أوجه نشاط عملية التحرير .. في دراسة تاريخ الأفكار يتطلب تتبع الآراء والموسوعات الفلسفية والعلمية من أصولها وأشكالها الأولى خلال مراحل تطورها أو تتبع التغيرات التي حدثت في التفكير الشعبي وإنجازات الناس على مدى فترة معينة من الزمن.. وفكرة عن نظرية التطور البيولوجي مثلاً يمكن تتبعها من أصلها القديم أيام الفلسفة اليونانية أو قبل ذلك حتى الوضع الحاضر وتأثير العلم الحديث.

وأخيراً فإن تجميع ببليوجرافيا موضوعية يتطلب للبحث الوثائقي أيضاً.. ذلك لأن الببليوجرافيات تقدم للعلم والبحث خدمات أساسية ضرورية بما تقدمه للباحثين من قوائم بالأعمال والبحوث التي تمت في مجال محدد، وبالتالي تعمل الببليوجرافيا على اختصار الوقت لدى بائنه الباحث في تحديد المواد اللازمة لدراسته..

وعلى كل حال .. فمستخدمات البحث الوثائقي كثيرة ومتنوعة .. وطريقة البحث هذه مستخدمة أكثر من غيرها في مجالات الفن والحيولوجيا

والتاريخ واللغات والأدب والموسيقى والفلسفة والعلوم السياسية. وفي مجالات أخرى كالجيولوجيا والكيمياء والاقتصاد والتعليم والجغرافيا والرياضيات والفيزياء وعلم النفس والاجتماع- فإن استخدام طريقة البحث التاريخي يكون أقل من غيرها من الطرق.. ولكنها ما زالت طريقة مفيدة جداً في هذه المجالات أيضاً سواء بمفردها أو كطريقة مكملة لطرق البحث الأخرى.

سابعاً: الفرض في البحوث التاريخية:

ربما يذهب البعض إلى القول بأن البحث في الوثائق والمسجلات هو بحث يهتم بالتنقيب عن الحقائق Fact Finding، وأن الفروض نادرة في هذا المجال.. ونحن نؤكد مرة أخرى بأن أكبر نتائج البحث قائمة ودلالة تكون في التعميمات والمبادئ المستمدة من البيانات والمعلومات الحقيقية.. والبحث الوثائقي من هذه الناحية قد أدى إلى تعميمات- وفروض كثيرة.. والباحثون في العلوم الاجتماعية والإعلامية بصفة عامة، يدركون ويلاحظون الفروض أو التفسيرات للأحداث التاريخية خلال فترة معينة (خصوصاً فيما يتعلق بالتصرف على كيفة وسبب وقوع هذه الأحداث) .. فدراسة التاريخ العربي مثلاً، خلال ربع القرن الأخير ربما أدت بنا إلى تفسيرات أو فروض تتعلق بارتباط الأحداث في هذا الجزء من العالم ببداية انحسار الاستعمار البريطاني الفرنسي، وبزراع الدولة الصهيونية في قلب الوطن العربي بتأييد القوتين المنتصرتين بعد الحرب العالمية الثانية (روسيا وأمريكا) واعتماد هؤلاء والصهاينة على تعميق للصراعات الداخلية في الوطن العربي سواء على المستوى القطري أو القومي.. وربما أدى بنا البحث الوثائقي والدراسات التاريخية للأحداث إلى الوصول إلى تعميمات ونتائج تثير الطرق والبدائل التي يمكن أن يسلكها العرب.

ونحن نلاحظ أنه يمكن رد هذه الحالة (أو وضع الفروض) إلى التخلف الحضري (بأعماده الثقافية والايديولوجية والاقتصادية والتكنولوجية

والعسكرية وغيرها) لو تأكيد العامل الاقتصادي مثلاً أو غير ذلك من التفسيرات والفروض.

ومن الواضح أن كل واحدة من هذه التفسيرات تمثل تعميمات موضوعية بحرس وعناية معتمدة على البيانات الحقيقة المستمدة من تحليل الوثائق..

ولقد أشرنا إلى هذه النماذج السابقة فقط - دون الدخول في مناقشات نقدية - وذلك للدلالة على مكان العرض في البحث الوثائقي .. أي أن استخدام الأسلوب الوثائقي يتضمن أكثر من مجرد تجميع الحقائق..

Qualities of Evidence: خصائص الدليل

لقد أشرنا فيما سبق إلى نوع الدليل المقبول في البحث.. والدليل - كما هو الحال في المحاكم - يجب أن يكون متعلقاً بالـ Relevant بالموضوع وأن يكون محسوساً Material وأن يكون كافياً Competent.. وهذه هي الاختبارات التي تطبقها على جميع الوثائق والبيانات والمعلومات التي تحتويها هذه الوثائق.. فالدليل الذي تقدمه الوثيقة يعتبر متعلقاً بالمشكلة إذا كان له وزن حقيقي بالنسبة لهذه المشكلة، وإذا لم يكن لهذا الدليل علاقة بالموضوع فلا يجب تقديمه كدليل مناسب.. وقد تكون البيانات والمعلومات متعلقة بالمشكلة ولكن ليس لهذه المعلومات وزن حقيقي.. وبمعنى آخر يمكن إهمالها والاستغناء عنها بسهولة.. هذه البيانات والمعلومات ليست مادية محسوسة، وبالتالي فليس هناك حاجة إلى اعتبارها دليلاً مقبولاً.. وأخيراً فيتبقى جانب الكفاية والأهلية Competence وتعتبر الوثيقة دليلاً كافياً إذا ثبتت أصالتها، وإذا كانت بياناتها ومعلوماتها دقيقة ومناسبة. فالوثيقة الأصلية هي دليل ملتبس للشهادة.

وإذا كنا قد أكدنا على استخدام الدليل الأولي باعتباره أساس البحث الوثائقي أو التاريخي... وباعتباره أقرب ما يمكن للحدث نفسه.. فقد يكون للدليل أو المصدر الثانوي نفس أهمية الدليل الأولي..

هذا ويستخدم الباحث الدليل الثانوي في الأحوال التالية:

1. كمعلومات خلفية عامة عن الحدث أو الشخص .. الخ.
2. بعض أنواع المعلومات التي يحتاجها الباحث وتكون غير متوفرة في مكان آخر.
3. التأكد من أن العمل الذي يقوم به الباحث بفحصه ودراسته لم يتم به شخص آخر.

4. الإفادة من أخطاء الآخرين الذين سبقوا للباحث.

5. يستعين به الباحث أيضاً في وضع تفسيره بالنسبة للفرض الحاصل بمشكلة البحث وبالنسبة للنتائج التي يصل إليها.

ثامناً ، ملخص منهج البحث التاريخي:

لعمل المنهج الوثائقي أو التاريخي يعتبر أقدم مناهج البحث.. وهو كمهيج يتطلب تحديد مشكلة البحث وتجميع الحقائق والمعلومات المتعلقة بتلك المشكلة وتحديد مصادر هذه الحقائق الأولية والثانوية، ثم تصنيف هذه الحقائق وتحليلها وإيجاد العلاقة فيما بينها ثم عرض النتائج وتفسيرها..

وما يهمنا في دراستنا لمنهج التحليل التاريخي الوثائقي أنه طريقة لاحتبار الفرض، بتحديد وتحليل البيانات والمعلومات من الوثائق والمصجلات ذات الأشكال المتعددة... وهذه الأشكال تتراوح ما بين الآثار المكتوبة أو المطبوعة إلى التعليقات الشخصية المكتوبة والمنقولة بالإضافة إلى الآثار والبقايا الأركيولوجية والجيولوجية...

وطريقة البحث الوثائقي مستخدمة في مختلف المجالات العلمية، ولكنها مستخدمة بكثرة في التاريخ واللغات والأدب والفلسفة وغيرها من المجالات المتعلقة بدراسات علوم الإعلام.

ويجب على الباحث - بعد أن يحدد الوثيقة - أن يقيمها خارجياً وداعياً للتأكد من أصالتها، ومن علاقتها بموضوع الدراسة.. ومن ناحية قبولها كدليل.

ويمكن أن يقال - بصفة عامة - أنه يجب استخدام المصادر الأولية وحدها (إذا توفرت هذه المصادر بالطبع) . ومحاطر طريقة البحث التاريخي هي قلة البيانات والمعلومات بدرجة كبيرة فضلاً عن عدم الاختيار الصحيح للمعلومات المتعلقة بالموضوع.

وقبل أن ينتهي الباحث إلى نتائج أخيرة في دراسته، يجب عليه أن يكون مقتنعاً بما لا يقبل أي شك - باكتمال معلوماته الوثائقية، وأن يتوفر فيها شروط الدليل المقبول، وهو أن يكون متعلقاً بالموضوع وأن يكون مادياً محسوساً، وأن يكون كافياً...

الفصل السادس

تحليل المضمون في بحوث علوم الإعلام

أولاً: مقدمة والبعد التاريخي:

يتيح تحليل المضمون Content analysis للباحث وصف طبيعة محتوى الاتصال بطريقة منهجية، أي أن تحليل المضمون يمكن استخدامه في معظم أشكال الاتصال ولكنه أكثر صحة في تحليل رسالات الاتصال للجمهور، كما أن تحليل المحتوى هو نقطة البداية المنطقية للتعرف على آثار الميديا، ذلك لأنه يساعد في اكتشاف المحتوى الموجود، ولكن يجب التأكيد منذ البداية أن نتائج تحليل المحتوى لا تسمح لنا بالوصول إلى استنتاجات inferences عن تأثيرات هذا المحتوى.

هذا ويعتبر تحليل المضمون موضوعاً محورياً في جميع العلوم المتعلقة بالإنسان ذلك لأن القدرة على الكلام هي أهم مميزات الإنسان .. كما أن اللغة هي وعاء الفكر وانعكاس العواطف ودليل يكشف حياة الإنسان الداخلية. وبالتالي فإن الرؤية السليمة لطريقة تحليل المضمون تشير إلى أنها مشكلة مركزية في دراسة الإنسان والعمل على حل هذه المشكلة يمكن أن يغير مناهج البحث في العلوم السلوكية والاجتماعية بطريقة جذرية.

هذا وتحلل الرسالة Message مكاناً محورياً في عملية الاتصال .. على اعتبار أن الرسالة هي للتابع الرمزي العلى الذي يتم توصيله من المصدر إلى الجمهور.

في تحليل الرسالة وكلماتها قد يدلنا على أشياء كثيرة تتصل بدكاء المصدر وقدراته .. وتتصل بشخصيته ودوافعه، وتتصل بالقيم التي يؤمن بها والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، وتتصل باتجاهاته وموقفه الاجتماعي،

وتتصل بالجماعات التي ينتمى إليها أو التي يرغب في الانتماء إليها وتأثير الجماعة هذه عليه.

كما أن للرسالة تأثيراً متوقعاً.. ولكن هذا التأثير يختلف طبقاً لدرجة فهمها ودرجة قدرتها على جذب الجمهور إليها وإثارة اهتمامه إلى محتوياتها وتذكرها أي أن للرسالة تأثيراً يتطلب الدراسة للتعرف على مقدار فاعليتها في تغيير الاتجاهات أو تعديلها.

وعلى كل حال فإن الرسالة تحتوي على تعبير مركز لبعض العوامل الرئيسية المتعلقة بالاتصال .. فضلاً عن أنها ربما تكون -أي الرسالة- الشيء الوحيد المتوفر للباحث في كثير من الأحيان .. (أكثر من توفر القائم بالاتصال أو الجمهور المستهدف).

هذا ويستخدم منهج تحليل المحتوى في جميع مجالات وسائل الإعلام بكثرة، وهذا المنهج أثير لدى الباحثين الإعلاميين لأنه يقدم لهم أسلوباً مناسباً لدراسة محتوى وسائل الإعلام مثل عدد ونوع الإعلانات في الإذاعة المسموعة أو المرئية أو في الأوعية المطبوعة، وغيرها من المجالات للبحثية الأخرى.

ويمكن أن نعود بهذا المنهج تاريخياً إلى الحرب العالمية الثانية، عندما حاولت وحدات مخابرات الحلفاء بصعوبة التعرف على عدد وأشكال الأغاني الشعبية المذاعة في المحطات الأوروبية. وبمقارنة الموسيقى المذاعة في المحطات الألمانية بذلك المذاعة في محطات دول أوروبا المحتلة، فقد استطاع الحلفاء - بدرجة مناسبة من النجاح - من قياس التغيرات في درجات تركيز القوات في أوروبا. كما استخدم هذا الأسلوب في المسرح الباسيفيكي أيضاً لدراسة درجة زيادة حجم الاتصال والرسائل، والذي يعنى عادة أن هناك بعض العمليات العسكرية المحطط لها بالنسبة لهذه القواعد أو تلك.

ثم استخدم أسلوب تحليل المضمون بواسطة الباحثين لدراسة الدعاية الصحفية أو الإداعية، وفي عام 1952م نشر برنارد بيرلسون كتابه عن تحليل المضمون في بحوث الاتصال' والذي يعكس الاعتراف بهذا الأسلوب كمهيج للباحثين في مجال الاتصال والإعلام. ثم أصبحت هذه الوسيلة البحثية ذات أهمية متزايدة في بحوث الاتصال بعد ذلك.

ثانياً: تعريف تحليل المحتوى:

لقد عرف برنارد بيرلسون تحليل المحتوى بأنه أسلوب للبحث للوصف الموضوعي المنهجي والكمي للمحتوى الظاهر Manifest للاتصال ، أى أن تحليل المحتوى هو بالضرورة طريقة تمكن الباحث من وصف الرسائل كما، وإن كانت هذه الرسائل شفوية أو غير كمية أساساً.

وعندما نقول بأن تحليل المحتوى هو عملية "موضوعية" Objective فإننا نعنى بذلك أنها طريقة تسمح للعديد من الباحثين من فحص نفس المحتوى والوصول إلى نتائج متشابهة نظراً لأن الطريقة المتبعة طريقة منهجية، أى أنها تحدد مجموعات من القواعد والإجراءات لتأكيد محتوى الرسالة، وأى باحث يطبق هذه القواعد والإجراءات سيصل إلى نفس تأكيد محتوى الرسالة وبالتالي القيام بمختلف الاحتمالات الإحصائية على نتائج التأكيد.

أى أن طريقة تحليل المحتوى تهتم بتأكيد المحتوى الظاهر وليس المحتوى غير الظاهر Latent، وبهذا المحتوى الظاهر Manifest على المواد التى تظهر فعلاً دون تفسير فى الرسالة، أما المحتوى غير الظاهر فهو المحتوى الذى يمكن أن يظهر بعد قيام المكدود بتفسيره أو كما يقال "القراءة بين السطور" للرسالة قبل تكويدها. (Sparks, Glenn G. (2006), p. 21).

كما يعتبر تحليل المحتوى منهاجاً لدراسة وتحليل الاتصال بطريقة منهجية موضوعية وكمية، وذلك بغرض قياس المتغيرات.

وهذا التعريف يتضمن ثلاث مفاهيم هامة:

أولها: أن تحليل المحتوى يتضمن التحليل المنهجي Systematic أى طبقاً لقواعد واضحة منتظمة، كما أن اختيار العينة يجب أن يتبع إجراءات صحيحة، وأن تكون العينة عشوائية وأن تعامل جميع المحتويات بنفس الطريقة تماماً وذلك بالنسبة للتكويد والتحليل والتقييم.

وثانى هذه المفاهيم هو الموضوعية Objective أى البعد عن التحيزات الشخصية للباحث، وبالتالي فننتج التحليل يجب أن تكون هي نفسها إذا ما قام بالبحث شخص آخر.

أما ثالث هذه المفاهيم فينتقل بالتعبير الكمي لمنهج تحليل المحتوى، ذلك لأن الهدف من هذا المنهج هو التمثيل الدقيق عن جسد معين من الرسائل، ومعنى ذلك أن بيانا كالتالى "70% من وقت البرامج الأصلية احتوى على حادثة واحدة على الأقل من حوادث العنف" هذا التعبير أكثر دقة من "معظم البرامج عنيفة" فضلاً عن أن التعبير الكمي يسمح للباحث بتلخيص النتائج والإعلام عنها بطريقة أكثر اقتصاداً ودقة، وأكثر قدرة على التفسير والتحليل..

وينبغى الإشارة إلى أن هناك عدة تعاريف لتحليل المضمون.. وقد تغيرت هذه التعاريف على مر الزمن ومع التطورات فى الأساليب وفى استخدامات هذا المنهج ذاته بالنسبة للمشكلات الجديدة والمواد المختلفة.. وبظرة سريعة إلى البحوث التى تستخدم هذا المنهج ندلنا على تلك الاستخدامات الكثيرة الواسعة لطريقة تحليل المحتوى.

هذا وقد استخدمت طريقة تحليل المحتوى مع المشكلات المتعلقة بالأسلوب أو بالتركيب اللغوى Syntactics أو بالمعنى Semantics (مثل اللغة والأحلام والشعور والخيالات والمنطقيات والموسيقى والصور

والرسومات والأصوات والإيماءات .. الخ) وهما يلي بعض تلك التعاريف التي جاءت ضمن دراسة أحمد بدر (1998):

- تحليل المحتوى هو المعنى الإحصائي Statistical Semantics للأحداث والخطب السياسية.
- تحليل المحتوى هو أسلوب بحثي يتضمن الوصف الموضوعي المنهجي Systematic والكمي للمحتوى الظاهر للرسالة.
- تحليل المحتوى هو أي أسلوب للوصول إلى استنتاجات Inferences وذلك بالتعرف الموضوعي والمنهجي على صفحات محددة للرسالات.
- تحليل المحتوى هو إحدى أطوار تجهيز المعلومات حيث يتحول فيه محتوى الاتصال إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها وذلك بالتطبيق الموضوعي والمنهجي طبقاً للتصنيف الفئري Categorization.

وتكاد تتفق معظم هذه التعاريف على الوصف الموضوعي المنهجي والكمي في عملية التحليل.. وقد شرح لنا بيرلسون هذه الأوصاف حين ذهب إلى أن الوصف الموضوعي يعني أن هناك قواعد واحدة تستخدم دون تحيز في تحليل المحتوى .. بحيث يمكن الحصول على نفس النتائج، إذا قام بالتحليل أكثر من شخص واحد.. نظراً لأن القواعد المتبعة في التصنيف واحدة، كما يعني الوصف الموضوعي أن الكلمات التقييمية مثل (جيد/ رديء/ غير عادل-جميل/ قبيح) هذه الكلمات والمصطلحات يقوم الباحث بتجسيدها لأنها ذاتية إلى حد كبير، ولأن معانيها تميل إلى التغير والتبدل النسبي حسب الظروف المتغيرة.

أما الوصف المنهجي Systematic فيعني به بيرلسون أن اختيار المحتوى الذي سيحلل، يجب أن يعتمد على خطة رسمية، مصممة مسبقاً وخالية من التحيزات Unbiased.. وبمعنى آخر فإن المحلل لا يستطيع أن يختار من الرسالة تلك العناصر التي قد تتلائم مع العرض الذي وضعه فقط وتجاهل جميع العناصر الأخرى.

أما الوصف الكمي فإنه يعنى التعبير الرقمي عن نتائج التحليل أى أن يكون التعبير عن طريق التوزيعات التكرارية Frequency Distributions أو لجداول أو معاملات الارتباط أو النسب بأشكالها المختلفة.

هذا ويمكن أن يضيف بالنسبة لتعريف بيرلسون السابق الإشارة إليه، أن بيرلسون يعنى باصطلاح "المحتوى للظاهر" Manifest .. تحليل المعانى Semantic فى عملية تحليل المحتوى، بطريقة مباشرة وبسيطة أى أن ذلك يعتمد على قراءة ما على السطور ولا يعتمد على قراءة ما بين السطور "Reading on the lines" not "between the lines".

ولا يعنى ذلك من غير شك أن هناك اتفاقاً دائماً بين الدين يقومون بعملية التكويد Coding وفهمهم للمعنى الظاهر للرسالة أى أن اصطلاح للمعنى الظاهر هو اصطلاح سبى .. فهو قد يدل على مدى واسع من المعانى وليس على معنى محدد ونقطة بعينها.

ثالثاً، متى يمكن استخدام تحليل المحتوى ؟

هناك طرق عديدة لدراسة سلوك الإنسان، فلن نستطيع أن نجرى عليه بعض التجارب فى العمل، ونحن نستطيع أن نعطيه استجابة للإجابة عليه أو أن نعد مقابلة معه (المصح) أو نلاحظه أو نتبع معه الطرق الاسقاطية أو ندرس آثاره (الحفريات) أو نتعرف على تعبيره الاتصالي.. وهذا الأخير هو ما يسمى بتحليل المحتوى .. ونحن نلجأ لهذه الطريقة فى حالات عامة ثلاثة - على الأقل - وهذه الحالات تتصل بمعظم الدراسات ومجالات البحث وهي كما يلي:

1/3 نحن نلجأ إلى أسلوب تحليل المصنوع عندما تكون البيانات التي يجمعها الباحث مقصورة على الدليل الوثائقي، ذلك لأن اللقائم بالتحليل الذى يستطيع الاتصال بالمصادر والأشخاص المعينين، سيجد أساليب البحث الأخرى أفضل إذ أنها مباشرة وتتم بتكاليف أقل.. ولكن عندما

تكون هناك صعوبات رمانية أو مكانية لا تتيح له الاتصال المباشر بالأشخاص فإنه يصبح من اللازم دراسة هؤلاء "على البعد" على اعتبار أن أدوات البحث الأخرى (كالاستبيان والمقابلة والملاحظة وغيرها من الأدوات المشابهة) غير ممكنة... هذا فضلاً عن أن تحليل المحتوى يعتبر كمصدر مكمل للبيانات.. أى أن الباحث الذى يستخدم الأسئلة المفتوحة أو المقابلة مثلاً، يمكن أن يستفيد من بياناته بتطبيق أسلوب تحليل المحتوى عليها.

2/3 نحن نلجأ إلى أسلوب تحليل المحتوى عندما يكون التعرف على لغة المفهوم أمراً حاسماً بالنسبة للبحث.

3/3 وأخيراً فنحن نلجأ لهذا الأسلوب عندما يزيد حجم المواد المفحوصة عن مقدرة الباحث على القيام بالبحث بنفسه.. فإدراك ما يستطيع الباحث فحص جميع البيانات المتعلقة ببحث فى العرض فهائل من الصحف والمجلات والأفلام والراديو والأدب وغيرها.. وهو غالباً ما يطبق أسلوب المعاينة فى دراسته لهذه الوسائل الاتصالية.. وعلى الرغم من صعوبة تصنيف الدراسات التى تستخدم تحليل المحتوى، إلا أنها يمكن أن تستخدم لواحد من الأغراض الخمسة التالية:

أ- وصف المحتوى الاتصالي: أى وصف الوضع القائم فى أوعية الاتصال المختلفة، ومن أمثلة هذا النوع من الدراسات ما قام به كل من آدم وفيربر (Adams,w(1977) لوصف الوضع الوظيفي والانتماءات الحزبية لصيوف التلفزيون يوم الأحد فى برامج المقابلات.

ب- اختبار الفروض الخاصة بصفات الرسالة الإعلامية: وهذه الدراسات تحاول ربط بعض صفات مصدر جسد معين من محتوى الرسائل بصفات هذه الرسائل المنتجة. ففى دراسة لمعدى لبرنامج الاخبارية للتلفزيون المحلى، تبين أن هؤلاء الذين يشاهدون الجرائم بأنفسهم، يذيعون أخباراً أكثر اتصالاً بالاهتمامات السريعة للإسأل.

ج- مقارنة محتوى وسائل الإعلام "بالعالم الحقيقي": ومن أمثلة هذا النوع ما قامت به اللجنة القومية الأمريكية لتقصي أسباب العنف ومبعه، عند استخدامها لتحليل محتوى البيانات ومقارنة العنف في التليفزيون بالعنف في الحياة الواقعية.

د- تقسيم صورة بعض الجماعات في المجتمع: وتتركز هذه الدراسات في التعرف على الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام بالنسبة لأقليات معينة أو جماعات متميزة في المجتمع، فصلا عن تقييم التغيرات في سياسة وسائل الإعلام نحو هذه الجماعات وعمل بعض الاستنتاجات في هذا الشأن.

هـ- وضع النقاط اللازمة لدراسات تأثير وسائل الإعلام: وفي هذه الحالة يستخدم تحليل المحتوى كنقطة بداية أو مقدمات لدراسات تتلوها، وذلك مثل دراسة تأثير الجريمة التي تظهر على الشاشة الصغيرة على تصور المشاهدين للجرائم الفعلية التي تحدث في المجتمع.

رابعاً : حدود دراسات تحليل المحتوى

ينبغي التأكيد في البداية بأن تحليل المحتوى وحده لا يعتبر كافياً للدلالة على تأثير المحتوى على الجمهور، فالدراسة الإضافية للمشاهدين أنفسهم أو الجمهور القارئ أو المسموع تصبح ضرورية لاستكمال هذه الدلالة.

هذا والنتائج التي يصل إليها تحليل محتوى معين، محدود بإطار الفئات والتعاريف المستخدمة في هذا التحليل، فالكثير من الباحثين قد يستخدمون تعاريف مختلفة أو نظم للفئات متباينة لقياس نفس المفهوم. وتتضح هذه المشكلة عند دراسة العنف بالتليفزيون على سبيل المثال، إذ يرى بعض الباحثين ضرورة استبعاد العنف الموجود في البرامج الترويحية والهزلية، بينما يعتبره باحثون آخرون أحد الأبعاد الهامة، كما أن الباحثين الذين يستخدمون أدوات مختلفة في القياس سيصلون بالضرورة إلى نتائج مختلفة.

وأخيراً فيجب التنويه إلى أن تحليل المحتوى يستغرق عادة وقتاً طويلاً كما أنه وسيلة مكلفة. والبحث خلال مئات النسخ من الصحف والمجلات يؤدي إلى ضياع وقت كثير ثمين بلا فائدة، وبالتالي يتطلب ذلك درجة عالية من الصبر والعناية. هذا بالإضافة إلى أنه في حالة تحليل محتوى التلفزيون، فلابد من توفير بعض وسائل تسجيل البرامج للفحص التفصيلي بعد ذلك أي توفير أجهزة التسجيل والشرائط وغيرها من المواد التي لا يستطيع جميع الباحثين توفيرها.

هذا ولابد أن يقوم الباحث بالتحديد الواضح للمشكلة موضوع الدراسة فهذا هو الاهتمام الأول للباحث بطريقة تحليل المحتوى.. كما هو الحال في طرق البحث الأخرى ولكن تحديد المشكلة بوضوح هنا يكون أكثر إلحاحاً، نظراً لما قد يتعرض له الباحث من ضياع الوقت والجهد الكبير إذا لم يفعل ذلك.

اختبار صحة النتائج

يتعرض الباحث إلى اختبار الصحة يجيب على السؤال التالي 'هل أسلوب القياس المتبع يقيس الشيء المعروف قياسه' أي أنه إذا كان القائم بالقياس قد قام بالقياس الدقيق للقصص التي حددها هو على أنها قصص "جرائم" .. هل هي قصص "جرائم" فعلاً؟.. إنه يستطيع الدفاع عن وجهة نظره . بأنها تلك الجرائم التي يحددها كذلك النظام القصصى (الذى يمكن الرجوع إليه) أو التي يراها كذلك الجمهور العام أو الصحفيون أو غيرهم.

ويمكن أن يصل إلى اختبار الصحة أيضاً عن طريق مقارنة النتائج التي تم الحصول عليها بطريقة معينة بالنتائج التي تم الوصول إليها باستخدام مقياس مختلف لنفس الشيء وهكذا.

خامساً: خطوات تحليل المحتوى وبعض المشكلات المنهجية :

يمكن أن تكون الخطوات التالية كإطار عام لهذا التحليل كما يمكن ألا تتبع هذه الخطوات بالتتابع المشار إليه إذ قد تتضمن المراحل الأولية للتحليل بعض هذه الخطوات مجتمعة:

1. صياغة سؤال البحث أو الفرض.
2. تحديد مجتمع البحث.
3. اختيار العينة المناسبة من المجتمع.
4. اختيار وتحديد وحدة التحليل.
5. إعداد القوائم التي سيتم تحليلها.
6. وضع نظام للتعبير الكمي.
7. القيام بدراسة مبدئية للتأكد من الثقة Reliability .
8. تكويد المحتوى بناء على التعاريف الموصوعة.
9. تحليل البيانات المجمعة.
10. الوصول للنتائج والبحث عن دلالتها.

I- صياغة السؤال البحثي:

يجب أن يتجنب الباحث عند قيامه بتحليل المحتوى "العد لفرض العد؛ ذلك لأن الباحث يجب أن يضع هدفاً نهائياً واضحاً للتحليل، وأن يتم توجيه تحليل المحتوى- شأنه في ذلك شأن مباحث البحث الأخرى- بسؤال بحثي مصاغ بدرجة جيدة أو وضع فرض أو عدة فروص. هذا ولا بد أن تكون لدى الباحث من البداية، مراجعة أساسية للإنتاج الفكري، أما المصادر اللازمة لاختيار الفرض فهي نفسها المطلوبة في المباحث الأخرى لبحوث الاتصال. ومن الممكن أن يستقى الباحث سؤاله البحثي اعتماداً على نظرية موجودة، أو مشكلات عملية أو كاستجابة للأحوال الاجتماعية المتغيرة. ومن المعروف أن

السؤال البحثي - أو الفروض - المحددة الصياغة سيؤدي إلى فئات دقيقة للمحتوى وهذه بالتالي ستؤدي إلى بيانات ذات قيمة أكبر.

2- تحديد مجتمع البحث

وهذا يعنى التعرف على حدود جسد المحتوى الذى سيتم دراسته، وهذا بدوره يتطلب وضع تعريف إجرائي مناسب للمجتمع موضع الدراسة. فإذا كان الباحث يهتم بدراسة "الأغاني الشعبية: مثلاً فلابد أن يحدد المقصود بكلمة "شعبية" وكذلك الفترة التى ستغطيها الدراسة. أى أن تكون هناك بيانات محددة واضحة عن المطلوب دراسته وذلك مثل:

تهتم هذه الدراسة بالمحتوى الإخباري على الصفحات الأولى لجريدتي الأهرام والأخبار القاهريتان مع استبعاد أعداد يوم الجمعة وذلك في الفترة من أول يناير إلى 31 ديسمبر للسنة الماضية:

3- اختيار العينة المناسبة من المجتمع

تحتاج معالجة المحتوى إلى بعض الاعتبارات الخاصة، ذلك لأن بعض التحليل يتعلق بكمية محدودة نسبياً من البيانات، هذا ومعظم تحليل المحتوى في وسائل الإعلام يتضمن المعالجة المتعددة للمراحل والعينة العشوائية التى يكون لكل عصبو في المجتمع نفس الفرصة لاختياره في العينة وبالتالي فالنتائج يمكن تعميمها.

وتبدأ المرحلة الأولى عادة بأخذ عينة لمصادر المحتوى، فالباحث المهتم بمعالجة قصيدة "بيرلى جيت" في الصحف المصرية مثلاً، سيقوم بالمعالجة من الصحف اليومية (وإذا كان عددها محدوداً في مصر فالباحث أمام حوالي ألف وسبعمئة جريدة يومية أمريكية) وبالتالي فقد يقرر الباحث بعد ذلك أنه مهتم بالدرجة الأولى بالصحف الخمسة الأولى الأكثر توزيعاً. وقد يتخذ قراره - في بعض الدراسات الأخرى - باختيار المصادر عشوائياً.. كما أن الباحث أيضاً قد

يستخدم أسلوب المعاينة الطبقية إذا كان مهتما بتحليل محتوى التلفزيون ولأن تكون الطبقية حسب الشبكة (القناة) أو حسب البرنامج.

أما المرحلة الثانية: بعد تحديد المصادر، فهي اختيار التواريخ والفترة الزمنية التي ستحتار فيها القضايا وهذه تحدد عادة حسب الهدف من المشروع البحثي (كما هو الحال في فترة معالجة قضية إيران جيت)، ولكن إذا كان المستوى يتعلق بموضوع حصول المرأة على حق الترشيح لمجلس الشعب مثلاً، فينبغي أن تكون معاينة المحتوى قبل وأثناء وبعد هذا الحدث والمعاينة العشوائية البسيطة التي تغطي هذه للتوزيع هو احتمال قائم (تحتاج هذه الطريقة لتحطيط مسبق، فإذا كان الهدف خمسين عدداً فاستخدم فترة سبعة أيام فإن العينة ستشمل خمسين عدداً صادرة أيام السبت أسبوعياً).

ولما كان المحتوى الإخباري غير موزع عشوائياً حسب أيام الأسبوع، فإن هذه العينة العشوائية البسيطة ربما تكون ممثلة.

وهذاك إمكانية استخدام العينة الطبقية حسب الأسبوع في الشهر واليوم في الأسبوع مع الأحد بقاعدة للمعاينة وهي اختيار يوم فقط من كل أسبوع وذلك لصعوبة التوزيع المتوازن خلال الشهر. وقد تكون المعاينة مركبة، كأن تستخدم الدراسة عينة من يوم الاثنين مأخوذة بطريقة عشوائية من أيام الاثنين الممكنة بالشهر وهكذا ..

أما عند الإصدارات التي يتم اختيارها، فأمر يعتمد على موضوع الدراسة، وذلك حتى تكون ممثلة في التحليل.

وقد قام بعض الباحثين بوضع بعض الارشادات العامة لمعاينة وسائل الإعلام، إذ تبين لهم أن معاينة خمسة أعداد من (48) عدد من الصحيفة يعتبر كافياً، وأن زيادة عدد للمعاينة عن (12) لا يؤدي بالضرورة إلى تحسين الدقة في المعاينة.

4- اختيار وحدة التحليل:

وحدة التحليل هي أصغر عناصر تحليل المحتوى، ولكنها في ذات الوقت من أهم هذه العناصر، ووحدة التحليل هذه قد تكون كلمة واحدة أو رمزا أو اتجاهًا عامًا Theme (تأكيد معين عن أحد الموضوعات) وقد تصل وحدة التحليل هذه إلى المقالة أو الفقرة أو القصة الكاملة. وفي تحليل التلفزيون والأفلام، فإن وحدات التحليل يمكن أن تكون الأفراد أو فعل Act معين أو البرامج كلها أو ساعة من الفيلم للتعرف مثلاً على السلوك التديني، فوحدة التحليل هي الشيء الذي يتم عده فعلاً.

ومع ذلك فلا بد من وجود قواعد وتعاريف محددة لهذه الوحدات حتى يكون هناك اتفاق أكبر بين القائمين بعملية التكويد فضلاً عن التقليل من الأحكام الذاتية.

وهناك بعض وحدات التحليل التي يسهل عدها، فمن السهل مثلاً تحديد عدد القصص في محطة معينة في الفترة المصائية والتي تتعلق بالأخبار الدولية، ولكن ليس بهذه السهولة تحديد عدد أفعال العنف التي تتم في أسبوع من الإرسال التلفزيوني في محطة معينة، وذلك لأن القصة تعتبر وحدة تحليل متميزة عن الفعل. هدية ونهاية القصة يمكن رؤيتها بسهولة ولكن ماذا يفعل الباحث عندما يواجه معركة طويلة بين أشخاص ثلاثة يتبادلون الكلمات؟ فهل يعتبر ذلك فعلاً واحداً من أفعال العنف؟ وما هو الحال عند تحليل شخص رابع في المعركة هل يعتبر ذلك فعلاً آخرًا من أفعال العنف؟

إن التعاريف الإجرائية لوحدات التحليل يجب أن تكون واضحة ودقيقة ولا يتم وضع معاييرها إلا بعد المحاولة والخطأ أحياناً - وعلى سبيل المثال ففي إحدى الدراسات الخاصة بصورة المرأة في الإعلانات التجارية لإحدى محطات التلفزيون فإن وحدة التحليل هي للمرأة التي:

أ- تظهر على الشاشة لمدة ثلاث ثوان على الأقل أو

ب- التي تقوم بسطر واحد على الأقل من الحوار Dialogue

هذا وربما تعتبر الكلمات اسهل وحدات للترميز التي يمكن العمل بها ذلك لأنه من السهل نسبياً تعريف الكلمة.. وإذا كانت عملية الترميز تتضمن التعرف على وجود أو غياب كلمات معينة (كما هو الحال في بعض معادلات القراءة) فمن الممكن للحصول على درجة عالية من الثقة في الترميز .

ولكن الباحث عادة ما يكون مهتماً بوحدات أكبر للتحليل من الكلمات المفردة وذلك للوصول إلى معنى ذات دلالة وتربط.. وعلى كل حال فإن اختيار كلمات أو جمل يعتمد على إمكانيات اختبار العرض لهذه الطريقة أو تلك.

أما بالنسبة للمعنى العام أو التأكيد Theme or Assertion فإنها أكثر وحدات تحليل المضمون استخداماً . والمعنى العام يعرف على أنه "جملة بسيطة أو تأكيد على موضوع معين" وعلى سبيل المثال فقد يتركز اهتمام باحث معين على اتجاهات أحد كتاب الصحيفة المسؤولين عن باب الأسرة، وبالتالي فهو لا يهتم بالأطفال أو الآباء مثلاً.. بل هو يهتم بهؤلاء جميعاً. وعلى ذلك فإن الآباء والأمهات والأخوات والأخوة يمثلون "موضوعاً" ذا دلالة بالنسبة للباحث، فإذا كانت لدينا جملة كالتالية "إن أباك، ولو أنه أبق في ملبسه، إلا أنه أناسي ورجل لا يتصف بالصبر والتحمل" .. فهذه الجملة تحتوي على ثلاث تأكيدات على الأقل هي: إن والدك أبق، أن والدك أناسي، أن والدك غير صبور.

ولا بد للباحث من أن يكون حذراً في عملية تكويد أو ترميز المحتوى، إذ عليه أن يقوم بترميز الجمل فقط ذات الدلالة في المحتوى، وذات العلاقة بالفرض الذي وضعه الباحث.

هذا ويعتمد بعض الباحثين في مجال تحليل المحتوى إلى أخذ القصة كلها أو المقال كله أو للركن الذي يحزره كاتب معين.. أي أخذ هذه الوحدة

الكبيرة كوحدة للتحليل والترميز حيث يبين المحلل أنها (مؤيدة، محايدة، معارضة)، وقد يبرر البعض استخدام هذه للوحدات الكبيرة إذا كانت المواد كبيرة الحجم والعدد.

هذا وقد استخدمت وحدات المساحة والرمز في التحليل أيضاً وهذه مثل البوصة في عمود الصحيفة أو جزء منها (في حلة المجلة) وقد تكون هذه الوحدة هي النقيضة (في الرايو والتليفزيون) .. وعلى كل حال فإن استخدام المساحة والرمز كأدوات للتحليل الموضوعي قد اتبع على نطاق واسع ومازال حتى الآن.

وقد تبين لكثير من الباحثين أن وحدات المساحة والرمز (على صعوبة قياسها بدقة بالغة) ترتبط Correlate بشدة مع وحدات القصة والمقال أو كلمة الجريدة ككل.. وعلى ذلك فإن القصة أو المقال كله كوحدة طبيعية سهلة يعتبر أكثر استخداماً اليوم في عمليات الترميز Coding.

كما تستخدم الصفة Character -أو للشخص أو طبقة من الأشخاص- أحياناً كوحدات ترميز في عمليات تحليل المحتوى، هذا ويعتمد الباحث إلى التقريب عن جميع المعلومات المتعلقة بالصفة المطلوبة في المقال أو القصة وذلك لتصنيف هذه المعلومات.

وقد استخدمت طريقة تحليل الصفات هذه للتعرف على المدى لدى تدعيم أو تزويد فيه وسائل الإعلام الجمعي للعلاج الجامدة في المجتمع (Stereotypes).

هذا ولما كانت وحدة الترميز الأسلمية هي أصغر أقسام المحتوى الذي يعطى لها علامة أو درجة Score ولما كان الباحث لا يستطيع إعطاء الدرجة أو العلامة بفحص أصغر هذه الوحدات فقط.. فإن ترميز الوحدة في هذه الحالة سوف يتم بثقة ولطمئنان فقط بالنسبة للمتر أو لسيلق الكلام . Context

وعلى ذلك فإن وحدة المتن - وهي أكبر أقسام المحتوى التي يمكن أن يستشيرها القارئ بالترميز بغرض وضع درجة أو علامة لوحدة الترميز الأساسية يمكن استخدامها كثيراً في عملية تحليل المحتوى.

وعلى سبيل المثال إذا واجه الباحث أو القارئ بالتحليل العبارة التالية: (إن الشيوعيين يقومون بالسيطرة على العالم تدريجياً) فإنه لا يستطيع ترميزها بدقة.. ذلك لأنها عبارة حيادية أو تحتمل التأويل.. ولكن الباحث حين يضع هذه العبارة في إطار وحدة المتن أو النص.. فإن اتجاهها Direction سيتضح أكثر.. أي أن هذه العبارة عند ظهورها في خطاب لأحد الرأسماليين المحافظين وفي جمعية أصحاب المصانع والأعمال، وعنوان الخطاب هي (التهديد الأحمر) فإن الترميز الصحيح لهذه العبارة هو أنها "غير مؤيدة" "Unfavourable" ولكن هذه العبارة ذاتها إذا ظهرت في خطاب لواحد من رواد الفضاء السوفيت حيث يلقى هذا الخطاب على جماعة من الشباب الشيوعيين. فإن الترميز الصحيح سيكون بلاشك "مؤيداً" "Favourable".

وهناك بعض الحدود التي يجب وضعها عادة على حجم وحدة المتن.. ذلك لأن هذا الحجم قد يكون كبيراً جداً لدرجة تفقد الثقة والصدق في وحدة الترميز الأساسية ذاتها.. ولتوضيح ذلك نقول بأنه إذا أراد أحد الباحثين التاريخيين أن يقوم بتحليل المقاطع الخاصة بالصحافة في خطابات جمال عبد الناصر، ثم جعل "المتن" هو تاريخ حياة عبد الناصر.. فإن الباحث سيواجه مشكلة زيادة حجم "المتن" من غير شك.. وبالتالي فلا بد من حل وسط.

ويمكن أن نقول كلمة أخيرة بالنسبة لاختيار وحدات التحليل وهي أنه على الباحث أن يكون محيطاً بالتعاريف والوحدات والأكواد والفئات أو الطبقات Categories التي استخدمها غيره من الباحثين السابقين له، وذلك لأنه سيوفر كثيراً من الوقت للثمين، إذا اتبع الإجراءات المنتظمة التي ابتعها الآخرون.. وذلك لا يعني من غير شك اتباعاً لما فعل الأقدمون بطريقة

السية، بل يجب على الباحث من خلال ممارسته وبحثه أن يحسن ويطور من أفكاره بل ومحاولة تغيير الأساليب التقليدية المتبعة ورؤية المشاكل برؤيا جديدة واضحة على صعوبة تطبيق ذلك في الواقع.

5- إعداد الفئات للتحليل،

نظام الفئات هو النظام المستخدم لتصنيف محتوى وسائل الإعلام. وهو يختلف من موضوع لآخر، ومع ذلك فيجب أن تكون جميع نظم الفئات ذات صفات ثلاثة وهي : التخصيص والشمول والنقة.

Exclusive, exhaustive & reliable

وتتسحب صفة التخصيص على نظام الفئات إذا وضعت وحدة التحليل في واحدة فقط من الفئات، وإذا تبين للباحث أن بعض الوحدات تقع في فئتين مختلفتين في نفس الوقت، فيجب عليه مراجعة تعاريف هذه الفئات (مثلا نظام فئات كالتالي: أسود/ أبيض/ مسلم/ أمريكي/ مصري/ غير ذلك.. لا يعكس خاصية التخصيص إذ قد يكون المسلم أبيضاً أو أسوداً بل قد يكون مزيجاً الجنسيه أمريكي/ مصري.. أى أن هذا النظام ينقض قاعدة التخصيص)، وقد يبدأ باحث آخر بوضع فئات البرامج في محطة التلفزيون كما يلي:

1. المواقف الكوميديية.
2. برامج الأطفال.
3. الأفلام.
4. البرامج الوثائقية.
5. برامج العنف والمغامرات.
6. برامج الاسئلة والأحاديث.
7. الدراما العامة.

وعلى الرغم مما قد يبدو أن هذه القائمة مناسبة إلا أن بعض البرامج قد يقع في واحدة أو أكثر من هذه الفئات، بالتالي فلا بد من إعادة التعريف وتحديده وتخصيصه.

هذا وتتسحب صفة الشمول Exhaustivity على نظام الفئات إذا أمكن وضع كل وحدة من وحدات التحليل في قسم موجود فعلا existing slot أى في فئة سبق تحديدها وتعريفها، ويمكن التأكد من الشمول في الفئات في ثنائية أو ثلاثية المحتوى، فمحاولات حل المشكلة يمكن تحديدها في [عدوانى/ غير عدوانى]، أما بيانات المتحدثين فيمكن وضعها في فئات [إيجابى/ محايد/ سلبى] ويفضل عادة الاختبار القبلى على عينة من المحتوى، وذلك للتأكد من صلاحية نظام الفئات أو تعديله قبل التحليل.

وأخيراً فيجب أن يتميز نظام للفئات بالثقة Reliable أى أن القائمين بعملية التكويد يجب أن يكونوا متفقين في معظم الأحوال عن الفئة الصحيحة لكل وحدة من وحدات التحليل. ويمكن التأكد من ذلك بالاختبارات القبلىة Pretest.. هذا وعدد الفئات يتحدد عادة طبقاً للموضوع وقد تفيد الخبرة والاختبار القبلى في ذلك، وكقاعدة عامة فالفئات الكثيرة مفضلة عن الفئات القليلة وذلك لسهولة تجميع الفئات بعد ذلك.

6- وضع نظام للتعبير الكمي:

تستخدم هنا عادة القياسات الاسمية والفترية والنسبية، وعلى المستوى الاسمى، فإن الباحث ببساطة يقوم بعدد مرات تكرار حدوث الوحدات في كل فئة. فموضوعات المحادثة والمحاوره في التليفزيون أثناء النهار، أو الاتجاهات العامة للمقالات التحريرية بالصحف اليومية يمكن أن يعبر عنها كمياً بواسطة المقياس الاسمى.

أما المقياس الفترى فيستخدم في تقييم Rate بعض الصفات الخاصة بالأشخاص أو المواقف. ففي دراسة عن صور المرأة في الإعلانات التجارية، فيمكن تقييم Rate كل شخصية بواسطة المكونين على مقاييس متعددة مثل:

مستقل ----- تابع
مسيطر ----- خاضع

فمثل هذه المقاييس تضيف بعداً أعمق لتحليل المحتوى ولعلها أكثر أهمية من المقياس الإسمي السابق، ومع ذلك فمقاييس التقدير هذه Rating Scales تدخل عامل الذاتية في التحليل وبالتالي تقلل من الثقة Reliability إلا أن يكون القائمون بالتحليل متمرسون في هذه العملية.

أما المقاييس النسبية في بحوث وسائل الإعلام، فإنها تتصل بالقياسات الخاصة بالمكان والزمان. وفي الوسائل المطبوعة فإن قياسات العمود/البوصة هي المستخدمة في تحليل المقال التحريري والإعلانات والقصص الخاصة بأحداث أو ظواهر معينة.

أما في التليفزيون والراديو فإن القياسات النسبية هي التي تتم بالنسبة للزمن وعدد دقائق الإعلام التجاري وأنواع البرامج على الهواء وكمية البرنامج اليومي المخصص لمختلف أشكال البرامج وغير ذلك.

7- تكويد المحتوى،

والتكويد يعنى وضع وحدة التحليل في إحدى فئات المحتوى، والتكويد أكثر الأجزاء استهلاكاً للوقت، ويفضل أن يكون عدد المكودين صغيراً (بين ثلاثة إلى ستة عادة).

وهناك استمارات معيارية توضع لتسهيل عملية التكويد (أنظر الشكل التالي) رقم (1)

للحروف الاستهلاكية _____ كود البرنامج

استمارة وصف محاولة حل المشكلة

1- رقم كود البرنامج 01 02 03 04 05 06 07

2- اسم الشخص الذي يحاول الحل
(ملاحظة: أجب على الأسئلة التالية في حالة عدم تسجيلها قبل ذلك في استمارة وصف الشخصية).

3- هل الشخصية بطل وغد
4- هل الشخصية إنسان حيوان

- 5- هل الشخصية
ذكر
أنثى
غير ذلك
6- هل الشخصية
طفل (2-11)
مراهق (12-19)
شباب (20-49)
كهل (50+))
7- هل تتمتع الشخصية بقوة غير واقعية .
نعم
لا
الشكل رقم (1)

وهذه الاستمارات تسمح للمكودين بتصنيف البيانات بوضع علامات الأماكن المحددة من قبل، وقد تكون هذه الاستمارات على بطاقات مقاس 4 × 6" وتمكن البطاقات الباحث من فرز المعلومات بسرعة حسب الفئات المناسبة.

وهناك أجهزة قياس خاصة Templates لسرعة قياس المساحة بالصحيفة. أما الباحثون في مجال التليفزيون فهم يسجلون البرامج عادة بحيث يبدأ ويتوقف الشريط حسب رغبتهم ولتثناء تكويد البيانات. هذا وعند استخدام الحاسب الآلى فى تبويب البيانات، فإنها تنقل مباشرة لاستمارات التكويد الخاصة بالحاسب، أو لاستمارات الفرز الضوئية Optical Scan Sheets وتوفر هذه الاستمارات الوقت، فضلاً عن تقليل أخطاء البيانات.

والحاسبات الآلية مفيدة فى مرحلة تبويب البيانات كما أنها مفيدة كذلك فى عملية التكويد الفعلية. ومن الممكن أن تتعرف الحاسبات على الكلمات أو حتى للمقاطع Syllables كما تحدث فى عينة من النص. ولكن من عيوب هذه الطريقة أن النسخة الأصلية التى يتم فرزها يجب أن تكون فى شكل مقروء آلى ولعمل إدخال نظم التيلتيكست والفيوداتا حيث تكون النسخة فى شكل مقروء آلى- سيغير من الموقف ويقضى على العيوب السابقة.. وعلى كل حال فاستخدام الحاسب الآلى فى تحليل المحتوى هو أمر مقبول على نطاق واسع فى الوقت الحاضر.

8- تحليل البيانات:

تعتبر مقاييس الإحصاء الوصفي مثل النسب والمتوسطات والمنوال والوسيط مناسبة لتحليل المحتوى. وإذا ما وضعت فروض للبحث، فإن الإحصاء الاستدلالي يمكن استخدامه أيضاً، هذا واختبار (كا2) هو أكثر الاختبارات استخداماً، وذلك نظراً لأن معظم بيانات تحليل المحتوى تميل أن تكون اسمية في الشكل. ومع ذلك فإذا كانت البيانات تستجيب لمتطلبات القياسات الفترية أو النسبية فيمكن استخدام اختبار (t) أو Pearson's (r) وغير ذلك من الأساليب والقياسات الإحصائية.

9- تفسير النتائج:

إذا كان الباحث يختبر فروضاً محددة خاصة بالعلاقات بين المتغيرات، فإن التفسيرات ستكون واضحة إلى حد كبير، ومع ذلك فإذا كانت الدراسة وصفية بطبيعتها، فهناك بعض الأسئلة التي يمكن أن تثار بالنسبة لمعنى أو أهمية النتائج.

10- الثقة Reliability:

إذا كان تحليل المحتوى منهجاً موضوعياً في البحث، فمن اللازم أن تكون قياساته وعملياته موثوق بها. والثقة هنا تعني أن القياسات المتكررة لنفس المواد ستؤدي إلى قرارات ونتائج متماثلة، وإذا لم تحقق النتائج معيار الثقة فلا بد أن يكون هناك خطأ مع المكودين أو تعليمات التكويد أو تحديد الفئات أو وحدات التحليل أو أي توليفة من هذه الأخطاء. وهناك بعض الخطوات التي يوصى الباحثون بالأخذ بها لتحقيق مستويات مقبولة للثقة وهي كما يلي:

أ- يجب القيام بتحديد حدود الفئات بتفصيل كاف. من أجل ذلك فلا بد من وضع بعض الأمثلة لوحدات التحليل وشرح مختصر لها لفهم الإجراءات فهما كاملاً.

ب- تدريب المكودين على استخدام أدوات التكويد ونظام الفئات، على أن يقوم الفريق المتدرب جميعه بتكويد المواد كعينة، وأن يتم مناقشة النتائج وغرض الدراسة، ونتائج هذه المناقشات النهائية تعتبر المعيار الذى يجب أن يتبعه جميع المكودين وأن يتسلم كل واحد منهم نسخة من هذه المعايير.

ج- يجب القيام بدراسة مبدئية Pilot Study وذلك باختيار عينة صغيرة من مجتمع التحليل ثم ترك المكودين لوضع الفئات بشكل مستقل كل عن الآخر، وهذه البيانات مفيدة للتعرف على الفئات التى يتم تحديدها بدقة، وكذلك للتعرف على مستويات للمكودين أنفسهم. ولعل الجدولين التاليين يعكسان هذه المشاكل.

الجدول الأول : فئات لم يتم تحديدها بدقة

المكودون		الفئات	
I	II	III	IV
1,3,7,11	2,5,6,8,12,13	10	4,9,14
1,3,7,11	5,8,10,12	2,6,13	4,9,14
1,3,7,11	2,8,12,13	5,6,10	4,9,14
1,3,7,11	5,6	2,8,10,12,13,14	4,9

الجدول الثانى: نماذج أخطاء التكويد Chronic Dissenter

المواد	المكودون		
	I	II	III
1	1	1	11
2	111	111	1
3	11	11	11
4	IV	IV	111
5	1	11	11
6	IV	IV	1
7	1	1	111
8	11	11	1

قفي الجدول الأول يلاحظ أن تعاريف الفئات 1V,1 مرضية، فجميع المكودين قد وضعوا للوحدات 1، 3، 7، 11 في الفئة الأولى، أما في الفئة 1V فالمادة رقم 14 قد تم تصنيفها بطريقة منتظمة بواسطة ثلاثة من بين الأربعة مكودين، أما المادتين 4، 9 فقد تم تصنيفها بطريقة منتظمة بواسطة الأربعة.

والارتباك والحيرة واضحة في الحدود بين الفئة 11,11 فالمواد مصنفة بطرق مختلفة بينها. وبالتالي فتعريف الفئتين المذكورتين لابد من مراجعتها وذلك لتوضيح المقصود منها على وجه الدقة.

أما الجدول الثاني فيعكس عدم الاتفاق الواضح فالمكودان أ، ب يتفقان فيما بينهما سبعة مرات من ثمانية، أما المكودان (ب، ج) يتفقان مرتين فقط من بين ثمانية، أما المكودان (أ، ج) فيتفقان مرة واحدة، و واضح أن المكود (ج) هو أقلهم كفاءة وسيؤدي عمله إلى مشكلة في النتائج وفي هذه الحالة إما أن يعيد الباحث شرح التعليمات من جديد، أو أن يستغنى عن هذا المكود إذا استمرت أخطاؤه بعد ذلك.

وإذا ما أدى اختبار الثقة إلى نتائج مرضية فإن البيانات الرئيسية يتم تكويدها بعد ذلك. وعندما يكتمل التكويد، فمن المفضل أن يتم إعادة تحليل عينة صغيرة من البيانات (من 10% إلى 25%) بواسطة مكودين مستقلين وذلك لحساب ما يسمى بمعامل الثقة الشامل Overall intercoder reliability coefficient ويمكن حساب هذا المعامل بعدة طرق ومعادلات، واحدى هذه المعادلات التي ابتدعها هولستى (1969م) Holsti هي:

$$\text{الثقة} = \frac{م^2}{ن+1}$$

حيث م هي عدد قرارات التكويد التي يتفق عليها اثنان من المكودين، أما ن، ن2 فهي تدل على العدد الكلى لقرارات التكويد بواسطة المكود الأول والثاني على التوالي.

وعلى ذلك إذا قام إثنان من المكودين بالحكم على عينة صغيرة من خمسين وحدة واتفقوا على (35) منها فإن المعادلة تحسب كما يلي:

$$\text{الثقة} = \frac{(35)^2}{50+50} = 70$$

وعلى الرغم من أن هذه المعادلة سهلة ومباشرة، إلا أن النقد موجه لها نظراً لأن اتفاق المكودين يكون بعضه بطريق المصادفة.

وعلى كل حال فمعظم تحليل المحتوى المنشور يؤكد على نسبة ثقة لا تقل عن 90% أو أكثر عند استخدام معادلة هولستي السابق الإشارة إليها.

11- الصحة Validity

يجب أن يتحلى تحليل المحتوى إلى جانب الثقة بعامل الصحة أيضاً، والصحة تعنى درجة قياس المقصود بالقياس.. وإذا ما كان تصميم العينة خاطئاً وإذا ما تداخلت الفئات مع بعضها أو إذا كانت الثقة منخفضة وإذا لم تكن التعاريف المستخدمة محددة تماماً، فمن المحتمل أن تكون الدراسة ذات صحة منخفضة.

وهناك أساليب وطرق عديدة لتحقيق الصحة في البحث وأهمها الأسلوب المعروف باسم الصحة الوجيهة Face Validity وهو يفترض أن الأداة تقيس بكفاية المطلوب قياسه، إذا كانت الفئات محددة بطريقة دقيقة ومرضية، وإذا ما كانت الإجراءات المتخذة في التحليل تتم بطريقة كافية أيضاً.

وفي ختام هذا كله فيجب أن نؤكد على ضرورة تفسير نتائج تحليل المحتوى بطريقة أكثر حذراً، ذلك لأن استنتاج أى تأثير لمحتوى الرسالة يجب أن يكون مصحوباً بدراسة فاحصة للجمهور المستهدف.

وفيما يلي مثال للتحقق من الثقة والصدق في عملية التكويد:

لنفترض أن أحد أغراض التحليل هو تقدير متوسط عدد الموضوعات الوطنية-الدولية- المنشورة على الصفحة الأولى لعدد من الصحف.. عند ذلك فيمكننا أن نقرر اختبار الثقة في هذه الحالة وذلك بأخذ خمسين صحيفة من العينة ثم يقوم كل واحد من القائمين بالتكويد بفحص هذه الصحف.. على أن يحسب عدد الموضوعات الوطنية-الدولية- على الصفحة الأولى لكل منها.

ثم نحسب بعد ذلك مصفوفة الارتباط Correlation Matrix مسجلين العلامات Scores المتعلقة بكل صحيفة بواسطة كل اثنين من القائمين بالتكويد.

وعلى سبيل للمثال ففي الشكل رقم (2) كل نقطة في رسم الانتشار Scattergram تمثل العلامات التي وضعها القائم بالتحليل للصفحة الأولى بالنسبة لصحيفة معينة (القائم بالتكويد الأول (1) على المحور الرأسي والقائم بالتكويد الثاني (ب) على المحور الأفقي).. وقد أثبتت النتائج أن هناك درجة عالية من الاتفاق بين هذين القائمين بالتكويد ومعامل الارتباط في هذه الحالة مرتفع.

ولكن ماذا سيكون عليه الحال إذا كان معامل الارتباط منخفضاً؟ والعلامات التي وضعها كل واحد من القائمين بالتكويد مختلفة بدرجة كبيرة؟ من الواضح أن هناك على الأقل فرصتين للخطأ وهما:

أ- أن القائم بالتكويد سيهمل بعض المواد أثناء عملية التكويد وفحص الجريدة.

ب- أن القائم بالتكويد سيضمحل تحليله جميع القصص الموجودة ولكنه سيكونها بطريقة خاطئة لمسبب أو لآخر.

وعلى ذلك فإنه من المفيد عادة ألا تراجع العلامات الكلية المعطاة لجريدة معينة فحسب ولكن أن ينظر المحلل إلى التكويد بطريقة أكثر عمقاً.. والتأكد من أن القائمين بالتكويد يقومون بتكويد نفس الموضوعات بنفس الطريقة.

وعلى العموم فإن القيام باختبارات الثقة والصدق يتم تحت ظروف تكويد طبيعية وباستخدام مواد طبيعية وبدون تعريف القائمين بالتكويد أنهم يخضعون لاختبار خاص لقدراتهم.

شكل رقم (2)

15															0
14															
13															
12										00	00				
11															
10								0	000						
9							000								
8						0	00								
7			0	0	0	0000 0000	0								
6		0	0	0	00 000										
5			0	0 000											
4			000	0											
3		000													
2	00														
1															
	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15

القام
هاتفكوي
[ا]

رسم التشتت يبين عدد القصص أو الموضوعات الوطنية -الدولية- الموجودة على الصفحات الأولى لخمسین صحيفة بواسطة اثنين من القائمين بالتكويد.

سادساً: استخدامات تحليل المحتوى بين النظرية والتطبيق

يهتم بعض المشتغلين بتحليل المحتوى بصفة أساسية بما يحدث في المحتوى ذاته دون أن يكون لهم اهتمام بالمصدر الذي أنتج هذه الرسالة أو الجمهور المستهدف بها.. ولكن مثل هؤلاء المشتغلين ومثل هذه المشاكل

نادرة.. ذلك لأن تحليل المحتوى يستخدم عادة لاستخلاص أو استنتاج بعض الجوانب في المصدر والتي لها أصول في المحتوى، أو بعض الجوانب في الجمهور المستهدف أو الشخص الذي تعرض لهذه الرسالة، كما قد يتناول تحليل المحتوى بعض الاستنتاجات الشاملة العامة عن أجزاء متفرقة أو عن كل النظام الاتصالي موضوع الدراسة.

سابعاً: استخلاص النتائج

1- استخلاص النتائج عن مصادر الاتصال

لقد لاحظ علماء النفس أن اللغة تعبر إلى حد كبير عن الفكر.. وأنه يمكن الحصول على نتائج متصلة بالعمليات العقلية للشخص ومتعلقة باتجاهاته واهتماماته وأهدافه بناء على الدراسة العميقة لكتاباتهِ وإنتاجهِ وتعبيره الشفوي Verbal Output ذلك لأن هذه الاتجاهات والاهتمامات والأهداف يمكن أن يكشف عنها المصدر عادة في خطبه أو كتاباته.. فالرسالة إذن يمكن أن تبين لنا: أن المصدر كان تحت ضغط عاطفي أو مؤثرات اجتماعية؟ وهل كان خائفاً؟ قلقاً؟ أم متقلب المزاج؟ أو غير ذلك..

وعلى كل حال.. فإذا كانت الرسالة تعكس هذا كله، فلا بد أن يتوفر لدينا بعد النظر والملاحظة الدقيقة لرؤية ما تعكسه الرسالة، وهي نفسها مرآة للقي التي تقف وراء المصدر أو تعيش داخل المجتمع، أو مرآة للثقافة التي يعيشها هذا المصدر.

فمن التقاليد المتفق عليها مثلاً أن الآراء السياسية التي يتم التعبير عنها في مقال التحرير Editorial تعكس اتجاهات الصحيفة، أما الأخبار التي تنقلها الصحيفة فلا تتلون مع سياسة الصحيفة.. بل تظل هذه الأخبار بعيدة عن التلون السياسي ويتم التعبير عنها بطريقة موضوعية Objective.

ولكن القائمين بعملية تحليل المضمون لكل من مقال التحرير والأخبار في الصحيفة قد يكتشفون أن مقال التحرير والأخبار ليسا شيئين منفصلين.. أو قد يكتشفون أن أحدهما يؤثر على الآخر.

وفي الجدول التالي يمكن أن نشير إلى العلاقة بين تأييد المقال التحريرى لبعض المرشحين والأخبار الواردة في أعمدة الصحيفة وذات العلاقة بهؤلاء المرشحين.. وهذه النتائج مبنية على الدراسات التى قام بها معهد ستانفورد للدراسة الصحفية.

جدول رقم (1)

اتجاه مقال التحرير بالصحف فى العينة

فقرات الأخبار		التي تؤيد نيكسون		المحايدة		التي تؤيد دوجلاس	
بالأعمدة	مؤيدة	محايدة	مفوضة	مجموع النسب للمؤيدة	فقرات	صحف	
نيكسون	دوجلاس	نيكسون	دوجلاس	نيكسون	دوجلاس	نيكسون	
53.8%	27.5%	34.4%	42%	23.2%	75.7%	2930	2
35.8%	30.2%	46.1%	38.8%	38.4%	38.8%	2992	1
10.4%	42.3%	19.5%	19.2%	38.4%	3.5%	458	9
100%	100%	100%	100%	100%	100%		
2930	2992	486	528	707	458		
9		1		2			

ولحسن نلاحظ ان وحدة الترميز فى هذا البحث هى الفقرة Statement وقد عرفها معهد ستانفورد بأنها "التعبير الذى يدل على فكرة كاملة".

هذا وقد أوضحت النتائج فى الجدول المبين أعلاه بالنسبة للصحيفتين المواليتين لدوجلاس أن هناك توازنا فى فقرات أعمدة الأخبار المؤيدة لمقالات التحرير الموالية للمرشح.. أما بالنسبة للصحيفة غير المتحيزة لاي منهما فإنها كانت مؤيدة لدوجلاس بدرجة طفيفة ولكن هناك صحيفتين فقط من الصحف الموالية لنيكسون قد أظهرتا توازنا فى الفقرات التى تؤيد دوجلاس.. وباقى الصحف كان لديها توازن فى الفقرات التى تؤيد نيكسون فى أعمد الأخبار.

وإذا كانت هذه النتائج لا تثبت الفرض بصورة قطعية بأن موقف التحرير في صحيفة ما سوف يؤثر على عملية الاتصال في أعمدة الأخبار. (ذلك لأن عددا قليلا جدا من الصحف قد تم دراستها، وكذلك فهناك عوامل كثيرة إضافية تدخل في البحث). إلا أننا يمكن أن نشير إلى أن هذه النتائج تتفق مع الفرض بصفة عامة. وهناك دراسات وبحوث أخرى استخدمت مناهج وأساليب أقوى في هذا المجال الحساس والعسير من الدراسات.

2- استخلاص النتائج عن مستقبلتي الرسالة:

هل نستطيع أن نعرف تأثير الرسالة عن طريق تحليل المضمون وحده؟ لقد حير هذا السؤال كثيرا من الباحثين خلال سنوات طويلة. ذلك لأن هناك صعوبة واضحة في التنبؤ بصفات محتوى الرسالة التي ستؤدي إلى اهتمام الجمهور Readability كما أن هناك صعوبة في التنبؤ بدرجة "فهم" أو "قراءة" أو "استماع الجمهور لرسالات معينة. هذا فضلا عن صعوبة التنبؤ بما يمكن أن تؤثر به الرسالة في "اتجاهات" و"مشاعر" الجمهور ودرجة تماسكه أو تحوله الاجتماعي. الخ..

ولا يخفى على القارئ الباحث أهمية الإجابة على هذا السؤال بإجاباته العديدة من النواحي النظرية والعملية- فلو استطاع الباحث أن يتنبأ بحجم الجمهور الذي سيقرا أو يسمع "إعلانا" معيننا بناء على تحليل مضمون الإعلان.. ولو استطاع الباحث أن يتنبأ برد الفعل العالمي لجهود الدعاية التي تقوم به الدولة عن طريق تحليل مضمون الرسالات الدعائية والاتصالية، إذن لقدّم الباحث خدمة علمية جليّة.

لقد كان هناك دائما صعوبة بل ومخاطرة في دراسة "الاتصال الجماهيري" نظرا لعدم استطاعة الباحث التحكم والتعرف على قنوات رجوع الصدى Feedback من الجمهور المستهدف إلى مصدر للرسالة، ففي معظم حالات الاتصال بالجماهير تبث الرسالات، ثم يكون الأفراد أحرارا في

الاستجابة أو عدم الاستجابة لهذه الرسائل. وإذا كان خبراء الاتصال يحاولون بسببى الوسائل أن يقدموا للجمهور المستهدف محتوى للرسالة يستجيب لاحتياجاته، إلا أن معظمهم يعمل في شبه ظلام، لأن ردود الفعل الجماهيرية بطيئة وعسيرة التقييم.

وهناك بعض المحاولات والبحوث التي أجريت في هذا الاتجاه ومن بينها دراسة العوامل المتوفرة في الاعلان، والتي تؤدي إلى اهتمام أو استجابة منخفضة. وهذه الدراسة هي ما يعرف بدراسة القرائية Readership Study لقد حاول العالم تويد Twedt أن يتعرف على الارتباط Correlation بين خمسة عشر "متغيراً" في الاعلانات (مثل: عدد الألوان، عدد أساليب الاعلان المستخدمة، إلخ) وبين تسعة عشر متغيراً في المضمون (مثل مستوى علامات فليش Flesch للقراءة والتجريد، عدد "المزايا" Benefits في العناوين Headlines... إلخ. مع علامات القراءة في (137) اعلنا. وبعد أن استبعد الارتباطات التي ليست لها دلالة، وبعد قيامه بدراسة تحليلية للعوامل، انتهى تويد Twedt إلى معادلة لتحديد متعددة Multiple Regression Equation مبنية على ثلاثة عوامل هي:-

1. حجم الاعلان.
2. عدد الألوان.
3. عدد البوصات المربعة للصورة (وكان الارتباط المتعدد لهذه القياسات بعلامات القرائية Criterion Readership Scores هو 0.76) وكانت المعادلة كما يلي:-

القراءة المتنبأ بها:

$$\begin{aligned}
 &= 10.456 + 08.293 (\text{حجم الاعلان في الصفحات}) \\
 &+ 03.869 (\text{عدد الالوان}) \\
 &+ 00.181 (\text{عدد البوصات المربعة للرسم والصور}).
 \end{aligned}$$

وقد اختبر تويد Twedt صحة هذه المعادلة بمقارنة علامات القراءة المتتبا بها والفعالية في ست مجلات أخرى.. وكان متوسط (Mean) الارتباط هو 0.17.

وهناك دراسات متنوعة وعديدة تحاول الوصول إلى استنتاج تأثير المحتوى أو المضمون، وعلى العموم، فقد حاول الباحثون في هذا المجال التنبؤ فقط بالتأثيرات "الأبسط" للمضمون.. التي تتصل بمستوى الاهتمام أو الفهم مثلا، ولكن هذه الدراسات لم تول عناية باستخدام تحليل المضمون في التنبؤ بحدوث الفعل العاطفية أو بتغير الاتجاه أو غير ذلك.

ثامنا: التطورات الجارية في تحليل المضمون:

إن تاريخ تطور تحليل المحتوى يكشف عن حلقات مترابطة ومستمرة لهذا التطور، فقد زاد استخدام أسلوب تحليل المحتوى كمنهج للبحث زيادة ملحوظة، وتم تطبيقه على نطاق عريض من المشاكل خصوصا تلك التي تتصل بالقضايا التاريخية وتأثيرات وسائل الاتصال والدعاية. كما زاد استخدام تحليل المحتوى كوسيلة لاختبار الفروض بدلا من مجرد البحث الوصفي. هذا فضلا عن تعدد أشكال المواد المستخدمة في عملية التحليل واستخدام أسلوب تحليل المضمون كمكمل للأساليب الأخرى ثم استخدام الآلات الحاسبة الالكترونية في تحليل المحتوى. وفيما يلي تفصيل بعض تلك التطورات:

1. هناك اتجاهات متباعدة في تحليل المضمون إذ يهتم البعض بالبساطة في القياس بينما يركز البعض الآخر على القياسات المعقدة.

ولكن هذه الأساليب المعقدة تتم الآن بطريقة أسهل وأبسط مع التطور في هذا المجال. فهناك على سبيل المثال معادلات قرائية جديدة Readability Formula أسهل في الاستخدام والتطبيق.

2. تهتم الدراسات الخاصة بتحليل المضمون باختبار الفرض وذلك إذا قارناها بالبحوث الوصفية المجردة. ويعتبر هذا الاتجاه ذات أهمية لسببين:

أولهما: أن طريقة اختبار الفرض تتصل بصحة Validity أسلوب القياس.
ثانيهما: أن اختبار الفرض طريقة تتجاوز مجرد الحوار والتحليل الذاتي
لتأثير وسائل الإعلام الجماهيري أى تتجاوز مجرد الاعتماد
على الأدلة المنطقية وحدها.

وباختصار فإن طريقة تحليل المضمون قد قل استخدامها كمنهج عندما
لا نستطيع أن نفحص المصادر أو نتعرف على الجماهير التي تتلقى الرسالة،
كما كثر استخدامها كمنهج عندما نقوم كذلك بفحص أو مضاهاة المصادر
والجماهير المستهدفة بالرسالة.

أى أن تحليل المضمون يلعب دورا متزايد الأهمية في الدراسات التي
تتكامل مع بعضها والتي تتصل بالنظم الإتصالية أو بالعمليات الاتصالية
ككل. وليس بأجزاء معزولة من تلك النظم.

3. هناك تحول بالنسبة للأفكار المحورية التي يتم فحصها بالطريقة التحليلية.
فالرغبة مثلا في التعرف على التحيز Bias في الصحافة قد تحول إلى
الرغبة في التعرف على عمليات الضبط الاجتماعي في إعداد الصفحات
الاخبارية. أى أن التغير قد تم نحو أفكار محورية تتصل بالأفكار النفسية
والاجتماعية المجردة والنظرية أكثر من توجه هذه الأفكار نحو قضايا
أخلاقية محددة. وإذا كانت الدراسات الجديدة قد تبدو أقل جاذبية في
الاطلاع عليها. فإنها تبدو أكثر اقترابا من العلم.

4. وهناك تطور ملحوظ في مختلف المناهج ومن بينها تحليل المضمون،
وهو استخدام الحاسبات الآلية. ذلك لأن هذه الحاسبات الآلية ذات قدرة
هائلة في حفظ المعلومات ومراجعة الحقائق المختزنة وبالتالي فهي ذات
أهمية كبرى في عمليات تحليل المضمون . خصوصا تلك التي تتصل
بالبحث في المحتوى عن حدوث كلمات معينة أو مجموعة كلمات محددة،

مع إمكانية استخدام عينات أكبر حجماً من المستخدمة من قبل نظراً للسرعة التي تعمل بها الحاسبات الآلية.

5. وأخيراً فهناك تطور نحو استخدام تحليل المضمون في التجريب حيث يمكن أن تتم التغييرات في المحتوى بصفة منتظمة Systematic ويتم توثيق هذه التغييرات عن طريق تحليل المضمون. ثم التعرف على تأثير هذه التغييرات على الجمهور. وهناك دراسات تهتم بتطويع الظروف المحيطة بمصادر الاتصال ثم تحليل محتوى الرسالة الذي يقوم به المصدر وستزيد مثل هذه الدراسات من معلوماتنا عن عملية الاتصال من غير شك.

هذا ويمكننا أن نقول في ختام هذا العرض، إن تحليل المضمون هو منهج يمكن استخدامه بطريقة سليمة أو غير سليمة بالنسبة لمشاكل ذات أهمية أو مشاكل أخرى عديمة الأهمية، وبالتالي فإن البحث الجاد يعتمد في النهاية على المعرفة الكافية بالموضوع وعلى التصور الخلاق، ولا يعتبر اختيار طريقة معينة أو منهجاً معيناً في البحث ميزة أو هدفاً في حد ذاته، ذلك لأن الباحث لابد أن يسأل نفسه عن أفضل الطرق والمناهج والأدوات الصالحة لاختبار فروضه وحل مشكلة البحث المتميزة التي أمامه. إذ ربما يستطيع بطريقة أو بأسلوب آخر أو بتكاليف أقل أن يحقق ما يريد دون الاستعانة بطريقة تحليل المضمون.

إن التعبير الكمي عن المواد الوثائقية في طريقة تحليل المضمون يمكن أن تؤدي إلى نتائج وبيانات هامة عن جوانب عديدة من التجربة والسلوك الإنساني. ومع ذلك فينبغي على الباحث أن يقاوم الإغراء نحو عد الأشياء بهدف العد ذاته. فقد يؤدي نشاطه هذا إلى نتائج دقيقة ولكن لا معنى لها أو مجرد نتائج ذات قيمة تافهة.

تاسعاً: نموذج تطبيقي لتحليل محتوى شبكات الأخبار الأمريكية لتغطية زيارة الرئيس السادات لإسرائيل عام 1977

1/9 مقدمة ومشكلة الدراسة:

لقد استحوذت أحداث الشرق الأوسط على اهتمام الرأي العام الأمريكي، وذلك بسبب انشاء إسرائيل منذ أكثر من ستين عاماً، وقد اتضح هذا الاهتمام في تغطية الصحافة الأمريكية، إذ احتلت أخبار الشرق الأوسط في التلفزيون المرتبة الثانية - بعد فيتنام - في أواخر الستينيات. (وارنر، 1968 Warner).

ولقد تمت خلال هذه الفترة عدة دراسات أكاديمية للتعرف على التحيزات - في حالة وجودها - بالنسبة لتغطية أخبار الشرق الأوسط. وفي الواقع فقد أعلنت كل هذه الدراسات تقريباً أن هناك تحيزاً ضد العرب، كما أن الإنتاج الفكري الشعبي يتهم وسائل الإعلام بالتحيز للمصالح الإسرائيلية.

لقد تبين في تحليل للمحتوى يغطي المراحل الأولى للحرب العربية الإسرائيلية لعام 1956، أن جريدة نيويورك تايمز كانت مؤيدة لإسرائيل وناقدة للجهود العربية (باتروكا، 1961 Batroukha). كما أظهرت الدراسة نفسها - مع ذلك - أن صحيفة كريستيان ساينس مونيتور كانت متوازنة في تغطيتها الإخبارية، وقد وجد سليمان (1965) أن هناك سبعة مجلات إخبارية أمريكية رئيسية مؤيدة لإسرائيل وضد العرب بصفة عامة خلال الشهور الستة الأخيرة لعام 1956. ولاحظ سليمان امتناع الصحافة الأمريكية عن نقد الإسرائيليين (سليمان 1965 ص 11).

أما التغطية الصحفية لحرب الشرق الأوسط عام 1967 فقد تم تحليلها في عدد من الدراسات، وأظهرت معظمها أن وسائل الإعلام الأمريكية كانت مؤيدة لإسرائيل خلال حرب الأيام الستة (1967 و AIPC ، بلكوي Belkaoui، 1978

فارمر 1968 Farmer هوارد، Howard ، 1967 ، سليمان، Suleiman ،
(1970).

ولقد بررت الصحافة الأمريكية هذا الانحياز بأنها تستطيع الوصول إلى
الأخبار الإسرائيلية بطريقة أكثر سهولة، وهو تفسير ميشيل سليمان (1970).
فخلال شهري مايو ويونيو عام 1967 فقد كان 84% من التقارير الصحفية عن
الشرق الأوسط مؤيدة لإسرائيل ومعادية للعرب خلال حرب 1967
(ص 140-141).

هذا بالإضافة إلى العرض المستمر لإسرائيل كصانعة لمعجزة في
سبيلها وعلى سبيل المثال فقد قارنت التقارير بكثرة بين عدد السكان العرب
الهائل من المحيط للخليج وبين سكان إسرائيل، دون مقارنة لجيش إسرائيل
المكون من (300000) بجيش العرب المكون من (285000) (سليمان، 1970)،
وقد دعمت دراسات أخرى AIPC بلكوني، فارمر، هوارد) هذه النتائج التي
وصل إليها سليمان.

وقد ذهب بلكوي (1978) إلى أن الصحافة الأمريكية المؤثرة،
Prestige Press قد خلقت صورة محايدة للإسرائيليين عام 1967 الذين كانوا
يميلون إلى الخبر والقول والاعلان وليس التهديد أو التحذير (ص736) ومن
جهة أخرى فإن العرب كانوا يميلون لتوصيل رسالتهم بأسلوب يملأ العدوان
والغضب والتهديد (ص736) فضلا عن أنها كانت تعرض الأشخاص
الإسرائيليين عام 1967 على أنهم أبطال بينما كان القادة العرب يرونهم
أوغادا Villains (بلكوي، 1978).

وفي دراسة للتغطية الصحفية منذ نهاية عام 1967 وحتى عام 1969، فقد
وجد واجنر (1973) (Wagner) أن المقالات التحريرية لكل من New York
Times, Los Angeles Times, Washington Post

نيويورك تايمز، ولوس انجلوس تايمز، واشنطن بوستون قد أظهرت
نغمة موالية لإسرائيل بصفة عامة فضلا عن "الاهتمام بتحقيق تسوية
تفاوضية (Wagner, 1973,317).

أما تغطية وسائل الاعلام لحرب 1973 فقد عكست تغييرا واضحا
بالنسبة لتأييد الصحافة الأمريكية لإسرائيل. فقد تبين لجوردن
(Gordon, 1975) أن شبكات التلفزيون تقوم بتغطية اخبارية متوازنة في
الولايات المتحدة، على الرغم من أن جريدة نيويورك تايمز - كما يذهب
زاريمبا (Zaremba, 1977) قد اعتبرت العرب كمعتدين أيضا مثلما كان الحال
في حرب عام 1967 (Wagner, 1973).

هذا وتعتبر دراسة جوردن السابق الإشارة إليها، ذات أهمية بالغة،
لأنها الدراسة الوحيدة المنشورة لتحليل محتوى أخبار التلفزيون الأمريكي
عن الشرق الأوسط. فقد تبين لجوردن عدم وجود فرق ملحوظ بين عدد
النقارير التي تخرج من كل من إسرائيل والبلاد العربية، وعلى الرغم مما
لاحظه من بعض الاختلافات في عرض بعض الشبكات للأخبار، إلا أن هذه
لا تعكس أي تحيز واضح في التغطية العامة لأخبار الحرب.

ولقد ناقش بلكوي (Belkaoui, 1978) هذا التحول في الاعلام عن
الشرق الأوسط من الاتجاه المؤيد بشدة لإسرائيل إلى التغطية الأكثر تأييدا
للعرب أثناء وبعد حرب عام 1973. وقد وصف الإسرائيليون بطريقة متزايدة
بأنهم غاضبون قلقون، مندهشون، مذهولون. أما العرب فقد تعرضوا لحملة
أكثر ايجابية لتغيير صورتهم ومن أكثر الأمثلة البارزة التي تعكس هذا
التغيير والتحول في صورة (البطل - الوغد) تأتي من مصر، فقد صور
أنور السادات -على الرغم من بعض الجوانب السلبية- بطريقة أكثر تعاطفاً
عام 1973 بالمقارنة بناصر في عام 1967 (بلكوي، 1978، ص 736).

وخلاصة ما جاء في الإنتاج الفكري المتوفر، هو أن وسائل الاعلام قد
بدأت تغطية الشرق الأوسط من توجه مؤيد لإسرائيل في الخمسينيات، ثم

أصبحت هذه الوسائل أكثر وأكثر في موالاتها لاسرائيل حتى عام 1967 ثم أصبحت أكثر تعاطفا للعرب بعد حرب عام 1973.

وقد ظهرت بعض الشكوى والاعتراض الجديد من هذه التغطية على اعتبار أنها تعكس العداء لاسرائيل (أنظر على سبيل المثال: هل وسائل الاعلام عادلة نحو إسرائيل؟ (Laquer, 1977, 1976, b Kenen 1976, 1975)

وفي مقابلة أجرتها مجلة للدراسات الفلسطينية للمراسل الصحفي الخاص بالشرق الأوسط في محطة ABC عام 1976، قال: " أعتقد أن التغطية التقليدية لوسائل الاعلام كانت مؤيدة للجانب الاسرائيلي وليس للجانب العربي.. ولكنني أعتقد أيضا أن هذه الموقف قد بدأ في التغيير - بصورة غير جذرية ولكنها واضحة - بعد حرب أكتوبر وخصوصا بعد حظر تصدير النفط العربي للولايات المتحدة، وعلى العموم فقد اتخذت وسائل الاعلام لنفسها بصفة عامة، نظرة أكثر خصبا في التغطية وإن لم تكن واضحة المعالم دائما بالنسبة للعالم العربي (Ghareeb, 1976, N 127 - 28) أى أن المسرح كان معدا لوسائل الاعلام الأمريكية لعرض نظرتها الجديدة المؤيدة للعرب عندما أعلن الرئيس المصري أنور السادات في نوفمبر عام 1977 عزمه على زيارة القدس ومقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بييجين والقاء خطاب في الكنيسة الاسرائيلي.. وهذه الرحلة المفاجئة - والتي صاحبها حالة ضخمة في الصحافة الأمريكية - تعتبر حدثا اعلاميا من الطراز الأول (O. Conner, 1977) .

2/9 أسئلة البحث:

ونظرا لهذا التحول المزعوم في لهجة وسائل الاعلام الأمريكي فإن تغطية رحلة السادات لاسرائيل تعتبر مناسبة للدراسة، وذلك للإجابة على الأسئلة التالية:

1. هل تغيرت أخبار التليفزيون الأمريكي بطريقة واضحة عن اتجاهها الذي تعودت عليه وهو التغطية المؤيدة لإسرائيل؟
2. هل كانت التقارير الاخبارية التي ظهرت قبل الزيارة المذكورة مؤيدة لإسرائيل أم العرب؟
3. هل كانت هناك فروق في تغطية كل من الشبكتين الرئيسيتين في أمريكا (ABC, CBS) لزيارة السادات؟

3/9 فروض الدراسة:

وفي الإجابة على هذه الأسئلة فإن الفرض العام هو أن تغطية التليفزيون لزيارة السادات عام 1977 ستكون مؤيدة للعرب بصفة عامة، أي أنها تعكس اتجاه تغطية وسائل الاعلام الأمريكي للشرق الأوسط. وهناك بعض الفروض البحثية الأكثر تحديداً يمكن وضعها واختبارها كما يلي:-

فرض 1:

ستحظى زيارة السادات بأعلى الأولويات في الأخبار المسائية خلال الفترة التي ستغطيها هذه الدراسة.

فرض 2:

ليس هناك فرق واضح في كمية الوقت المخصص لزيارة السادات بين كل من شبكات ABC, CBS.

فرض 3:

سيحظى السادات بوقت إخباري أكبر من ذلك الوقت المخصص لبيجن.

فرض 4:

سيحظى السادات بخلفية مرئية أكثر تأييدا من بيجن.

4/9 منهج البحث:

في محاولة للإجابة على الأسئلة البحثية واختبار الفروض فإن هذه الدراسة ستغطي تقارير الأخبار المسائية لشبكتي ABC, CBS خلال أسبوع نوفمبر (11-18-1977)،

(أول رواية إخبارية عن الزيارة الممكنة لإسرائيل بواسطة السادات، أذيعت يوم الاثنين الحادي عشر من نوفمبر، وقد توجه السادات لإسرائيل يوم السبت التاسع عشر من نوفمبر) لم يتم تغطية أخبار NBC نظراً لضيق الوقت، ومع ذلك فقد أثبتت البحوث السابقة أن النتائج سوف لا تختلف بدرجة كبيرة إذ تضمنت هذه الورقة البحثية دراسة NBC (انظر في ذلك، Lemert, 1974). وقد تم تقسيم كل من الروايات العشر إلى قطاعات، وقد تم تعريف القطاع بأنه يمثل متحدثاً واحداً (كل مراسل معتمد قد اعتبر قطاعاً منفصلاً، وإذا ما تحدث هذا المراسل المعتمد مرتين أو أكثر في نفس اليوم، فقد اعتبر قطاعاً واحداً فقط).

وقد تم وضع الوقت المخصص لكل فئة من الفئات بالإضافة إلى اتجاه أساسي Major theme (وحتى ثلاث اتجاهات رئيسية تمثل القطاع) على الرغم من أن كل قطاع لا يشترط بأن له بالضرورة اتجاه رئيسي أو اتجاهات فرعية.

ويوضح الجدول رقم (1) قائمة بالاتجاهات themes المستخدمة في الترميز ثم تصنيف الخلفية المرئية للقطاعات المعتمدة، أو القطاعات التي حدثت في الاستديو أما الجدول الثاني فهو يمثل استمارة الزمن المستخدمة في التصنيف.

5/9 نتائج الدراسة:

يمثل الجدول الثالث مكان وطول ونسبة كل إذاعة إخبارية تم تحليلها في هذه الدراسة حسب الأيام. ومكان تقرير الأخبار يدل على المكان Slot الذي

تحتله الرواية ، بحيث يعتبر رقم (1) القصة الأولى للبرنامج والرقم (5) القصة الأخيرة.

وتؤيد هذه النتائج الفرض الأول والثالث. وقد حظيت زيارة السادات بأعلى أولوية في الاخبار المسائية خلال الفترة التي تغطيها في هذه الدراسة، ولم يكن هناك فرق ملحوظ في كمية الوقت المخصص لزيارة السادات بين كل من الشبكتين ABC. CBS.

أما الجدول الرابع فيمثل تحليلا للوقت الاخباري الكلي المخصص سرؤية السادات بواسطة التحدث، وكما هو متوقع فئة المراسل المعتمد هي التي احتلت معظم الوقت، أي أنها استهلكت ما مجموعه 74% من الوقت الكلي المتاح للأخبار.

ولما كان كل من السادات وبيجن هما الممثلان الرئيسيان في هذا التحليل، فإن كمية الوقت التي يظهران فيها على التقارير الاخبارية تعتبر ذات أهمية خاصة.

الفرض الثالث وهو أن السادات سيحظى بوقت اخباري أكثر بدرجة ملحوظة من بيجن. فعلى شبكة ABC حظي السادات بعشر ثوان فقط أكثر من بيجن على الهواء، ولكن على شبكة CBS فقد كان السادات أقل من بيجن بمدة دقيقتين ونصف. وإذا كان كل من السادات وبيجن قد حظيا بنفس الوقت على الهواء تقريبا على شبكة CBS فإن ذلك يبدو أنه يوحى بتغطية متوازنة، ولكن ذلك في الواقع هو ميزة إلى جانب بيجن، ذلك لأن الرواية الأصلية كانت للسادات، وبالتالي فحصوله على وقت أكثر على الهواء هو أمر له ما يبرره.

أما الفرض الخامس:

وهو أن الاتجاه العام المؤيد للعرب سيحظى باهتمام أكبر بدرجة ملحوظة - من الاتجاه العام المؤيد لاسرائيل فقد تم رفضه أيضا، اعتمادا على الجدولين الخامس والسادس، فأكثر الاتجاهات الرئيسية التي تم التعبير

عنها بكثرة (أنظر الجدول الأول) هذه كلها كانت اتجاهات عامة مؤيدة لإسرائيل، وإذا ضمت هذه الاتجاهات مع بعضها فإنها تشكل 55.79% من وقت الأخبار الكمي المتاح كتجاه عام رئيسي.

هذا والاتجاهات العامة المؤيدة للعرب، قد تم التعبير عنها في أقل من 34 دقيقة من المجموع الكلي المفحوص بالدقائق وهو 86.18 دقيقة.

وتبرز صورة مشابهة عند فحص الاتجاهات العامة الفرعية، والنتائج المقدمة في الجدول السادس تظهر الاتجاهات المؤيدة لإسرائيل وعلى الرغم من أن بعض الاتجاهات كانت مؤيدة للعرب كما تم التعبير عنها إلا أنه ليس هناك تأكيد كاف للفرض الخامس هذا وأخبار التليفزيون لم تكن تقدم زيارة السادات بطريقة مؤيدة للعرب، وكان ذلك واضحاً بشكل محدد.

أما بالنسبة للفرض السادس وهو أن السادات سيحظى بخلفية مرئية أكثر تأييداً في الروايات المعتمدة (بالاستديو) من بيجن على كل من شبكتي ABC/CBS فإن هذا الفرض مقبول بالنسبة لشبكة ABC ومرفوض بالنسبة لشركة CBS .

فعلى شبكة ABC تم تصوير السادات على خلفية الاستديو، وحده، مع رمز حمامة السلام من خلفه، وذلك لمدة أربعة من خمسة أيام غطتها الدراسة، وذلك لإعطاء انطباع بأن السادات، وحده، الذي يعتبر رمزاً للسلام.

أما في اليوم الخامس، فلم تكن هناك صور لا للسادات ولا لبيجن ولكن الكلمات الحيادية التالية ببساطة "إسرائيل/مصر/الشرق الأوسط".

أما شبكة CBS فقد صورت كلا من بيجن والسادات في ثلاث مناسبات وصورت السادات وحده مرة واحدة. ولم تظهر شبكة CBS السادات (أو بيجن) مع رمز للسلام كحمامة السلام مثلاً.

وبخلاصة هذا كله أن التغطية بصورة عامة - لزيارة السادات لإسرائيل كانت مؤيدة لإسرائيل وليست مؤيدة للعرب. وتغطية زيارة

السادات لم تعكس أى اتجاهات نحو تغطية مؤيدة للعرب في الاعلام الأمريكي.

6/9 تحليل نتائج الدراسة:

ماذا تشير إليه هذه النتائج؟

1. التغطية الاخبارية في الشبكات الأمريكية لزيارة السادات لم تكن مؤيدة للعرب. وهذا يترك لنا في التفكير احتمالين أولهما أن التغطية كانت متوازنة وثانيهما أنها كانت مؤيدة لإسرائيل. ومن وجهة نظر الباحث فإن التقارير الاخبارية لم تكن متوازنة بل كانت في الواقع تميل إلى إسرائيل ميلا واضحا.

وعلى الرغم من "أفضلية الأخبار Newsorthiness تحتم أن يعطي السادات تغطية أكثر، أى أكثر من بيجين، إلا أن شبكة ABC قد أعطت بيجن وقتا أكثر، كما أن CBS قد أعطت الاثنين وقتا متساويا تقريبا. هذا بالإضافة إلى أن الاتجاهات العامة التي تم التعبير عنها في التقارير الاخبارية لم تكن مؤيدة للعرب، على العكس من ذلك فقد صورت العرب على أنهم ضد السلام وغير مؤيدين لرسالة السلام التي حملها السادات.

وعلى كل حال فالاجابة على السؤال الرئيسي الموضوع في هذه الدراسة، هل تحول التلفزيون الأمريكي بطريقة واضحة عما تعود عليه الاعلام الأمريكي من التأييد لإسرائيل؟ فالاجابة على السؤال هي "لا".

لقد استمرت البرامج في شبكات التلفزيون الأمريكية على تأييدها لإسرائيل في تقاريرها الاخبارية، وإن لم تكن هذه التقارير مؤيدة لإسرائيل أو ضد العرب بنفس الدرجة التي كانت عليها فيما مضى، أى أنه ليس هناك دليل على اتجاه مؤيد للعرب في الاعلام الأمريكي كما ذهب إلى ذلك غريب (Chareeb, 1976) وكذلك يلكوي 1978 وغيرهم، ومع ذلك فيمكن أن يظهر هناك نوع من صد الفجوة بين تغطية الاسرائيليين كأبطال والعرب كأوغاد

Villians وإن كان ذلك حقيقي بالنسبة لمصر وحدها نظرا للجهود غير العادية التي قام بها السادات في هذا الاتجاه. أما القادة العرب الآخرون وبلادهم فقد استمرت صورتهم سيئة لدى الصحافة، وذلك كنتيجة لسياساتهم واتجاهاتهم نحو المراسلين الغربيين فضلا عن تحيزات الصحافة الأمريكية نفسها في الأصل.

الجدول الأول:

تكوين الاتجاهات العامة الرئيسية والفرعية:

- A يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على مبادرته الشخصية.
- B يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على كل من مبادرته ومبادرة بيجن.
- C يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على مبادرة بيجن.
- D إذا تحقق السلام فإن السادات وحده سيكون المسئول.
- E إذا تحقق السلام فسيكون السادات وبيجن مسئولين عن ذلك.
- F إذا تحقق السلام فسيكون بيجن وحده هو المسئول.
- G يجب أن يقوم السادات بزيارة إسرائيل.
- H يجب ألا يقوم السادات بزيارة إسرائيل.
- I يؤيد العرب زيارة السادات لإسرائيل.
- J يؤيد الاسرائيليون زيارة السادات لإسرائيل.
- K يؤيد الأمريكيون زيارة السادات لإسرائيل.
- I لا يؤيد العرب زيارة السادات لإسرائيل.
- M لا يؤيد الاسرائيليون زيارة السادات لإسرائيل.
- N لا يؤيد الأمريكيون زيارة السادات لإسرائيل.

* كل واحد من هذه يمكن أن يكون اتجاهاً عاماً رئيسياً أو فرعياً بناء على مضمون النشرة الاخبارية.

وخلاصة هذا كله أن أهم النتائج بالنسبة لهذه الدراسة هو تحيز الصحافة الأمريكية (بمعناها الشامل للاذاعة المسموعة والمرئية) لإسرائيل

ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة ولقد تأكد هذا المفهوم بعد ذلك بحوالى ثلاثين عاماً في كتاب المؤلف (أحمد بدر، الصحافة الكونية) حيث مازالت وسائل الإعلام الأمريكية متحيزة بشدة لإسرائيل ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة.

الجدول الثاني
عينة استمارة التكويد

الموضوع	القطاع	الشبكة	التاريخ
الزمن	المتحدث		
اتجاه عام فرعي	اتجاه عام رئيسي		
المكان	المضمون		
لقطه الكاميرا	زاوية الكاميرا		

بيجن	الشروط	السلطات
------	--------	---------

الجدول الثالث
تحليل التقارير الاخبارية
لزيارة المصادات لإسرائيل على شبكتي CBS, ABS

<u>ABC & CBS</u>			<u>CBS</u>			<u>BAC</u>			
النسبة	الزمن	الموضع	النسبة	الزمن	الموضع	النسبة	الزمن	الموضع	
26.8	12.34	1	37.7	8.67	1	15.9	3.67	1	الاثنين
25.7	11.83	2	21.0	4.83	2	30.4	7.00	2	الثلاثاء
26.0	12.00	1	25.3	5.83	1	26.8	6.17	1	الأربعاء
50.7	23.34	1	61.6	14.17	1	39.8	9.17	1	الخميس
57.9	26.67	1	25.0	12.00	1	63.8	14.67	1	الجمعة
37.4	86.18		39.6	54.50		35.3	40.68		المجموع

الجدول الرابع
تحليل التقارير الاخبارية
لزيارة السادات لاسرائيل على شبكتي CBS, ABS وذلك حسب المتحدث

<u>ABC & CBS</u>			<u>CBS</u>			<u>BAC</u>			المتحدث	
النسبة	المتوسط	الزمن	النسبة	المتوسط	الزمن	النسبة	المتوسط	الزمن		
74.25	1.40	62.88	73.17	1.61	32.21	75.44	1.18	30.67	مراسل معتمد	1
6.29	1.33	5.33	8.70	1.91	3.83	3.69	0.75	1.50	السادات	2
9.07	0.96	7.68	7.97	0.87	3.51	10.25	1.04	4.17	بيجن	3
0.40	0.34	0.34	-	-	-	0.84	0.34	0.34	ممثلون مصري	4
2.36	1.00	2.00	-	-	-	4.92	1.00	2.00	ممثلون اسرائيلي	5
3.35	0.40	2.84	4.59	0.40	2.02	2.04	0.41	0.83	ممثلون أمريكي	6
3.08	0.43	2.61	4.79	0.36	2.11	1.23	0.50	0.50	مواطن عربي	7
0.20	0.17	0.17	-	-	-	0.42	0.17	0.17	مواطن اسرائيلي	8
0.99	0.42	0.84	0.77	0.34	0.34	1.23	0.50	0.50	مواطن أمريكي	9
100.00		84.69	100.00		44.2	100.00		40.68	المجموع	

الجدول الخامس

تحليل للتقارير الاخبارية

لزيارة السادات لاسرائيل على شبكتي ABC & CBS حسب الاتجاهات الرئيسية

الشبكتين مجتمعتان			CBS			ABC			الاتجاه
النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	
-8.71	-12.5	-7.51-	-8.07	-1.22	-3.67-	-9.43	-1.28	-7.84-	A
-10.07	-0.98	-8.68	-8.24	-1.42	-2.84-	-14.36	-0.83	-5.84-	B
---	---	---	---	---	---	---	---	---	C
---	---	---	---	---	---	---	---	---	D
-8.42	-0.93	-4.34-	-0.75	-0.34	-0.34-	-9.83	-1.00	-4.00-	E
---	---	---	---	---	---	---	---	---	F
-3.30	-0.71	2.84-	-5.88	-0.89	2.88-	0.42	-0.17	1.17-	G
-1.18	-0.50	-1.00-	-2.20	-0.60	-1.00-	---	---	---	H
-0.39	-1.17	-1.17-	---	---	---	-0.42	-0.17	-0.17-	I
-11.23	-1.08	-9.68-	-13.93	-1.59	8.34-	-8.21	-0.67	-3.34-	J
-8.98	-0.75	-6.02-	-11.03	-0.84	-6.02-	-3.69	-0.75	-1.50-	K
-34.49	-1.78	-29.91-	-28.59	-1.54	-13.03-	-41.54	-1.30	-16.90-	L
---	---	---	---	---	---	---	---	---	M
-1.36	-1.17	-1.17-	---	---	---	-2.88	-1.17	-1.17-	N

الجدول السادس

تحليل التقارير الاخبارية

لزيارة للسادات لاسرائيل على شبكتي ABC & CBS حسب الاتجاهات الفرعية

الشبكتين مجتمعتان			CBS			ABC			الاتجاه
النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	النسبة المئوية	المتوسط	الزمن	
17.44	2.15	16.03	8.81	1.00	4.01	25.78	-1.48	-10.63-	A
4.85	1.34	4.01	-	-	-	9.98	-1.34	-4.01-	B
2.13	0.92	1.84	4.04	0.92	1.84-	-	--	--	C
6.21	1.50	4.49	6.22	2.83	2.83-	4.31	0.83	-1.16-	D
11.61	1.25	10.01	11.01	1.25	5.01-	10.80	1.09	-4.34-	E
-	-	-	--	-	--	-	-	--	F
22.24	1.47	19.17	12.46	1.89	6.67-	33.60	1.13	-13.50-	G
8.16	1.17	7.02	7.47	0.34	0.34-	17.04	1.37	-6.80-	H
15.48	1.21	12.34	12.10	1.38	5.51-	14.51	0.97	-5.83-	I
10.46	1.29	9.01	4.40	2.00	2.00-	17.45	1.67	-7.01-	J
20.58	1.10	17.34	25.67	1.30	11.68-	16.24	1.09	-6.51	K
14.39	1.21	13.36	19.92	1.36	9.52-	8.12	0.96	-0.84-	L
-	-	-	-	-	-	-	--	--	M
6.33	1.86	7.18	-	-	-	17.87	1.80	-7.18-	N

الفصل السابع

المسح كمنهج بحث

أولاً: تعريف المسح وأنواعه ومميزاته:

يُعتبر البحث للمسحي طريقة لتجميع البيانات الاجتماعية وتحليلها عبر المقابلات أو الاستبيانات المقننة، من أجل الحصول على معلومات من أعداد كبيرة من المستجيبين عن طريق جماعة ممثلة لهم، وهناك نوعان أساسيان للمسوحات أولهما المسح الوصفي وثانيهما المسح التحليلي، ويهدف المسح الوصفي إلى الحصول على معلومات عن الحوائط السكانية والسن والجنس والحالة الاجتماعية والمهنة والدخل والدين وربط هذه المعلومات بالآراء والمعتقدات والقيم والسلوك الخاص بجماعة معينة، وبؤرة المسوحات الوصفية المعاصرة هي السلوك. أما المسح التحليلي فيهدف إلى التعرف على أسباب السلوك بطريقة معينة، وتستخدم للبيانات الوصفية السابقة لوضع الفروض واستخدام المسوحات التحليلية لاختبار هذه الفروض خصوصاً للتعرف على أسباب أنواع معينة من السلوك، ومحاولة التعرف على العلاقات السببية بين أنواع معينة من السلوك والصفات المختلفة الديموغرافية للناس.

وواضح سهولة المسح الوصفي وصعوبة المسح التحليلي نظراً لتعدد العوامل الداخلة في الظاهرة، وتدخل العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ضمن تحليل الظاهرة والتعرف على السلوك الانساني، مما يجعل التعرف على تأثير عامل معين أمر عسير.

هذا ويعتبر البحث المسحي واحداً من أكثر المجالات أهمية في قياس البحوث الاجتماعية التطبيقية، ويعرف المسح بأنه الوسيلة الفنية للحصول على المعلومات من عدد مناسب من المستفيدين (Brehob,2001) كما يستخدم المسح كوسيلة فنية في البحوث للتفاعلية بين الإنسان والحاسب الآلي Human

Computer Interction- حيث يزودنا بالتغذية المرتدة من وجهة نظر المستفيدين وأفكارهم وأفضلياتهم.. ومع ذلك فليست جميع المسوحات مفيدة، ذلك لأن بعض البيانات المجمعة قد تكون متحيزة، أى أن الاجابات لبعض الأسئلة قد لا تكون موضع ثقة (مثل تلك المتعلقة بالقياسات الزمنية أو عدد مرات الحدوث...).

ويجب أن نشير إلى أن المسح ليس قاصراً على مجرد الوصول إلى الحقائق والحصول عليها Fact-Finding .. ولكن المسح يمكن أن يؤدي إلى صياغة مبادئ هامة في المعرفة.. كما يمكن أن يؤدي إلى حل للمشاكل العلمية.

أما مميزات البحث المسحي فهي:

- أ- المسوحات غير مكلفة.
- ب- نستطيع بالمسوحات الحصول على المعلومات المعاصرة.
- ج- تمكننا المسوحات من الحصول على قدر كبير من المعلومات في وقت واحد، ويمكن تلخيصها بطريقة تكشف بسرعة ما نريد معرفته عن مجتمع البحث.
- د- تزودنا المسوحات ببيانات كمية أو رقمية، يمكن تحليلها احصائياً وبالتالي يمكن أن تصل إلى درجة عالية من الدقة، الأمر الذي لا نستطيع تحقيقه بالمناهج الأخرى.
- هـ- المسوحات أساليب شائعة، وبالتالي فبعض المعلومات التي تسعى للحصول عليها قد تكون قد تم اكتشافها من قبل. ومع ذلك فيجب أن نرى العملة من وجهها الآخر، وهو أن الناس -العاديين أو المتخصصين- قد كونوا شعوراً من المقاومة والرفض للاجابة على أسئلة المسح، أى أنهم غير متعاونين عادة مع الباحث.

وأخيراً فيمكن أن نؤكد على أن تجميع المعلومات باستخدام أسلوب الاستبيان أو المقابلة مثلاً.. هو عملية أقل صعوبة من تفسير وتلخيص معنى ومدلول هذه المعلومات. وتشير هذه الحقيقة إلى الضعف الأساسي لطريقة المسح كمنهج للبحث.. فعلى الرغم من أن المسح - عندما يتم القيام به على السوجه الصحيح - يمدنا بمصادر كافية لتعلم التفاصيل والتعرف عليها - وذلك بالنسبة للمواقف أو المشاكل الجذرية أو الحالية - فإن على الباحث مهمة استخلاص التعميمات والمبادئ بناء على هذه الحقائق والمعلومات المجمعة. ذلك لأن الحقائق بذاتها، لا تحل المشاكل.. ولكن ما يساعد على حل هذه المشاكل هو النتائج التي يستخلصها الباحثون من هذه الحقائق بناء على تفكيرهم السليم والعميق.

ثانياً: المسح كمنهج لجعل الإعلام والسياسة علومًا:

لقد جاء الاعتماد على المسح في العلوم السياسية والإعلامية كمنهج أساسي من مناهج البحث العلمي، متفقاً مع الاتجاه السلوكي Behavioral Emphasis والرغبة المتزايدة في جعل دراسة الإعلام والسياسة أقرب إلى العلم منها إلى الفلسفة.

لقد جمع علم السياسة بالوسائل التقليدية الوثائقية وبالبداية وغيرها.. كميات هائلة من المعلومات عن المؤسسات والممارسات السياسية وكان لها أهميتها القانونية والفلسفية لرجال الدولة.

ومسح تأثر الدارسين بالفلاسفة السياسيين الكبار مثل أرسطو وأفلاطون وهوبز ولوك وميكيافيلي وروسو وغيرهم - فقد أنتجوا مقالات كثيرة عن موضوعات فلسفية وتأملية مثل طبيعة الالتزام السياسي، التوازن الأمثل بين النظام والحرية السياسية، المتطلبات الأخلاقية للديمقراطية، وعلاقة الدولة بالطبيعة الإنسانية.

هذا ويهدف العلم إلى صنع تركيب متماسك للمعرفة حيث يرتبط فيه كل موضوع ببقية الموضوعات الأخرى بطريقة منتظمة ثابتة.. وحيث يستطيع الباحث من حيث للمبدأ- أن يوضح وأن يشرح جميع الحقائق الواردة.

فالعالم يقترب من الظواهر ليس باعتبارها أحداثاً حدثت بالفطرة، ولكن باعتبارها حالات يستطيع الباحث من حيث للمبدأ- أن يقيم وأن يرسم أوجه اختلافاتها أو انتظاماتها.. وحتى يتحقق من ذلك، فعليه أن يتبع طرقاً صارمة للتحقق من "الحقائق" واختبار صحة شرحها وتفسيرها.. فالعلم إنن يجب أن يطور الأساليب اللازمة لاكتشاف وتصحيح الأخطاء التي تحدث في عملية القياس وأن يكون مستعداً لأن ينحى جانباً تلك النظريات والتفسيرات التي لا تتفق مع الدليل مهما كانت هذه النظرات عزيزة أو محببة.

والباحث يستطيع أن يتقدم خطوة بعد خطوة من المعلوم إلى غير المعلوم، على أن يربط وأن يصل كل نتيجة يصل إليها بجسد المعارف الموجودة.. ويحرز التقدم العلمي بهذه الطريقة- نجاحات سريعة لأن المعارف الجديدة تنمو - بطريقة متضاعفة exponential كلما اتسعت دائرة المعارف الموجودة بصفة مستمرة. وهذه القدرة التضاعفية للمعلومات تعتبر أحد المظاهر الملحوظة في العلوم الطبيعية، وهي تقع في موطن القلب من الانفجار المعرفي الصناعي العلمي الحديث.. كما أن التخلف النسبي للعلوم الإنسانية والاجتماعية يرجع -جزئياً- إلى بطء هذه العلوم في تبني الطرق المنهجية التراكمية للبحث العلمي.

هذا وتهدف الدراسة العلمية للسياسة والإعلام -كما يراها السلوكيون- إلى كشف وملاحظة وشرح بعض الاختلافات والانتظامات regularities في الظواهر السياسية. وحتى يصل الباحث إلى ذلك فيجب أن يتخذ أسباب الموضوعية والدقة على قدر المستطاع.. وأن يضع الفروض بوضوح وأن يستخدم بياناته بطريقة تختبر هذه الفروض مع استخدام الاصطلاحات واللغة الدقيقة المحددة للأفكار والمفاهيم.

والباحثون الذين يعتمدون في عملهم على الدراسات التي تمت بالطرق العلمية يعرفون منها للصادق والموثوق فيه، وبالتالي فسوف لا تقودهم المعلومات الكاذبة في متاهات ودروب خادعة، وإلى استنتاجات غير مؤكدة قام بها أسلافهم. وعلى ذلك فإن العلماء السلوكيين يؤدون ويركزون على الطرق والمناهج المستخدمة للتحقق من الفروض ومن الايضاحات التي يضعها الباحث.. وبمقاييس ومعايير العلماء السلوكيين لم يعد كافياً للباحث أن يضع نظرية أو شرحاً تغلب عليه الاستمالة Persuasion أو الكياسة أو الجمال أو التائق ذلك لأن هذه النظرية أو ذلك الشرح يجب أن يكون صحيحاً Valid بناء على الدليل Evidence وبناء على اجتيازه للاختبارات الإحصائية النافذة.

ومعنى ذلك كله أن العالم السلوكي Behavioral Scientist يتخذ كل ما يستطيع من أسباب لإقامة الحواجز بينه وبين تحيزاته الشخصية واعتقاداته الذاتية.. ولا يدافع عن رسالته -كما يفعل الباحثون بالبداهة- بالمقالات الاستمالية.

والعالم السلوكي كذلك يقوم ببحثه بطريقة مقصودة واعية تكشف تركيب وتصميم البحث ولا تخفيه.. وتكشف طبيعة الإجراءات المتبعة ودرجة القوة والانتظام في النتائج التي يصل إليها.. فهدفه النهائي هو الوصول إلى نظرية نسقية Systematic Theory كافية لشرح الظواهر السياسية والإعلامية وعلى أكبر مدى ممكن من الاتساع والتنوع.

وعلى الرغم مما نتوقعه من نتائج طيبة، بناء على انتهاج المسلك السلوكي الذي يعتمد على الأساليب العلمية في البحث، إلا أننا لا ينبغي أن نغفل في كتاب عن "أصول البحث ومناهجه في علوم الإعلام ما يراه الفريق الآخر من الفلاسفة والعلماء السياسيين ووجهة نظرهم بالنسبة للدراسات السلوكية السياسية.. فعلى سبيل المثال يقول هانز ج مورجانتاو في مقدمة كتابه " المياسة بين الأمم " الطبعة الرابعة ما يلي:

ولقد تعلمت من الخبرة التاريخية والشخصية أن الجدل الأكاديمي Academic Polemics لا يعمل عادة على تقدم الحقيقة ولكنه يترك الأشياء كما وجدها. إن الشيء الحاسم بالنسبة لنجاح أو فشل أي نظرية، يعتمد على مقدار إسهامها في معارفنا وفهمنا للظواهر الجديرة بفهمنا ومعرفة. يجب أن نحكم على النظرية بنتائجها وليس بناء على إدعاءاتها في فلسفة المعرفة والمنطق واختراعاتها المنهجية.

وعلى الرغم من هذا النزاع الأكاديمي، فلا يجد المؤلف تناقضاً أساسياً بين الاتجاهين الذين يسعىان لفهم الحقائق مستعينين بمناهج البحث المختلفة.. وإذا كان التقدم العلمي يعتمد على المنهج، يدور معه وجوداً وعدماً، صدقاً وزيفاً.. فقد أكدنا في أكثر من موضع على أنه من المفضل اتباع أكثر من منهج واحد في البحث للوصول إلى الحقيقة.. وعلى الاستعانة بأدوات البحث الدقيقة المتقدمة، فضلاً عن أن التفكير العلمي ذاته يتضمن كلاً من التدليل الاستقرائي والاستنباطي.

ونخلص من ذلك إلى أن المسح يعتبر جزءاً من البحث الوصفي وهو عملية نتعرف بواسطتها على المعلومات الدقيقة المتعلقة بموضوع البحث وذلك بالنسبة للمواقف الحالية أو الجارية، لا القديمة.. ولقد أثبتت طريقة البحث المسحي فعاليتها وأهميتها بالنسبة لكثير من الدراسات الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والتجارية والإعلامية وغيرها.

ويتضمن المسح المثالي استخدام العينة المختارة اختياراً سليماً لتمثيل المجتمع الكلي موضع الدراسة.. وذلك بغرض الملاحظة المباشرة والدقيقة لمختلف الظواهر المطلوبة في البحث. ويجب أ، تكون العينة - إلى جانب تمثيلها للمجتمع موضع الدراسة تمثيلاً صحيحاً - أن تكون كبيرة الحجم نسبياً، وذلك حتى تؤدي إلى نتائج موثوق فيها.

إن الأساليب الرئيسية المستخدمة في المسح لتجميع البيانات هما أسلوباً الاستبيان والمقابلة.. وكل واحد من هذه الوسائل يجب تخطيطها تخطيطاً

محكمًا سليمًا، وذلك لأن هناك مزالق كثيرة في استخدامها.. فإلى جانب الأخطاء التي تنتج من المعاينة غير الصحيحة، فهناك بنور أخطاء ممكنة في تصميم الاستبيان نفسه.. وهناك تحيز الباحث، وتحيز الممول لمشروع البحث واستخدام لغة تحتمل التأويل وعدم الشرح الكامل لغرض ونطاق البحث والدراسة.. وغير ذلك من الأخطاء في الموضوعية وفي الاتصال.. مما يؤدي إلى تشويه النتائج.

وعلى العموم.. فيمكننا أن نقول بأن جمع البيانات والحصول عليها بطريقة المسح أسهل كثيراً من الوصول إلى النتائج الصحيحة والسليمة المبنية على هذه الحقائق المجمعة.. كما أن للمسح لا ينبغي أن يكون مجرد وسيلة لجمع الحقائق والحصول عليها.. ذلك لأن المسح يمكن أن يكون وسيلة اختبار وإرساء قواعد ومبادئ لمقارنة الماضي بالحاضر، وللتعرف على الاتجاهات المختلفة، وبالتالي تقديم أساس سليم للعمل الاجتماعي والسياسي والتجاري.

ثالثاً: أخطاء يمكن مواجهتها في الاستبيان:

- ألا يشمل الاستبيان أسئلة قد يعتبرها المفحوص تافهة لا أهمية لها، أو هامشية.. وبالتالي فهي لا تبرر أن ينفق في إجابتها الوقت والجهد المبذول.
- ألا يشمل الاستبيان أسئلة غير مفهومة أو مبهمّة وتحتّم إجابات متعارضة (كأن يسأل مثلاً : هل تؤيد أو تعارض المواطنة العالمية.. فهذه تمثل مفهوماً مختلفاً لدى الشعوب المختلفة بل ولدى الشعب الواحد في ظروف مختلفة).
- قد تستدعي الإجابة على السؤال "بنعم" أو "لا" لإجابات متعددة يختار منها المفحوص. ولكن دون شرح مناسب للمطلوب، وبالتالي فهناك احتمال بأن تكون الإجابات غير صحيحة.. أي أن وجود التعليمات الواضحة يساعد على صحة الإجابات.

- استخدام الاستبيانات الطويلة التي يمل من ملئها المفحوص خصوصاً إذا كانت لديه أعمال ومشغوليات عديدة، وبالتالي فينبغي أن يكون الاستبيان مختصراً على قدر الامكان ومخططاً في يسر حتى لا يأخذ من وقت المستجيب إلا القليل.
- تحيز القائم بالاستبيان أو رغبته في الحصول على اجابات ذات طبيعة خاصة وذلك رغبة منه في إثبات صحة فرضه (وذلك باستخدامه الأسئلة الإيحائية).. وهذا موقف غير صحي من غير شك بالنسبة للبحث الموضوعي العلمي..
- تحيزات الممولين أو المشرفين على البحث، ستؤثر من غير شك على نتائجه، ذلك لأن هذه النتائج ستكون غالباً طبقاً لتحيزات الجماعات الممولة الملتزمة بوجهة نظر معينة، شأنها في ذلك شأن الشركات التي تهتم بتسويق سلعة معينة.
- إن عدم تصميم الاستبيان تصميماً دقيقاً يمكن أن يؤدي إلى عدم دقة الاجابات. فعدم انتظام وترتيب البنود وعدم وجود التعليمات المفصلة وعدم شرح غرض ونطاق الدراسة.. هذه النواقص كلها -وغيرها كثير- من شأنها أن تربك المستجيب وتجعل اجابته لا معنى لها ولا قيمة.
- تؤدي العينة غير الممثلة إلى إفسال قيمة أى دراسة مسحية.. وبالنسبة للاستبيان فإن المشكلة ستكون أكثر حدة، نظراً لاحتمال عدم قيام كثير من الذين يملئون الاستبيان بإعلانه مع إجاباتهم.. ومعنى ذلك أنه حتى إذا كانت العينة ممثلة بدقة للمجتمع المفحوص، فإن هذه العينة نفسها غير ممثلة، إذا قام جزء محدود فقط من المستجيبين برد الاستبيانات مع اجاباتهم عليها. ومن هنا ظهرت أهمية متابعة الاستبيان وحث المفحوص على الاستجابة بكافة الطرق الممكنة (خطاب استعجال/الاتصال الشخصي).

رابعاً: الخطوات اللازمة لتصميم البحث والقيام به:

1. وضع الأهداف (ماذا نريد أن نحصل عليه Capture).
2. حدود مجتمع البحث وحجم العينة (من الذين سنقوم بسؤالهم).
3. حدود الأسئلة المطلوبة (ماذا سنقوم بسؤاله؟).
4. قم بالاختبار القبلي للمسح (اختبر الأسئلة).
5. قم بعمل المسح (قم بسؤال الأسئلة).
6. قم بتحليل البيانات المجمعة (قم بإنتاج التقرير).

وواضح من الخطوات السابقة أن تصميم المسح يعتمد أساساً على الأهداف النهائية Goals وهذه ستحدد مجتمع البحث والأسئلة. وإذا لم تكن الأهداف واضحة فالنتيجة مشكوك فيها.

أما المعاينة فتعني عملية أو أسلوب الاختيار حيث يتم اختيار جزء من مجتمع السبحث يكون ممثلاً لهذا المجتمع وذلك بغرض تحديد صفات ومميزات مجتمع البحث كله.

أما بالنسبة للأسئلة فالباحثون يستخدمون عادة ثلاثة أنواع من الأسئلة وهي: الاختيارات المتعددة / والأسئلة الرقمية مفتوحة النهايات / والأسئلة التي تتضمن اجابة نصية مفتوحة أى أن المستجيب سيقوم بتقديم تعليقه.

أما بالنسبة للإجابات فهناك نوعان أساسيان من أشكال الاستجابات وهما الاستجابة التركيبية Structured والاستجابة غير التركيبية Unstructured، والاستجابة الأولى سهلة الاجابة ولكنها قد لا تلتقط كل شئ في ذهن المستجيب (على سبيل المثال الأسئلة متعددة الاختيارات).

أما في الاستجابات غير التركيبية فيكتب المستجيبون النص كاستجابة (على سبيل المثال النصوص التي يكتبها المستجيب كتعليق على الأسئلة المفتوحة).

وبالاحظ في الأسئلة أن تكون واضحة لا تحتمل فهما مختلفاً عما يقصده الباحث، كما أن ترتيب الأسئلة له أهمية فالأسئلة السهلة يجب وضعها قبل الصعبة، وذلك حتى لا يتسبب ذلك في عزوف المستجيب عن الاستمرار في استكمال ردوده على الأسئلة.

كما ينبغي أن يعد الباحث أسئلته واختيارات الاجابة بناء على طريقة احصائية في ذهنه، ذلك لأن هذه الاجابات ستستخدم في تحليل البيانات المجمعة في النهاية.. ومع ذلك فليست جميع الطرق الإحصائية صالحة لكل الأغراض، وعلى سبيل المثال فليست هناك طريقة إحصائية تستطيع تحليل النص المتصل بالأسئلة مفتوحة الاجابات.

هذا وينبغي أن يقوم الباحثون باختبار الأسئلة وتحليلها على عينة صغيرة من المستفيدين حتى يمكن تحديد بعض مشكلات الدراسة التي قد تحول بين الباحث واستكمال دراسته.

وأخيراً فيجب أن يكون الباحثون على دراية بالقضايا الأخلاقية في إعداد وتحليل البيانات المجمعة من المسوحات.

وفيما يلي يمكن التركيز على شكلين من أشكال المسح وهما الاستبيانات والمقابلات ويتضمن ذلك بعض التعاريف والمزايا والعيوب مع بعض الأمثلة والتوصيات.

خامساً: أدوات المسح: الاستبيانات:

يعرف قاموس بريهوب الاستبيان بأنه استمارة يملأها الناس للحصول على معلومات ديموجرافية عن آراء واهتمامات الذين يتم استجوابهم وهناك نوعان رئيسيان من الاستبيان أولهما الاستبيان الذي يرسل بالبريد وثانيهما الاستبيان على الخط المباشر والنوع الأخير يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فرعية وهي:

أ- الاستبيان بالبريد الإلكتروني.

- ب- الاستبيان المباشر باستخدام الحاسب الآلي.
ج- الاستبيان المعتمد على الوب في الانترنت.

الاستبيان المعتمد على الوب Web،

يمكن في البداية الإشارة للاستبيانات المرسله بالبريد العادي، فأحدى المميزات الهامة لهذا النوع من الاستبيان هو أنه غير مكلف كما يمكن أن يشمل الاستبيان الصور Pictures وهذا الاستبيان له ميزة أخرى وهي إتاحة الوقت الكافي للمستجوبين لملاء استمارة الاستبيان، الأمر الذي لا يتيح المقابلة الشخصية أو الاتصال التليفوني.

كما أن هناك بعض المساوي المتصلة بالاستبيان البريدي أولهما أن الباحث سينتظر عدة أسابيع أو أكثر لتجميع الاستجابات وثانيهما أن معدل الاستجابة يكون عادة في حدود 5%، وأخيرا فهذه الاستبيانات البريدية يمكن أن تؤدي إلى عينة متحيزة نظرا لعدم معرفة خلفية المستجيب (ويمكن لتقليل هذا التحيز بوضع بعض الأسئلة الضابطة في الاستبيان).

أما الاستبيانات المعتمدة على الوب Web فتتخذ مميزات السريعة مع زيادة استخدام الانترنت والوب. وذلك للمزايا التالية:

- أ- هذه الاستبيانات سريعة جداً.
- ب- من الممكن الحصول على عدد كبير من الاستجابات (قد يصل إلى الآلاف).
- ج- ترتيب الأسئلة (وحتى عددها ونوعها) يمكن أن يتغير تبعا لاجابات المستجيبين.
- د- يمكن أن يستخدم الاستبيان للوسائط المتعددة (كالصوت والفيديو...الخ)، فضلا عن اختيارات الألوان والصورات المختلفة.

وعلى الرغم من شعبية الانترنت الحالية فهي لم تصل إلى مستوى العالمية في هذا المجال، كما قد تؤدي هذه الاستبيانات إلى عينة متحيزة نظرا لعدم وجود تحكم بالنسبة للمستجوبين وقد يجيب نفس الشخص على نفس الاستبيان عدة مرات.

سادسا: بعض مجالات إسهام المعص في العلوم السياسية والاعلامية:

لقد تضاعفت أشكال وأعداد المسوحات السياسية والاعلامية بسرعة كبيرة خلال الأعوام العشرين الماضية، وبالتالي فقد أصبح من غير الممكن حصر هذه المسوحات وبيان جميع أشكائها واستخداماتها. وإذا كانت للمسوحات الأولى تهتم بالرأي العام والانتخابات، وتعتمد في ذلك على الجوانب الديموجرافية والسجلات الرسمية، فإن المسوحات المعاصرة لم تعد تقتصر على هذين المجالين، بل تعدتها لتشمل دراسات الأحزاب والأيدولوجية والمعتقدات والانتماءات والاستقرار والثبات والتغيير والتشقة والعمليات التشريعية والتمثيل والسياسة المقارنة وعلاقة الآراء بتكوين السياسة الخارجية وتركيب القوى في المجتمع.. الخ.. ، وفما يلي بعض نماذج من المسوحات التي توضح استخداماتها المتنوعة.

1/6 الرأي العام:

على الرغم من أن المسوحات تعتبر ذات أهمية واضحة في التعرف على آراء الجماهير واتجاهاتها، إلا أن هذه المسوحات ليست هي السبيل الوحيد للوصول لهذا الغرض، ذلك لأن هذه الآراء يمكن الوصول إليها عن طريق المواد الصحفية وتحليل المطبوعات والصحف التي تتضمن ردود فعل الناس بالنسبة للسياسات والقرارات الحكومية، أو عن طريق التعرف على السياسات نفسها التي تتبعها المؤسسات العامة.. أو غير ذلك من الوسائل.. وجميع هذه الطرق تزودنا بصورة متكاملة لمختلف آراء الناخبين ومداها وشذاتها.

ومن المعروف أن دراسات للرأى العام، تقوم بها الهيئات التجارية أو الحكومية، كما يقوم بها الباحثون والعلماء.. وإذا كانت القياسات التي تقوم بها الهيئات المختلفة لا تهتم بالتعمق واختبار الفروض، فإن المعلومات التي تجمعها تعتبر ذات أهمية بالغة للعلماء والباحثين.. ذلك لأن علماء السياسة والاعلام يفيدون من نتائج استفتاءات الرأى العام بالنسبة للقضايا المختلفة، للتعرف على التحولات في الرأى العام، بالنسبة للقضايا المختلفة في فترات معينة وبالنسبة لمستوى المعلومات العامة عن هذه القضايا، فضلاً عن محاولة ربط للرأى العام بأشكال معينة من السلوك السياسي الظاهر كالانتخابات وأنشطة الهيئات الحكومية وقراراتها.

وإذا كانت هذه الهيئات تجمع في استفتاءاتها بيانات ومعلومات كثيرة لا تنشر منها إلا القليل، فإن العلماء والباحثين يفيدون منها في تحليلهم العلمي، ويتعرفون بمتابعتها على التحولات التي تحدث في قطاعات الرأى العام المختلفة، ثم هم يقومون بتفسير هذه التحولات وربطها بالأزمات السياسية أو الاقتصادية الدولية منها أو الداخلية.

ولقد أثبتت هذه الاستفتاءات أهميتها في الدراسات السياسية أو الاعلامية المقارنة، وذلك بمقارنة استجابة الجماهير في أقطار مختلفة لنفس الأسئلة أو الأسئلة الموازية.

ولقد تعلمنا من المسوحات مثلاً أن الآراء الشعبية الخاصة بالقضايا السياسية لا تثبت على حال واحدة، بل هي غالباً ما تتميز بعدم الثبات والاستمرار، وأن عدم الثبات هذا يعكس عادة آراء أولئك الذين ليس لديهم معلومات كافية عن هذه القضايا، كما تعلمنا من المسوحات أن نسبة قليلة فقط من الناخبين، يمكن أن توصف بأنها "متعمقة في الفلسفات الأيديولوجية أو مؤمنة عقائدياً" وأن عدد الذين يؤمنون بالآراء الفلسفية والسياسية الثابتة والمستمرة هو عدد قليل، ولعل هذه النتائج تكشف لنا بصورة كمية - أننا كنا في الماضي نتصور أن للأفكار والأيديولوجيات السياسية نوراً بارزاً في المجتمعات الديمقراطية الحديثة.

كما تكشف لنا هذه النتائج كذلك أن "الاتفاق العام" Consensus ليس شرطاً مسبقاً في ممارسة الديمقراطية. فالناخبون قد يكونون مختلفين بالنسبة لبعض القيم السياسية الهامة، ومع ذلك يظل المجتمع التعددي مجتمعاً صحيحاً متكافلاً متكاتفاً.

هذا وتشير أدلة المسح إلى أن هناك بعض الآراء التي تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار أكثر من غيرها، نظراً لأن تلك الآراء قد صدرت عن أصحابها بعد إعمال للفكر وطول النظر.

وإذا كانت بعض الآراء تصدر بطريقة عفوية وبدون تفكير فإن هناك آراء أخرى تصدر عن أناس يدينون بعمق بفلسفات سياسية أو اجتماعية معينة وهكذا.

وعلى الرغم من أننا نردد في كتاباتنا وخطبنا - منذ قرون أن صوت الشعوب من صوت الله، إلا أنه من الواضح بناء على المعلومات المستقاة من مئات المسوحات، أن الناس يتحدثون بأكثر من صوت واحد، وأن بعض هذه الآراء والأصوات متناقضة ومكررة بل ومضلة.

كما لوضحت مسوحات للرأي العام أن أعضاء الفئة الواحدة قد يختلفون بشدة في آرائهم السياسية والاجتماعية وأن التقسيمات القنوية هي تصنيفات غير سليمة لخريطة المجتمع بالنسبة للمعتقدات السياسية والاجتماعية.

فعلى سبيل المثال أن تكون من بين جماعة المسلمين أو المسيحيين أو الأطباء، قد يكون له تأثير على القضايا المتعلقة بالدين أو الطب على التوالي، ولكنه سيكون ذا تأثير ضعيف بالنسبة لقضايا أخرى كتدخل الحكومة في الاقتصاد أو تخطيط المدن الجديدة أو السياسة الخارجية.. الخ، فالإنسان المعاصر الذي يعيش في المجتمعات الديمقراطية التعددية لا يقصر صحبته على فريق أو جماعة معينة ولكنه يمارس نشاطاته مع جماعات متعددة، وهو عضو في جماعات مختلفة في ذات الوقت.

هذا وقد ساعدت المسوحات في فهم العلاقة المعقدة بين الرأي الشعبي والقرارات الحكومية، أى أننا نستطيع أن نقيم بطريقة أفضل وأدق مقدار استجابة ممثلي الشعب ونوابه لآراء الناخبين، ومن أمثلة الأمثلة والقضايا المتصلة بهذه العلاقة مايلي:

هل يعبر النواب عن بعض ناخبهم دون البعض الآخر، وهل يستمعون إلى صوت الشعب، أى صوت ناخبهم بالنسبة لبعض القضايا دون البعض الآخر؟ وهل يتأثرون في قراراتهم بآراء الحزب أم بتفكيرهم الخاص نحو كل قضية، أم أنهم يعكسون فقط ما يحسونه من مشاعر ناخبهم.

وعلى الرغم من أن للمسوحات قد أصبحت ضرورية في الدراسة الجادة للرأى العام، إلا أن للمسح عيوبه عند التطبيق.

فهناك مشكلة تفسير الاجابات التي يعطيها المستجيبون لأسئلة المسح، وهناك من يجيبون بدون تفكير ويعبرون بذلك عن آراء متناقضة، وهناك من يجيبون بطريقة لا تعكس اتجاهاتهم الحقيقية.

وعلى سبيل المثال فقد أجاب ثلثا المستجيبين في إحدى المسوحات العامة أنهم يعتقدون أن الناس كانوا أسعد حالاً وأكثر سعادة واطمئناناً منذ ثلاثين عاماً ولكنهم عندما سئلوا: هل يفضلون العيش في الفترة الماضية تلك أو في الوقت الحاضر، أجابوا بأنهم يفضلون الحاضر.

أى أن القائم بالمسح الذي يكتفي برود الناس في السؤال الأول يعطي صورة غير حقيقية عن مشاعر الناس نحو المجتمع الحاضر.

وعلى كل حال فيمكن معالجة المشاكل السابقة والقليل من عيوب المسح باستخدام الأسئلة الضابطة، مع تكامل الاستبيان مع المقابلة الماهرة، وقياس الاتجاهات وغيرها من أدوات تجميع البيانات وتحقيقها.

2/6 السلوك الانتخابي:

لعل هذا المجال هو أكثر مجالات الدراسات السياسية والإعلامية إفادة من منهج المسح. وإذا كانت معرفتنا بظاهرة السلوك الانتخابي في الماضي يشوبها الكثير من المعتقدات وتسودها الذاتية لا الموضوعية في التحليل، فمنهج المسح يقدم لنا في الوقت الحاضر بيانات "صلبة" تأكدت بدراسات الانتخابات في بلاد عديدة، وأصبح من الممكن وضع النماذج التوضيحية لهذه العملية.

إن الدراسات للمسحية للانتخابات تزودنا بالعديد من التفاصيل التي تساعدنا على التقييم الواقعي للقوى التي أسهمت في النتائج الانتخابية.. فهذه الدراسات مثلاً توضح لنا الانتماء الحزبي - وهو أقوى العوامل المؤثرة في القرار الانتخابي - يتشكل ويتدعم بالاتجاه الأسري، وأن حوالي ثلاثة أرباع الناخبين البالغين يؤيدون الأفضليات الحزبية لأبائهم. هذا ويتدعم الانتماء الحزبي بعد ذلك بجماعات الانتماء وجماعات المصالح والزملاء.. وهناك عوامل تؤثر على السلوك الانتخابي وتضعف الانتماء الحزبي الأسري المذكور، ومن بينها التحولات الاجتماعية والاقتصادية وبناء المجتمعات الجديدة.. وغير ذلك من العوامل التي تؤدي بالناخب إلى تحويل تأييده الحزبي وتغييره بالكامل أحياناً. لقد أثبتت المسوحات في بلاد عديدة، أن الانتماء الحزبي ليس هو أقوى المؤثرات على رأى الناخب فحسب، ولكنه يمكن أن يكون أكثر القوى أهمية أيضاً في تغذية وتدعيم معتقداته السياسية.

وتتطبق هذه الملاحظة بصفة خاصة على الأعضاء النشطين والمؤيدين للأحزاب.. وهؤلاء هم المتحمسون أيديولوجياً لحزب بعينه.. أما غير المتحمسين أيديولوجياً فهم يميلون للامتناع عن الادلاء بأصواتهم، وهم قد يتحولون من حزب إلى آخر، على عكس المتحمسين أيديولوجياً فهم يظلون مخلصين بقوة وثبات لحزبهم وبالتالي لعاداتهم الانتخابية.. وإذا كان "بعض" غير المتحمسين أيديولوجياً يصفون أنفسهم بأنهم "مستقلون" فإن نتائج المسوحات العديدة، تشير إلى أن الصورة المنطبعة في الأذهان، من أن

الشخص المستقل هو بالضرورة شخص موضوعي للنظرة، يتمتع بالوعي السياسي ووفرة المعلومات، هذه الصورة مبالغ فيها، ذلك لأنه قد ثبت أن الاستقلالية بالنسبة لمعظم المواطنين، تعني العزوف السياسي وعدم المبالاة، بل تعني كذلك انخفاض مستوى المعلومات السياسية.

ولعلنا نلاحظ ذلك في انتخابات مصر عام 1984 فهناك نسبة عالية من الذين لم يدلوا بأصواتهم (بلغت نسبة الذين أدلوا بأصواتهم حوالي 43% من المقسيدين في الجداول) وكثير من هؤلاء الذين لم يدلوا بأصواتهم لا تطلق عليهم الدولة مصطلح "مستقلون" إذ لا يعترف العرف السياسي السائد بهؤلاء في ذلك الوقت ولكن يطلق عليهم العازفون عن الانتخابات (وإن كان المستقلون قد أصبح لهم كيان خاص بهم إلى حد ما في الانتخابات التالية عام 1987) وقد أجريت في مصر دراسات للتعرف على أسباب عزوف هؤلاء أو عدم مبالاتهم بالاشتراك في انتخابات حرة نزيهة؟ خصوصاً وأن معظم هؤلاء العازفين من المتعلمين والشباب بالمدن.. ولكن الكاتب يود أن يسجل هنا أن بعض كتاب مصر المشهود لهم باتزان الرأي ورجاحته ومن تتلقف صحف الدول العربية للمحترمة (وبعض الصحف الأجنبية) مقالاتهم اليومية.. هؤلاء الكتاب قد سجلوا استقلاليتهم وظهر في كتاباتهم نظرتهم الموضوعية التي تتطرق للمشكلة أو القضية كقضية مجردة.. وكثيراً ما أغضبت آراؤهم الأحزاب جميعاً وكثيراً ما كانت آراؤهم أيضاً موضعاً لرضا الأحزاب جميعاً أو معظمهم على الأقل (مثل الكاتبين أحمد بهاء الدين ومصطفى أمين -رحمهما الله- على سبيل المثال لا الحصر..).

وخلاصة هذا كله أن المستقلين ينبغي أن يكون لهم مكان في الخريطة السياسية لأي بلد تأخذ بنظام الأحزاب خصوصاً تلك البلاد التي تقيد عدد الأحزاب أو تضع لظهورها شروطاً معينة.. وقد سمح قانون الانتخابات المصري مؤخراً لدخول المستقلين بالانتخابات وإن كان ذلك يتم على ضوء الانتخابات بالقائمة على ما فيه من عيوب ظاهرة غير موجودة في الانتخابات

المباشرة. كما ينبغي أن نسجل هنا أن المصوحات العديدة في البلاد المختلفة قد أثبتت أن معظم الناخبين لا يميلون إلى التحول عن الحزب الذي تعودوا أن يؤيدوه، إلا إذا كان هناك اختلاف ملحوظ في شعبية وشهرة المرشحين من الأحزاب الأخرى على جميع المستويات من رئيس الدولة ورؤساء الأحزاب والمرشحين عن الدوائر نفسها.. ولعل ذلك إذا حدث أن يغير من أفضليات الناخبين وأن تشهد للعديد من التحولات التي تركز على الشخص لا على الحزب أو العكس.. وهذا يقودنا إلى مناقشة خاصة لانتخابات مصر.

3/6 انتخابات مصر عام 1984 وتكنولوجيا الحاسب الالكتروني،

لم تتجاوز نسبة الذين أدلوا بأصواتهم في هذه الانتخابات عن 43% من المقعدين في الجداول، وذلك حسب بيان وزارة الداخلية المصرية. وقد رد البعض بسبب عزوف المواطنين للمشاركة إلى طريقة الانتخابات بالقوائم النسبية ويسمى الانتخاب المباشر.. (أنكر مصطفى أمين حين اعترض في كتاباته اليومية على هذه الطريقة وقال فيما قال كيف أعطى صوتي لمرشح معين وفي النهاية يذهب صوتي لمرشح آخر؟ وقال أحمد بهاء الدين فيما قال إن هذا القانون الانتخابي اخترعه أنيشتين المصري).. كما رد البعض بسبب عزوف المواطنين إلى أن قوانين الانتخاب لا تعترف بالمستقلين، إذ لا بد أن يحشر المواطنون حشراً في أي حزب من الأحزاب للقائمة فعلاً.. وأن هؤلاء المستقلين هم مواطنون بلا هوية فكرية. كما اتهمت بعض أحزاب المعارضة الانتخابات في بعض الدوائر بالتزوير نظراً لأن ملايين الكشوف التي تحوي أسماء الناخبين قد شملت أشخاصاً لم تثبت هوياتهم أو أن هوياتهم نفسها مزورة (كما حدث حين تبين أن هناك مليون اسم زائد في بطاقات التموين). ويرى البعض في تحليله السياسي لحصول الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم على الأغلبية، كون هذا الحزب هو الحزب الحاكم، والتحليل السياسي الذي أقصده هنا لا يتضمن أي نوع من التزوير من قبل أعضاء الحزب الذين يتولون السلطة بالفعل، ولكن لأن الرأي العام بطبيعته -خصوصاً في الدول التي

عاشت تاريخاً طويلاً من الحكم الشمولي التسلطي - يميل إلى تقبل حزب الحكومة بحكم العادة كما أن للرأي العام هنا أيضاً يعكس تأثيره بالعملية النفسية التي يسميها خبراء الرأي العام تأثير عربة الحزب للفائز Band Wagon Effect.، وقد رد البعض نجاح الحزب في التحليل السياسي أيضاً، لوجود الرئيس حسني مبارك على رأس الحزب، خصوصاً مع اتفاق الجميع (بما فيهم أحزاب المعارضة) على نزاهته، ورغبته المخلصة الأكيدة في تثبيت دعائم الديمقراطية ودفع مسيرتها إلى الأمام.. إن موقفه هذا نفسه، مع ما يدعم هذا الموقف من صفاته الشخصية ورصيده السياسي وممارساته الفعلية السابقة في إدارته لدفة الحكم بالشكل الديمقراطي (إخراج السياسيين من السجون التي أودعهم فيها السادات فضلاً عن مشاوره المستمر مع رؤساء أحزاب المعارضة.. الخ) إن هذا كله قد أسهم في حصول الحزب الحاكم على الأغلبية، فضلاً عن اعتبار هذا الحزب حزباً وسطاً من الناحية الأيديولوجية وهو الامتداد الحقيقي لثورة 23 يوليو 1952.

هذا واهتمام الكاتب بانتخابات عام 1984 في مصر ذو شقين، أولهما الشق السياسي الإعلامي وهو الذي تحدث الكاتب عن بعض جوانبه في السطور السابقة، ولكن الشق الثاني يتعلق بالناحية التكنولوجية الإلكترونية، والتي ينبغي أن تسود حياتنا الاقتصادية والإدارية فضلاً عن حياتنا الاجتماعية والسياسية. فعملية الانتخاب مثلاً يمكن أن ينظمها وأن يحلها الحاسب الآلي أي أن يكون في كل دائرة لانتخابية ترمينال أو نهاية طرفية ترتبط بالحاسب المركزي، وما على العامل أمام النهايات الطرفية - حين يحضر أحد المواطنين للدلاء بصوته - إلا أن يضغط على مفاتيح النهايات الطرفية (التي تشبه الآلة الكاتبة العادية) وذلك لاستدعاء الرقم القومي للمواطن وهو نفسه الرقم الانتخابي، ثم يدلي المواطن بصوته وبالتالي يستطيع المواطن أياً كان موقعه أو موطنه الانتخابي الدلاء بصوته (ويلاحظ أن هذا التطبيق يستدعي تبني مشروع الرقم القومي للمواطن).

ولعل الأخذ بالأماليب التكنولوجية الحديثة من شأنها أن تقلل من أسباب التذمر بسبب التزوير أو أن تجعل التزوير معدوماً، فضلاً عن إمكانية زيادة نسبة المواطنين الذين يشاركون بأصواتهم في انتخابات بلادهم خصوصاً إذا تعدلت قوانين الانتخابات واستمر للمناخ الديمقراطي أو الهامش الديمقراطي كما يسميه البعض الذي تنعم به البلاد في الوقت الحاضر، وهو النظام الذي يتيح إنشاء الأحزاب دون لجنة تتحكم في ذلك، والذي يطبق تداول السلطة ومختلف جوانب العملية الديمقراطية.

4/6 الصحافة والدعاية السياسية والانتخابات:

لقد أسهمت المصوح في التعرف الموضوعي على تأثير الصحافة والدعاية السياسية في الانتخابات، وكذلك التعرف على تأثير الحملات الانتخابية في تحويل أو تثبيت الأفضليات السياسية للناخب.

وعلى الرغم من الدراسات المسحية العديدة السابقة فما زالت معارفنا محدودة عن هذه الظواهر والتأثيرات. وعلى كل حال، فإن دراسة تأثير الحملات الانتخابية يتم بصورة أفضل عند اتباع منهج فرق المسح Panel Survey، حيث يستطيع الباحثون إعادة إجراء المقابلات مع المستجيبين خلال تقدم الحملات والدعايات الانتخابية.. فالباحث في هذه الحالة يستطيع متابعة التحولات في أفضليات الناخبين وسيستطيع الباحث ملاحظة العملية التي تتكون بواسطتها القرارات كما يستطيع تقييم تأثير الخطب والأنشطة والأحداث المختلفة على رأى الناخب وتحوله من حزب إلى حزب أو من شخص إلى شخص. وإذا لم يتم تتبع عملية اتخاذ القرار بهذه الطريقة فسواجه مراقب الحملة الانتخابية بموقف تختلط فيه مواقف وقوى وأحداث عديدة.. وكأنها حدثت جميعها في وقت واحد وعلى ذلك سيصبح من العسير التمييز بينها وتقييمها. هذا وتشير نتائج العديد من المسوحات المختلفة إلى أننا نهول ونبالغ في تصورنا لتأثير الحملات الانتخابية السياسية والصحفية على الناخبين.. ذلك لأن معظم الناخبين قد استقر رأيهم على من ينتخبوه

حتى قبل أن تبدأ هذه الحملات.. ولعل هذه الحملات تدعم وتثبت قرار الناخب فقط. والناخبون الذين يعلنون في البداية أنهم مترددون، عادة ما يعطون أصواتهم للحزب الذي تعودوا أن ينتخبوه.

أى أن هذه الحملات ستبلور الآراء الموجودة فعلاً ولكنها سوف لا تحول الناخبين من حزب إلى آخر، وإن كان الباحثون يرصدون لهذه الحملات السياسية والصحفية تأثيراً، عندما يتساوى مرشحان بالنسبة لتأييد الناخبين، فإن الحملة الناجحة هي التي تجعل أحد المرشحين يفوز على الآخر ولو بأصوات قليلة.

أما تحول الناخبين بشكل كبير من حزب إلى آخر فيمكن أن يحدث فقط إذا فجرت الانتخابات أزمة حادة وتفاعلت معها الجماهير.

هذا وقد درس دور الاعلام والاتصال الجماهيري في الانتخابات عن طريق المسوحات.. فلقد تبين على سبيل المثال أن معظم الناخبين يطلعون على وسائل الاعلام "لتدعيم" رغبتهم الانتخابية التي كونوها من قبل. وهم يميلون إلى تجنب وسائل الاعلام التي تتعارض مع قرارهم الانتخابي، أو إلى تفسير ما تكتبه أو تذيعه وسائل الاعلام على ضوء معتقداتهم وميولهم.

والناخبون يتعرضون خلال الحملات الانتخابية لوسائل اتصال ودعاية كثيرة تأتيهم من مصادر كثيرة وتتناول قضايا وموضوعات عديدة أيضاً، وبالتالي فالناخبون يختارون من هذا الفيض الدعائي والاعلامي ما يرغبون في سماعه أو قراءته ويعزفون عما يرغبون في تجنبه ورفضه.

ولما كانت معظم القضايا المعروضة على الناخبين هي قضايا معقدة أو فنية وذات جوانب متعددة، فإن الناخبين يميلون في هذه الأحوال إلى تقبل التفسيرات والآراء التي يضعها المتحدثون باسم الحزب لشرح هذه القضايا.

وهناك استثناءات لهذه القاعدة المسالفة الذكر، فقد تكون التغطية الصحفية أو الإذاعية الواسعة، بالنسبة لبعض المرشحين ذوي الأصالة

الفكرية أو الشخصية القوية الجاذبة، ذات أثر واضح في تعريف الجمهور بهؤلاء المرشحين وزيادة شعبيتهم.

لقد أظهرت بحوث المسح التي قام بها لازر زفيلد وزملاؤه، أن وسائل الاعلام خصوصاً الصحفية منها تخاطب القطاعات المتعلمة وهي القطاعات ذات الدراية بالشئون العامة والتي استقرت عادة على قرار انتخابي حازم، أما الناحيون المترددون، وهم الذين يود المصحح الوصول إليهم، فهؤلاء لا يصل إليهم الباحث عن طريق وسائل الاعلام وإنما يصل إليهم عن الطريق الشخصي المباشر.

هذا والقطاع المتعلم أو الواعي سياسياً هو القطاع الذي يعمل كحلقة وسيطة بين وسائل الاعلام وبين الناخب العادي، أي أن وسائل الاعلام في هذه الحالة تمارس على الأقل تأثيراً غير مباشر على الناخب العادي من خلال ما يسمى 'بالاتصال على مرحلتين' Two Step flow of Communication حيث يقوم أعضاء الجماعة الناحبة الأكثر وعياً وتعليماً بتلقي المعلومات من وسائل الاعلام ثم نقلها إلى الناحبين العاديين.

وأخيراً فتساعدنا المسوحات في التعرف على مدى صحة أو تأثير بعض التفسيرات للشائعة، كتأثير عربة الحزب الفائز Band Wagon Effect والتعرف على حدوثها من عدمه وتحت أي ظروف وكذلك التعرف على كثير من العلاقات والارتباطات Correlations كالارتباط بين مستوى التعليم والاهتمامات والانتماءات السياسية وتأثير الشخصية على الاختيار الانتخابي، ودرجة عمق الانتماء الحزبي في الأسرة وغيرها من الجماعات.

أي أن منهج المصحح سيساعدنا في التعرف على مختلف المتغيرات والتأثيرات المتعلقة بالعملية الانتخابية ابتداء من التنظيمات الحزبية وأنشطتها والدعاية الانتخابية إلى دور المرشحين والناخبين والمؤسسات المختلفة في تدعيم قرار الناخب أو تحوله من حزب إلى آخر.

وإذا ما علمنا بطريقة أكثر موضوعية تأثير العضوية في جماعة معينة أو تأثير الشخصية والأيدولوجية والجماعات المرجعية ووسائل الاعلام في العملية الانتخابية، كان تقييماً للتأثيرات السياسية أكثر موضوعية وصحة.

5/6 إسهام المسح في النظرية السياسية والإعلامية،

يلجأ الدارسون للمسح عادة باعتباره مجموعة إجراءات قوية لتجميع الحقائق، ولكن إسهام المسح في تركيب واختبار الفروض والنظريات لا تحتل عند هؤلاء مكاناً أساسياً.

وتقع القيمة الفعلية للمسح بالنسبة للنظرية السياسية -بداية- في المتطلبات الفكرية لمنهجية البحث.. والذين يستخدمون المسح كمنهج، يجب أن يوضحوا معاني وتعريف مصطلحاتهم وأهدافهم، وكيفية قياسها بدقة. كما ينبغي عليهم أن يضعوا نظرياتهم بطريقة نسقية متماسكة، وأن يستمدوا منها الفروض التي يرغبون في اختبارها. كما ينبغي عليهم في مرحلة استخلاص النتائج، القيام بالتحليل والتفسير السليم لتقرير مدى صحة النظرية التي تبناها.

إن التقدم في النظرية لا يعتمد فقط على فطنة الباحث المتميزة، ولكنها تعتمد كذلك على قدرته على مواجهة الحقائق وتقديم التفسير المناسب لها.

وإذا كانت المسوحات وغيرها من الأساليب الإمبيريقية تؤدي إلى ظهور حقائق معينة، فإن هذه الحقائق تفرض على الباحث إعادة النظر في نظرياته وتعديلها.

ولقد ظهر تأثير المسوحات على النظرية السياسية في مجالات عديدة.. وعلى سبيل المثال لا الحصر.. فقد ظهر هذا التأثير في مجال النظرية الديمقراطية أي في مجال طبيعة وممارسة الحكومة الديمقراطية.

وعلى الرغم من عدم وجود تعريف واحد يقبله الجميع لمصطلح "الديمقراطية" في جميع الأقطار والأزمنة، فإن النموذج الذي يكثر عرضه

عن الديمقراطية "السياسية" يعكس النظام المعتمد على الرضا الإيجابي للناخبين الواعين، وهؤلاء يختارون حكامهم فقط بعد تمحيص ومفاضلة بين المرشحين الذين يمثلونهم ويحكمونهم عن طريق الأغلبية ورضى الأقلية.

هذا ويفترض في الناخبين الوعي الكامل والمعرفة التامة بجميع الأحزاب المتنافسة وجميع المرشحين والبرامج التي سيعمل كل واحد من هذه الأحزاب على تحقيقها.. كما يفترض في الناخبين كذلك أنهم سيمارسون حقهم الانتخابي في مجرد عاطفي وحكم عقلائي، وبعد تقييمه ووزنه ومدى تحقيقه لمصالحه الخاصة. ومصالح وطنه وأمته. إن هذا الاختيار الحكيم للمرشحين هو اختيار الأغلبية لحكامها الذين يمثلونها خلال الفترة التي حددها الدستور. ويفترض في اختيار الأغلبية هذا أنه اختيار "صحيح" عادة لأن الرأي العام له السيادة لا في القانون وحده بل في الحكمة المتفوقة كذلك.

واهتمامنا في هذا التحليل لا ينسحب على هذا النموذج "العقلاني" للديمقراطية أو غيره، ذلك لأن هذه النماذج لها فائدتها من غير شك.. ومع ذلك فينبغي أن نشير إلى أن بحوث المسح الخاصة بالانتخاب وغيره من العمليات الديمقراطية - قد أظهرت أن هناك عناصر مختلفة في النظريات الدراسية لا يمكن الدفاع عنها أمبيريقيا.

من أجل ذلك فقد بدأ دارسو السياسات الديمقراطية في تعديل النظرية لتتلاءم مع الدور الذي يلعبه الناخبون فعلا في التعبير عن آرائهم وثقتهم.. فضلا عن إعادة النظر في التعرف على دور الأحزاب والمرشحين والقضايا والعمليات الاتصالية.. الخ في مسار الانتخابات وتقدمها.

ويمستبع ذلك أيضا إعادة النظر في معاني وتعريف مصطلحات عديدة في هذا المجال كالجمهور والرأي العام وحكم الأغلبية وذلك حتى تتفق مع ما تكشفه بحوث المصنع.

إن دور "الصفوة" الفعلي في العملية الديمقراطية قد أصبح موضع نظر جاد من هؤلاء الدارسين، كما أعيد تقييم دور "الصفوة" كركائز للمعتقدات الديمقراطية وكوكلاء لدعم قواعد اللعبة للديمقراطية.

كما وضعت هذه الدراسات الامبيريقية الافتراضات التقليدية عن الديمقراطية "الطبيعية" للفقر والجاهل والشخص الطيب المسالم الذي لا يدخل في مساجلات أو محاورات أيديولوجية، وضعت هذا كله تحت الاختبار والتساؤل.

لقد فرضت علينا بحوث المسح كذلك إجراء بعض التعديلات في نظرياتنا عن المعتقدات والانتماءات السياسية المتطرفة. فنحن لم نعد نرد بنبي المعتقدات المتطرفة اليسارية أو اليمينية إلى العوامل السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية وحدها، بل يجب أن نأخذ في اعتبارنا عوامل "الشخصية" كالميول السلطوية وعدم القابلية للتفاهم والملازمة وغيرها من الأمراض النفسية.

ويوجد هؤلاء المتطرفون في جميع الوظائف والقطاعات الاجتماعية والمستويات التعليمية.. ولكنهم يشتركون جميعاً في احتياجات "الشخصية" أي أنهم يشتركون جميعاً في الطرق التي يواجهون بها احتياجاتهم وتطلعاتهم واحباطاتهم عن العالم من حولهم. كما تناولت بحوث المسح كذلك ظواهر عديدة كالعزوف السياسي واللامبالاة Alienation and anomy فقد أثبتت هذه البحوث أن النظريات التقليدية في شرح هذه الظواهر وردها إلى التصنيع أو التحضر أو المجتمع الجماهيري Mass Society أو الاحباط الاجتماعي أو أفسول وتقليل دور الأيديولوجية.. هذه النظريات التقليدية غير كافية للتفسير والشرح، ووضعت بحوث المسح كثيراً من جوانبها موضع التساؤل والاختبار بادخالها لدور للعوامل "الشخصية" ولدور التعلم والتطبيع السياسي والاجتماعي Learning and Socialization لقد كشفت المسوحات أيضاً أن كثيراً من التصنيفات التقليدية السياسية والتي ينادي بها بعض المنظرين

والدعاة، هذه التصنيفات لا تعيش في أرض الواقع العملي.. فاليسار واليمين السياسي مثلاً ليسا مجرد محاور سياسية متباعدة، ذلك لأن نفس الأشخاص يمكن أن يؤمنوا بقيم يصنفها بعض المنظرين على أنها يساراً أو يمين.. أي أن تحليل نتائج المسح لبعض المستجيبين تشير إلى درجات عالية High Scores في بعض القيم التي يعتبرها بعض المنظرين يساراً أو قيم تحررية Liberal بينما يحصل هؤلاء المستجيبون أنفسهم على درجات عالية أيضاً في بعض القيم التي تعتبر بمقاييس أخرى يمينية أو محافظة Conservative.

أي أن النظريات السياسية التقليدية تميل إلى التبسيط الشديد للانحيازات السياسية، ومن هنا فإن نتائج بحوث المسح تجبر الباحثين السياسيين والإعلاميين على إعادة النظر في الافتراضات والتفسيرات السابقة وذلك للوصول إلى شرح للسلوك السياسي يتفق مع هذه الحقائق والنتائج.

ومن أمثلة نتائج المسوحات هذه ما يلاحظه الباحث من اتفاق اليمين المتطرف واليسار المتطرف في رفض المؤسسات السياسية القائمة كالحكومة الديمقراطية والمجتمع المفتوح وحرية الصحافة.. وكل من اليمين واليسار المتطرف يحمل عناصر التآمر والخوف الذي لا أساس له والغضب وعدم المرونة وعدم التسامح. إن هذه الصفات التي تظهر في الجماعات المتطرفة بناء على تحليل المسوحات السياسية يمكن ملاحظتها أيضاً في الحركات المتطرفة (كالنازية والشيوعية... الخ).

إن التغيير الذي يمكن أن يؤثر على مفاهيمنا النظرية بالنسبة لهذه الطواهر، لا يأتي من المسوحات وحدها، ولكن بحوث المسح قد أضافت أدلة هامة تدعم هذه الاتجاهات الجديدة.

سابعاً: حدود ومشكلات استخدام المسوحات السياسية والإعلامية:

على الرغم من الأهمية الكبرى للمسوحات في الدراسة السياسية والإعلامية إلا أن هناك مشكلات ترتبط باستخدام المسوحات للبحث، ومن

بين هذه المشكلات تكاليف المسح العالية وعدم إمكانية الوصول إلى قطاعات معينة من المستجيبين (نظرا لتوليهم مناصب بارزة أو لجهلهم أو فقرهم أو عزلتهم الجغرافية.. الخ).

هذا وتفتقد المسوحات فعاليتها إذا لم يستطع الباحث وضع المفاهيم المطلوبة في استبيانات فعالة. فعلى سبيل المثال لا الحصر إذا أخذنا مشكلة "الولاء للحزب" فسنجد أن الجماعات المختلفة لا تفهم أو لا تستجيب لهذا الولاء بنفس الطريقة، فغير المتعلمين قد يعلنون هذا الولاء ولكنهم في التطبيق العملي قد لا يعكسون هذا الولاء، كما تعتبر بعض الجماعات نفسها من بين "المستقلين" أو المتمردين على سيطرة الحزب أياً كانت درجة انتمائهم وولائهم لحزب معين، خصوصاً إذا كان هذا الحزب مسيطر بدرجة تعوق تحقيق التعددية والتنافسية.

وهناك حدود أيضاً للمسوحات، إذ أنها ليست الاجراء الأمثل للتعرف على المعتقدات أو ملاحظة التغيير وإن كانت المسوحات تنير لنا الطريق وتساعدنا مع المداخل الأخرى كالملاحظة والوصف والتحليل على فهم الظواهر والعلاقات السياسية.

أما بالنسبة للحدود والمشكلات الفنية للمصاحبة للمسح السياسي، فهناك مشاكل "المعينة" Sampling حيث يصعب تحديد صفات مجتمع البحث، كما قد يصعب الوصول إلى بعض الأفراد، كما قد يرفض بعضهم الإجابة.. وعلى الرغم من إمكانية تصميم العينة احتمالياً فقد يصعب تطبيقها عملياً.

إن الطريقة التي يملك بها شخص معين في موقف فعلي، تعتمد على "محتوى وشدة" اتجاهاته ومعتقداته، كما تعتمد على قوة العوامل الخارجية التي تؤثر على هذا الشخص، كما يعتمد سلوكه فوق هذا كله على الظروف المحيطة به ساعة الفعل.

من أجل ذلك فالمسوحات لا تستطيع دائماً التنبؤ بالسلوك الصريح، نظراً لصعوبة التأكد من العوامل السابقة جميعها في أى حالة من حالات البحث والدراسة.

وأخيراً فالمسح -مثل في ذلك مثل الدراسات السلوكية بصفة عامة - تحرم العيانية من حيويتها، وذلك عندما يجمع للمسح الاستجابات الشفوية في لحظة معينة وعندما يتعامل مع للمتغيرات والعناصر المعزولة وليس مع الإنسان واستجاباته الكلية.. أى التعامل مع الإنسان بضغطه إلى أبعاد وعناصر وإحصائيات أى ضغطه إلى حيوان سياسي له مجموعة من الاحتياجات والدوافع فضلاً عن دوره في جماعة معينة، وواضح أن هذا النقد الأخير هو نقد الحركات الإنسانية Humanistic للدراسات السلوكية بصفة عامة.

ثامناً: دراسة مسحية تطبيقية عن اتجاهات العرب والمسلمين الأمريكيين وعن العقيدة الإسلامية بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001:

مقدمة:

لقد أشعلت الاعتداءات الارهابية ضد الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 اهتمامات واسعة بالنسبة لصعود وتوافر مشاعر الخوف من الاسلام بين الأمريكيين كانعكاس لهذه الحادث، وحتى يمكن قياس اتجاهات الرأى عن المسلمين والعرب (سواء الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة أو خارجها) وعن الاتجاهات نحو العقيدة الإسلامية فقد اهتمت منظمات عديدة بصفة منتظمة بمسح هذه الآراء والاتجاهات وقام الباحث بانا جوبولس (Panagopolos C. 2006) بتحليل هذه التطورات في مشاعر الجمهور الأمريكي حول الأمريكيين العرب والمسلمين وحول الاسلام في عصر الحرب على الارهاب باستخدام البيانات المتوفرة عن قياسات الرأى العام الأمريكي.

ويسمير تحليل هذه البيانات في هذه الدراسة إلى أن الأمريكيين لديهم استنكار قديم وتحفظت مترسبة عن الأمريكيين العرب والمسلمين، كما تعكس

الأدلة أيضا المستويات المنخفضة لوعي ومعرفة الأمريكيين عن العبادئ الأساسية للإسلام فضلا عن الجزع والخوف المتنامي عن الإسلام (خصوصا بالنسبة للأصوليين الإسلاميين) وعدم ملائمتها للقيم الغربية المتصلة بالتسامح وتقبل الآخر والتحضر. وإذا كانت بعض الحركات العنيفة في ديناميكيات الرأي الملحوظة بوضوح بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر مباشرة، فإن مستويات الرأي قد استقرت بعد وقت قصير واستمرت هذه التطورات كجزء من الحرب على الإرهاب، وسيقوم مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا بطرح بعض تفصيلات دراسة الباحث باننا جوبولس المنشورة في مجلة للرأي العام الفصلية في شتاء عام 2006 وذلك تحت البنود الأربعة التالية:

1/8 نظرة عامة عن ردود فعل الإدارة الأمريكية ونشاط مؤسسات قياس الرأي العام،

قام الرئيس الأمريكي جورج بوش في جهوده لتجنب ردود الفعل الأمريكية بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، بحث الأمريكيين بمقاومة الدوافع ضد المسلمين وذلك في خطبته إلى أمة حزينة وذلك في اجتماع مشترك للكونجرس في العشرين من سبتمبر عام 2001، حيث أعلن أن عدو أمريكا ليس العديد من أصدقائنا المسلمين ولا من العديد من أصدقائنا العرب.. وبالتالي فلا ينبغي ألا تكون هناك معاملة غير عادلة أو غير كريمة انطلاقاً من الأساس العرقي أو للعقيدة الدينية.

وفي دراسة أذاعتها مؤسسة حقوق الإنسان Human Right Watch في نوفمبر عام 2002 أن المكتب الفيدرالي للتفتيش Federal Bureau of Investigation أشار إلى أن هناك زيادة تبلغ (17) مرة ضعف في الجرائم ضد المسلمين في الولايات المتحدة على اتساعها خلال عام 2001 .

وقد اعتمد الباحث باننا جوبولس في دراسته هذه عن تطورات آراء الأمريكيين عن المسلمين والعرب (المقيمين منهم داخل أمريكا أو خارجها)

والتعرف على اتجاهاتهم نحو العقيدة الإسلامية، اعتمد على بيانات الرأي العام التي يقوم بتجميعها مركز روبر لقواعد البيانات Roper Center's I POLI Data Base وقد أظهرت هذه البيانات الأخيرة أن الأمريكيين مع لبتعادهم عن مسرح وزمن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر - قد أصبحوا أقل معرفة عن العرب والمسلمين الأمريكيين وأكثر حذراً منهم، ومع ذلك فإن الحساسية الشديدة التي صاحبت الحادي عشر من سبتمبر لم تستمر أمداً طويلاً.

2/8 مجتمع الأمريكيين المسلمين؛

إذا كانت هناك بعض الأدلة التي يشير إليها الباحث باناجوبولس فيما بعد، والتي تشير إلى أن الجمهور الأمريكي قد تفاعل مع اعتداءات سبتمبر بطريقة متوقعة إلا أنه ليس هناك رد فعل زائد عن الحد، فبيانات الرأي العام الأمريكي تشير إلى أن رد فعله كانت تتصف بالوضوح والتسامح وكبح الجراح، فقد تحولت الهزات الانفعالية المبدئية إلى المستويات السابقة قبل الحادي عشر من سبتمبر. فنسبة الأمريكيين الذين تبنا مشاعر غير مشجعة ضد الأمريكيين المسلمين قد تضاعفت في نوفمبر 2001 (إلى 15%) بالنسبة للمشاعر السابقة الموجودة ولكن بنسبة أقل (أى إلى حوالي 7%) ولكن هذه المشاعر تعدلت في فبراير عام 2002م لتصبح 8% فقط وارتفعت قليلاً في يونيو عام 2003 إلى حوالي 10%، كما أشارت البيانات المجمعة بواسطة مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية Chicago Council on Foreign Relations إلى أن الاتجاهات المؤيدة للمسلمين قد انخفضت بين عامي 2002 - 2004، ومع ذلك فهناك ثبات بالنسبة لأغلبية المشاعر بين الأمريكيين وهوان مسلمي الولايات المتحدة عليهم التزام خاص لمساعدة الإدارة الأمريكية لسحق الإرهابيين وهزيمة أسامة بن لادن.

3/8 العقيدة الإسلامية،

هناك بعض المتخصصين الذين يرون أن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر قد أشعلت ما يسمى بصدام الحضارات Clash of Civilizations ولكن وعي الأمريكيين ربما قد تغير في السنوات الأخيرة عن العقيدة الإسلامية، ولكن معظم الأمريكيين يعرفون قليلا جدا عن الاسلام، ومعظم المستجيبين على الاسئلة يشيرون إلى أن الاسلام يختلف اختلافا جذريا عن ديانتهم - وإن كانت المسوحات التي تمت خلال السبعينيات والثمانينيات قد عبرت عن مشاعر معظم الأمريكيين التي تشير إلى أن الاسلام قد أصبح قوة هائلة في العالم، ويجب الإشارة إلى أن بيانات المسوحات التي أجريت في عام 2001 تشير إلى أن، نسبة الذين لا يعرفون شيئا مطلقا عن الممارسات الإسلامية وصلت إلى 24% وهذه النسبة وصلت إلى 29% عام 2003.

وعندما أجرت مؤسسة البحوث المسيحية في برنستون Princeton Survey Research Associates أسئلة للأمريكيين للتعرف على مدى وجود أشياء مشتركة بين القرآن* والانجيل فأجاب معظمهم بأن ديانتهم تختلف جذريا عن الاسلام Very Different From Islam وقد زادت نسبة هؤلاء المؤيدين لهذه المقولة من 52% في نوفمبر 2001 إلى نسبة 60% في يونيو 2003.

وقد أجاب 40% من الأمريكيين إلى أنهم يشعرون بأن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر تمثل " التعاليم الحقيقية للإسلام" وأن الاسلام يشجع العنف ضد غير المسلمين وقد زادت نسبة هذه المقولة من 14% إلى 34% في مارس عام 2006، كما أشارت مسوحات مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية أن الأصوليين المسلمين يعتبرون تهديدا مباشرا للأمن القومي الأمريكي.

4/8 الحادي عشر من سبتمبر والإرهاب والتسامح:

تعرضت قياسات الرأي لتطورات عديدة في اتجاهات الأمريكيين نحو المسلمين منذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر وخلال الأعمال العسكرية التالية، وأظهرت البيانات تخوف الجمهور الأمريكي من التعامل مع المسلمين بطريقة مختلفة في ملاحقة أنشطتهم.

ومن بين تلك القياسات للرأي العام، أن نصف الأمريكيين يعتقدون في يونيو عام 2002، أن معاملة المسلمين بطريقة مختلفة فيه انتهاك لحقوقهم وزادت هذه النسبة إلى 52% في يونيو 2003، ومع ذلك فهناك نسبة كبيرة أيضا من السكان (حوالي 42% عام 2002، 39% عام 2003) يشعرون بأن الحكومة يجب أن يكون لديها نفوذاً أكبر في الرقابة على المسلمين أكثر من أي جماعة أخرى.

وهناك بيانات أخرى تشير إلى أن نسبة المستجيبين ممن يعتقدون أن الحكومة تقوم بدرجة كافية بتقديم واحترام وحماية حقوق الأمريكيين العرب والمسلمين، قد انخفضت بشدة من 73% في نوفمبر 2001 إلى 61% في سبتمبر عام 2003، كما أظهرت نسبة كبيرة من الأمريكيين رغبتهم في زيادة التضييق في قوانين الهجرة للحد من دخول العرب والمسلمين إلى البلاد، مع وضعهم تحت الرقابة الخاصة، خصوصا ونسبة المستجيبين من الأمريكيين قد تضاعفت حيث ترى أن الأمريكيين العرب متعاطفين مع الإرهابيين وأن هذه النسبة قد زادت من 18% في أكتوبر عام 2001 إلى 33% في سبتمبر عام 2002 ذلك لأن الثقة فيهم قد قلت عن ذي قبل.

وبعد استعراض دراسات الباحث بانا جوبولس السابقة المعتمدة على تجميع وتحليل اتجاهات الرأي للعام الأمريكي نحو الأمريكيين العرب والمسلمين، ونحو العقيدة الإسلامية التي تدعم الإرهاب وتدعو له.. يجب أن يشير مؤلف هذا الكتاب إلى رؤيته والتي استخلصها بمعايشة الصفوة من الرأي العام الأمريكي أثناء دراسته بأمريكا في بداية الستينيات، وهي أن

هناك اتجاهات واضحة لدى الأمريكيين بالنسبة للإسلام حتى في هذه الفترة البعيدة عن الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وذلك لأن النظام التعليمي خصوصا في مرحلة الطفولة والشباب يعتمد على التنشئة اليهودية المسيحية JudoChristianity أى أن هناك بناء الاتجاهات على هذا التلاحم.. وهذه الخلفية المعادية للإسلام هي التي ظهرت واضحة بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وعلى الدول العربية والإسلامية حكومات وشعوبا أن تضع استراتيجيات للدعوة الإسلامية المضادة من أجل تعديل " وليس تغيير " بعض هذه الاتجاهات الراسخة لدى الأمريكيين منذ طفولتهم.

الفصل الثامن

المنهج التجريبي

أولاً: أهمية التجربة ومكوناتها المفتاحية وعوامل السببية:

تقوم التجارب في الاتصال الجماهيري بتجميع البيانات بطريقة مباشرة من الناس مثل منهج المسح، ولكن التجربة - على عكس المسح - تسعى لتجميع هذه البيانات تحت ظروف محكمة، وإذا ما طبقت التجربة بعناية، فسيكون الباحث قادراً في معظم الأحيان على الاستجابة لمختلف جوانب العلاقات السببية.

ولعل أهم هذه المكونات هو تطويع manipulation للمتغير المفتاحي، ومتى حدد القائم بالتجربة المتغير (ويسمى عادة المتغير المستقل) وهو الذي يعتبر السبب الرئيسي في التأثير على متغير آخر (يسمى عادة متغير تابع)، فالاستراتيجية المتبعة هي تطويع المتغير المستقل حتى يمكن إنشاء أكثر من حالة تجريبية. وهدف هذا التطويع هو القدرة على ملاحظة تأثير المستويات المختلفة للمتغير المستقل على بعض المتغير التابع (Sparks, G. 2006: 35) أي أن السببية مفهوم حاسم في البحث التجريبي ويعني ببساطة أن حدثاً معيناً (السبب) يؤدي دائماً إلى حدث آخر (الآثر).

أما العوامل التي تدخل في السببية فهي:

أ- العامل الضروري: يعني أنه إذا كان (س) المتغير المستقل عامل ضروري لحدوث (ص) المتغير التابع فإن (ص) يستحيل حدوثه إلا بعد حدوث (س) .. وعلى سبيل المثال إذا كان التعلم الإعلامي عامل ضروري للاستخدام الفعال لمركز المعلومات الصحفية، فإن الأخير لا يمكن حدوثه إلا إذا قمنا بالتعليم الإعلامي.

ب- العامل الكافي: ويعني أنه إذا كان (س) يعتبر عاملاً كافياً لظهور (ص) فكلما حدث فإن (ص) سيحدث دائماً - أي أنه إذا كان التعلم الإعلامي عامل كاف للاستخدام للفعال، فمعنى ذلك أنه إذا حصل الفرد على التعليم الإعلامي المناسب فسيبدأ الفرد باستخدام للفعال لمركز المعلومات الصحفي.

ومع ذلك فقد لا يكون العامل ضرورياً أو كافياً لحدوث الظاهرة.. أي أن التعليم الإعلامي قد لا يكون عاملاً ضرورياً للاستخدام للفعال لمركز المعلومات الصحفية، ذلك لأن الفرد قد يعلم نفسه كيفية الاستخدام، ففي العلوم الاجتماعية ومن بينها علوم الإعلام هناك عوامل مختلفة تميل إلى أن تكون السبب أو التأثير على أي متغير تابع.

فبالإضافة للتعليم الإعلامي قد يكون هناك عوامل أخرى كالدافعية والتشجيع والذكاء والخبرات المسبقة وضغط الزملاء.. الخ تساعد على الاستخدام للفعال لمركز المعلومات الصحفي أي أن على الباحث في علوم الإعلام أن يبحث دائماً لاعتن عامل واحد بل عن عدة عوامل لحدوث الظاهرة.. بل على الباحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة أن يستنتج علاقة سببية بين اثنين أو أكثر من المتغيرات بناء على البيانات المجمعة وتحليلها.

وتظل السببية مفهوماً حاسماً في البحوث التجريبية، ويعني ببساطة أن حدثاً معيناً (السبب) يؤدي دائماً إلى حدث آخر (الآثر).. وفي العلوم الاجتماعية يعتبر المحور عادة شاملاً لعوامل مختلفة تدخل في الظاهرة وهذا معناه زيادة احتمال حدوث حدث معين نتيجة لهذه العوامل وليس نتيجة لحدث واحد محدد.. ويفضل للبعض استخدام السببية والمُترح بطريقة متبادلة في العلوم الاجتماعية.

ثانياً: أنواع التجارب العملية:

1. التجارب العملية والتجارب مع الناس،

والأولى تتميز بالضبط والتحكم والتطوير من جانب الباحث، ومن ثم يمكن تكرارها في أي وقت. أما في التجارب مع الناس فيضع الباحث فرضه عن طريق تجميع المعلومات من الظواهر الطبيعية بدلاً من اصطناعها.

2. التجارب التي تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد أو أكثر،

وفي الحالة الأولى يتعرف الباحث على اتجاهات أفراد المجموعة ثم يدخل العامل التجريبي عليها، ويتعرف على اتجاه أفراد المجموعة نفسها بعد ذلك.. والفرق بين القياسين -إذا وجد- يكون راجعاً للعامل التجريبي. أما إذا استخدم الباحث مجموعتين فتكون إحداها "تجريبية" والأخرى "ضابطة" حيث يفترض أن المجموعتين متساويتان من جميع الوجوه. ثم يدخل الباحث العامل التجريبي على المجموعة للتجريبية فقط. ويقاس بعد ذلك اتجاه المجموعتين والفرق بين المجموعة الضابطة والتجريبية -إذا وجد- يعود إلى العامل التجريبي.

3. التجارب التي تستغرق وقتاً طويلاً أو قصيراً لإثبات الفرض،

(كأثر دراسة المرحلة المتوسطة على التعلم السياسي) والتجارب التي يمكن إثبات الفرض فيها في زمن قصير (كتأثير بعض البرامج الإذاعية في تغيير اتجاهات الأفراد).

ثالثاً: عناصر التجربة والمنهج التجريبي:

● تجربة سانتشي على الحشرات:

في مطلع القرن العشرين كان عالم الحشرات فيليكس سانتشي Felix Santschi مشغولاً في دراسة سلوك النمل للعادي. وقد قادت بعض ملاحظاته

إلى "فرض معين" هو أن النمل ربما يعتمد على ضوء الشمس في تحديد اتجاهاته. وحتى يضع فرضه هذا تحت الاختبار، فقد صمم سانتشي خطة تجريبية، حيث اختار قطعة عشب في مكان لا يبعد كثيراً عن بيت النمل، ثم وضع على أحد جوانب هذه القطعة شيئاً معتماً يحجب ضوء الشمس ووضع على الجانب الآخر لهذه القطعة مرآة مائلة.. وانتظر بهدوء حتى تظهر نملة بمفردها في طريق عودتها إلى بيتها، ثم وضع الباحث الستر المعتم في مكان يستطيع أن يحجب به أشعة الشمس المباشرة عن رؤيا النملة ثم حرك المرآة المائلة بحيث تنعكس أشعة الشمس بواسطة النملة على النملة من اتجاه بعيد عن الشمس نفسها. ومعنى ذلك بالنسبة للنملة أن الشمس التي كانت تشع من الغرب، أصبحت تشع من الشرق. وقد لاحظ الباحث أن النملة توقفت فجأة. وبعد فترة قصيرة حولت مسيرتها إلى الاتجاه المعاكس. أي بعيداً عن بيتها. وقد علل فيلكنس الباحث هذا التصرف على أن النملة كانت تستخدم الشمس كأداة لتحديد اتجاهها.

• بعض عناصر التجربة:

إن طريقة سانتشي في الملاحظة توضح في شكل مبسط العناصر الأساسية للبحث التجريبي. أي اختبار الفرض عن طريق توفير ظروف صناعية يمكن التحكم فيها بالملاحظة.. فبدلاً من أن يصل الباحث إلى نتائجه عن طريق المنطق أو من ملاحظته للأشياء تحت الظروف الطبيعية Natural Conditions فقد اخترع سانتشي ظروفاً جديدة، على أن يختبر نظريته تحت هذه الظروف بسرعة ودقة.

هذا ويتضمن البحث التجريبي عادة، تركيب واستخدام الآلات وأدوات ميكانيكية، كما يستخدم الكيميائيون وعلماء الفيزياء المحدثون أجهزة معقدة في أغراضهم التجريبية. ولكن الأجهزة والآلات ليست بذاتها العنصر الضروري في هذا النوع من البحوث، وذلك لأن العامل الهام الحقيقي هو ذكاء الباحث وفطنته. فالباحث لابد أن يكون قادراً على ابتكار وتبديل

الظروف التي يمكن أن يتحكم فيها في كل مرحلة من مراحل التجربة. ويجب أن يكون الباحث متيقظاً بدرجة كافية لمتابعة تطورات التجربة، وفهم ما يحدث خلال اجرائها.. وإذا لم يكن الباحث على دراية بذلك، فإن ملاحظاته ستكون غير موثوق فيها.

وهناك بعض التجارب التي يمكن إجراؤها دون استخدام أى أجهزة خاصة. وذلك مثل التجارب التي تتم لاختبار طرق جديدة للتدريس بالمدارس. ولكن يجب أن يكون واضحاً أنه لا بد في هذا الأحوال أيضاً من توفير ضوابط Controls وظروف معينة في أى تجربة دقيقة.

• جاليليو رائد المنهج التجريبي:

كثيراً ما يلقب جاليليو بأنه أب الطريقة التجريبية، ونعود في ذلك إلى تجاربه على الأشياء ذات الأوزان المختلفة التي أسقطها من ارتفاع معين على الأرض. حيث يبدو أن المنطق يشير إلى أن الأشياء الثقيلة ستهبط إلى الأرض أسرع من الأشياء الخفيفة ولكن تجارب جاليليو (الملاحظة تحت ظروف يمكن التحكم فيها (Controlled Conditions) أظهرت أن الأشياء التي تتكون من مادة واحدة تسقط على الأرض بمعدلات سرعة واحدة مهما اختلفت أحجام وأوزان هذه الأشياء.

• الدراسات التجريبية على أصل الحياة:

لقد ثبت أن الملاحظات التي تمت تحت الظروف الطبيعية - لم تكن حاسمة بالنسبة للكائنات الحية. فهل تنشأ هذه دائماً كنسل ونزيرة للوالدين الأحياء أم أن هذه الكائنات تنتج أحياناً بواسطة التولد الذاتي Spontaneous Generation. لقد استدعت هذه المشكلة إجراء التجارب التي يمكن التحكم فيها وذلك للإجابة على هذا السؤال بصورة قطعية.

لقد تناول لويس باستير Louis Pasteur عام 1860 هذه المشكلة مستخدماً كلا من الطريقة التجريبية وغيرها من الطرق. وفحص بعناية

"الفرص" الذي يقول بأن الجراثيم Germs تعيش في الهواء، وأنها تنقل بواسطة تيارات الهواء من مكان إلى آخر. وإذا كانت هذه الرواية صحيحة فمعنى ذلك أن هذه الجراثيم سوف تترسب في السوائل المعقمة والمحفوظة في الأوعية المفتوحة.

ولاختبار هذا الفرض. فقد قام باستير بتوجيه تيار من الهواء تحت ضغط قوي من خلال مرشحات قطنية ثم وجه هذا التيار بعد ذلك من خلال مرشحات لمبستوس (وذلك لتجنب أى مواد غريبة في القطن). وفي هاتين الحالتين ترسبت الجراثيم على المرشحات. مما يؤكد بقوة وجود كائنات غير مرئية في الهواء.

ثم قام باستير بعد ذلك باختبار عينات من الهواء قام بتجميعها من قطاعات مختلفة من فرنسا (من الشوارع، من الحقول، من المرتفعات الجبلية. ومن معمله نفسه). وقد تبين له أنه كلما كان الهواء صافياً وكلما كانت كمية الغبار الذي يحمله الهواء قليلة - كلما قلت الجراثيم الموجودة. وقد أظهر الدليل إذن أن هناك كائنات حية دقيقة في الهواء محمولة بالغبار.

ولكن هل يمكن أن يثبت ذلك أن الهواء هو المصدر الوحيد للحيوانات أو الكائنات التي تتكاثر في النقاات والسوائل المعقمة؟ ولمتابعة هذا السؤال والوصول إلى نتيجة قام باستير بابتكار تجربة أكثر إحكاماً.

لقد قام بغلي السوائل حتى قضى على جميع آثار الحياة فيها. وفي كل حالة من هذا الحالات فإن الكائنات التي تتكاثر كانت تعيد الظهور تدريجياً وذلك عندما تترك هذه السوائل في الأوعية المفتوحة لعدة أيام.

وعندما كرر إجراء هذه العملية نفسها، ولكن بوضع السوائل في دوارق Flasks بحيث تكون أعناق هذه الدوارق للأسفل لمنع الغبار من الترسب على سطح السوائل - فقد لوحظ عدم وجود تكاثر الجراثيم على السطح. ولم تظهر الكائنات إلا عندما كان يلتصق الغبار بالسوائل.

ومعنى ذلك أن باستير قد برهن على أن السوائل التي دخل إليها الغبار هي وحدها التي تحتوى على الكائنات التي تتكاثر. أما السوائل الأخرى من نفس النوع والتي تم إجراء التجارب عليها بنفس الطريقة - باستثناء تعرضها للغبار - لم تحتوى على هذه الكائنات. وعند ذلك فقد وضع باستير حدا لشبح التولد الذاتي.

وتعتبر تجارب باستير هذه مثالا طيبا للتدليل العملي تحت ظروف محكمة Controlled Conditions. ولقد نجح باستير في تخطيط تجاربه بعناية كافية لعزل وملاحظة كل عامل من العوامل التي يمكن أن تؤثر على النتائج، وكان هدفه كما قلنا هو تحديد السبب الحقيقي للظاهرة التي يقوم ببحثها.. وعند اكتشافه للأسباب، فإن الباحث يستطيع السيطرة على الأحداث أو التنبؤ الدقيق عنها وذلك في أحد مجالات العلوم الطبيعية، وإن كان التجريب في العلوم الاجتماعية والإعلامية أكثر صعوبة.

رابعا: بعض قواعد تصميم التجارب:

قام جون ستيوارت ميل John Stewart Mill الفيلسوف الانجليزي الكبير بدراسة مشكلة الأسباب Causes التي يتناولها البحث التجريبي وتوصل "ميل" إلى خمس قواعد، يمكن أن تفيد كمرشد في تصميم التجارب والبحث عن تلك الأسباب. ولكن ميل Mill حذر من أن هذه القواعد ليست جامدة، كما أنها لا تصلح في جميع الحالات.

وفيما يلي هذه الطرق والقواعد:

1. طريقة الاتفاق، Method of Agreement

وتشير هذه الطريقة إلى أنه إذا كانت الظروف المؤدية إلى حدث معين، تتحد جميعاً في عامل واحد مشترك، فإن هذا العامل يحتمل أن يكون هو السبب. وبمعنى آخر يمكن أن نعبر عن هذه الفكرة بالطريقة السلبية،

فتقول بأنه لا يمكن أن يكون شيء معين هو مسبب ظاهرة معينة، إذا كانت هذه الظاهرة تحدث بدونه. وقد استخدم هذا المبدأ (طريقة الاتفاق) بنجاح في دراسات عديدة.

ويمكن أن نناقش فيما يلي بعض تطبيقات هذا المبدأ . فمئذ سنوات عديدة هاجم مرض مجهول منطقة معينة في أمريكا، وكانت ضحاياها الأولى من النساء، وقد قام الدارسون بالبحث عن مسبب هذا المرض بتطبيق مبدأ "ميل" الأول وهو "طريقة الاتفاق" بأن بحثوا عن الشيء المشترك الذي تتحد فيه جميع هؤلاء النساء الضحايا. لقد كان هذا الشيء المشترك هو شراؤهن جميعاً لنوع معين من "الفرو الرخيص" وهنا ارتاب الباحثون في أن يكون هذا " الفرو الرخيص" هو السبب.. وبفحصه فحصاً دقيقاً تبين أن هذا الفرو حامل للمرض Disease Carrier. ومن الواضح أن وجود جراثيم المرض على هذا الفرو هو السبب وليس الفرو نفسه، ولكن تطبيق طريقة ميل عن الاتفاق هي التي أرشدت الباحثين لهذا المفتاح الحيوي في حل المشكلة.

ولسموه الحظ، فإن العوامل المختلفة في أي مجموعة من الظروف، ليست دائماً واضحة وضوحاً قاطعاً كما هو الحال في المثال السابق. فربما يكون موت عدد معين من الناس (يشكون جميعاً من مرض في معدتهم) بسبب المياه التي يشربونها من بئر واحدة. ولكن هذه المياه يمكن بعد الفحص أن تكون نقية خالية من الجراثيم، ومصدر المرض هو شيء آخر مختلف تماماً. إن الصعوبة التي تواجه الباحث عند استخدامه لهذا المبدأ تقع في تمييزه بين العوامل ذات الدلالة وذات العلاقة بالمشكلة، والعوامل التي ليس لها أي دلالة أو علاقة بالمشكلة. ومعنى ذلك أنه لا بد لنا أن نتحرى عن السبب الحقيقي ولن نفصله عن السبب الظاهر.

2. طريقة الاختلاف أو الفرق، Method of Difference

لقد أشار ميل Mill في هذه الطريقة إلى أنه إذا كانت هناك مجموعتان أو أكثر من الظروف المتشابهة في كل شيء ماعدا عامل واحد فقط، وإذا حدثت نتيجة معينة عند وجود هذا العامل فقط - فإن هذا العامل موضوع البحث يحتمل أن يكون سبب هذه النتيجة.

ويمكن التعبير عن ذلك بطريقة سلبية. فنقول بأنه لا يمكن أن يكون شيء معين هو سبب ظاهرة معينة، إذا كانت هذه الظاهرة لا تحدث في وجوده. لنفترض أن هناك مجموعة من الفئران البيضاء التي تعيش على غذاء معين لا يحتوي على فيتامين ج. وأن هناك مجموعة أخرى من الفئران البيضاء التي تعيش على نفس الغذاء ولكن مضافا إليه فيتامين ج بوفرة. ثم تبين أن المجموعة الثانية من الفئران قد نمت بطريقة أسرع وتبدو أكثر صحة من المجموعة الأولى، فإن النتيجة يمكن أن تشير إلى أن الفيتامين هو المسئول عن ذلك.

ولكن هذه النتيجة لا يمكن أن تكون قاطعة وحاسمة إلا إذا تأكدت في حالات كثيرة جدا. وذلك لأنه في الحالة التي أمامنا ربما يكون عامل الوراثة في المجموعتين أو حالة معينة في الوسط المحيط (غير الفيتامين) هي التي أدت إلى هذه النتيجة.

إن قاعدة المتغير الواحد التي وضعها ميل Mill كانت ذات أهمية لا بأس بها في التجارب الأولى. ففي عام 1662 استخدم روبرت بويل Robert Boyle وهو عالم إيرلندي في الفيزياء- هذه الطريقة للوصول إلى مبدأ بني عليه قانون الغازات وهو: عندما تكون درجة الحرارة ثابتة فإن حجم الغاز المثالي يتناسب تناسبا عكسيا مع الضغط. وبمعنى آخر عندما يزيد الضغط فإن الحجم يقل، وعندما يقل الضغط فإن الحجم يزيد.

$$\frac{P_1}{P_2} = \frac{V_2}{V_1} \quad (\text{في قانون بويل فإن للضغط هو المتغير الواحد})$$

وبعد أقل من قرن من الزمان اكتشف العالم الفرنسي جاك شارل Charles Jacques A.C قاعدة مكملة للقاعدة السابقة وتعرف بقانون شارل Charles Law فقد لاحظ أنه عندما يكون للضغط ثابتاً، فإن حجم الغاز يتناسب تناسباً طردياً مع درجة الحرارة، أي أنه عند رفع درجة الحرارة فإن الحجم يزداد، وعند خفض درجة الحرارة فإن الحجم يقل.

$$\frac{1}{C} = \frac{2}{C} - \frac{1}{C} \quad (\text{في قانون شارل حيث تعتبر الحرارة (R) هي المتغير الواحد})$$

وعلى الرغم من أن فكرة المتغير الواحد قد ثبت نجاحها في بعض مجالات العلوم الطبيعية. إلا أنها لم تحرز نفس النجاح في العلوم السلوكية. فعلى الرغم من بساطتها ومنطقيتها الظاهرة، إلا أنها لم تزودنا بطريقة مرضية لدراسة المشاكل المعقدة. ذلك لأنها افترضت علاقة صناعية ومحكمة بين الأسباب الفردية والنتائج. ومن النادر أن تكون الأحداث الانسانية نتيجة عوامل مفردة، وإنما تكون هذه الأحداث عادة نتيجة تفاعل متغيرات عديدة، ومحاولة تحديد جميع هذه المتغيرات، حتى يمكن عزل واحد منها وملاحظته، قد ثبت أنه أمر مستحيل.

ومع ذلك فقد زودتنا تجارب فيشر R.A Fisher والتي أجراها في المجالات الزراعية أول الأمر - بأساليب أكثر فعالية للقيام بالتجارب الواقعية في مجال العلوم السلوكية. وكانت فكرته الخاصة هي تحقيق التساوي في الظروف (قبل إجراء التجربة) وذلك بالاختيار العشوائي للأفراد وبالتعيين العشوائي لأساليب المعالجة.

وأفكاره كذلك بالنسبة لتحليل للتباين أو الاختلاف وتحليل التغير الحادث في نفس الوقت Variance and Covariance، هذه الأفكار هي التي جعلت من الممكن دراسة التفاعلات المعقدة عن طريق تحليل المتغيرات المتعددة. والتي يمكن أن يلاحظ فيها تأثير أكثر من متغير مستقل واحد على أكثر من متغير آخر متعلق به أو متوقف عليه.

وعلى كل حال. فيمكننا أن نقول بأن الظروف المتشابهة بالنسبة لجميع العوامل، فيما عدا عامل أو متغير واحد. هذه للظروف نادرة من غير شك بالنسبة للعلوم السلوكية. وهذا ما استدعى من القائمين بالبحوث محاولة كفالة الضمانات المطلوبة حتى تؤدي هذه الطريقة إلى نتائج موثوق بها وإلى تصميم التجارب بنجاح.

3. الطريقة المشتركة، Joint Method

لعل معظم النتائج الموثوق بها في البحوث التجريبية تتحقق في الدراسات التي نستخدم فيها كلاً من طريقة الاتفاق وطريقة الاختلاف.

ومن هنا أطلق ميل Mill على هذه القاعدة الثالثة اسم الطريقة المشتركة، وبناء على هذا المبدأ، فإذا أمكن للباحث أن يستوفي شروط كل من طريق الاتفاق وطريقة الاختلاف، فإن تحديد السبب يجب أن يكون نهائياً وقاطعاً Conclusive.

واستخدام الطريقة للمشتركة يعني أننا يجب أن نطبق أولاً طريقة الاتفاق لاختبار الفرض (أي أن نحاول العثور على العامل الواحد المشترك في جميع الحالات التي تحدث فيها الظاهرة). ثم نطبق طريقة الاختلاف (أي أن نقرر أن الظاهرة لا تحدث أبداً عند عدم وجود هذا العامل المعين).. وإذا أدت كلا الطريقتين إلى نفس النتيجة فإن للباحث يكون وثيقاً إلى حد كبير أنه قد وجد السبب. وينبغي أن نشير في هذا للمقام إلى أن العالم باستير قد استخدم الطريقة المشتركة في تجاربه على الأصول البكتريولوجية (Infusoria).

4. طريقة العوامل المتبقية، Method of Residues

لقد تبين لميل Mill أن هناك بعض مشاكل البحث التي لا يمكن حلها بالطرق الثلاث السابقة، ومن ثم فقد قدم طريقة العوامل المتبقية للعثور على الأسباب عن طريق عملية الاستبعاد Process of Elimination . وهذه الطريقة تعتمد على أنه: عندما تكون للعوامل المحددة التي تسبب بعض أجزاء من

الظاهرة معروفة، فإن الأجزاء المتبقية من الظاهرة لا بد وأن تكون ناتجة عن العامل، أو العوامل المتبقية. وهذه الطريقة إذن يمكن أن يطلق عليها اسم طريقة المرجع الأخير Last Resort.

5. طريقة التلازم في التغيرات، Method of Concomitant Variations

إذا لم يكن بالإمكان استخدام الطرق التجريبية الأربع السابقة، فإن ميل Mill قدم للباحثين الطريقة الخامسة هذه، التي تدعو في الواقع إلى أنه إذا كان هناك شيان متغيران أو يتبادلان معاً بصفة منتظمة، فإن هذه التغيرات التي تحدث في واحد منهما تنتج عن التغيرات التي تحدث في الآخر، أو أن الشئيين يتأثران في ذات الوقت بسبب واحد مشترك.

ولكى يوضح ميل Mill فكرته أو مبداء هذا، فقد أشار إلى تأثير جاذبية القمر على حركة المد والجزر، التي تحدث على الأرض. ونظراً لأننا لا نستطيع أن نتناول القمر تجريبياً. وذلك بالتخلص منه - من على مسرح التجربة - لنعرف ماذا سيحدث في حالة عدم وجوده، فإن طريقة الاتفاق وطريقة الفرق سوف لا تكونان ذاتي قيمة لنا في هذه الحالة. ولكن استخدامنا لطريقة التغيرات المتلازمة، ستؤدي بنا إلى مقارنة التغيرات في حركة المد والجزر مع التغيرات في وضع أو مكان القمر بالنسبة للأرض. ونحن نلاحظ أن كل التغيرات التي تحدث في مكان القمر يتبعها تغيرات مناظرة في مكان وحركة المد والجزر العالي والمنخفض في جميع أنحاء العالم. حيث تحدث دائماً حركة المد العالي على جانب الأرض الأقرب إلى القمر، كما يحدث هذا المد العالي على جانب الأرض العكسي للجانب الأول تماماً.

وبناء على هذه الملاحظات فنحن نصل إلى النتيجة التالية:

- أ- أن حركة المد والجزر تؤثر على حركة القمر أو،
- ب- أن حركة القمر - أو تغير مكانه الذي يقوم فيه بعملية الجذب هو الذي يؤدي إلى رفع المد، أو الاحتمال الثالث التالي:

ج- أن التغيرات في مكان القمر وحركة المد والجزر تحدث بسبب عامل مشترك ينسحب على الاثنين.

ومن الواضح أن مناقشة هذه الاحتمالات ستؤدي بنا إلى الثقة في أن التغيرات التي تحدث في مكان القمر تؤدي فعلا إلى تغيرات في حركة المد والجزر، وبالتالي فإن تأثير للقمر هو الذي يتسبب في ذلك بالدرجة الأولى.

خامسا: التجربة في المختبر والتجارب مع الناس:

أ- التجربة في المعمل:

لقد اكتشف العلماء منذ زمن بعيد أن المعمل يزودهم بالجو المثالي للبحث التجريبي، ولا يعود ذلك إلى أن المعمل مكان معزول عن التأثيرات الخارجية فحسب، ولكن ذلك يعود أيضا إلى أن المعمل مكان مصمم ومجهز لهذا النوع من البحوث. ومع ذلك فينبغي أن نؤكد بأن وجود الأجهزة المعقدة الباهظة التكاليف لا يؤدي بالضرورة إلى بحث ناجح، ذلك لأن نجاح البحث يعتمد إلى حد كبير على الباحث العلمي، ونحن نذكر أن طلاب البحوث في إحدى كليات الفيزياء بالولايات المتحدة، قد استطاعوا باستخدام أجهزة غير معقدة أن يطلقوا الطاقة الذرية من عقالها، فالعقل الانساني هو العامل الأساسي لجميع أنواع البحوث التجريبية المرموقة.

ولا يعني ذلك أن أحداً ينكر أهمية تجهيز المعامل بأجهزة عالية الكفاءة، قد لا تتم التجارب بدونها، وعلى سبيل المثال فقد حاول بعض الباحثين اكتشاف طرق أفضل لتعليم الطلاب القراءة. فصمموا كاميرا للصور المتحركة، يمكنها أن تلتقط صور لشعاع من الضوء، مركز على عين المفحوص أثناء قيامه بالقراءة، وقد سجلت حركة عينيه نفسها على فيلم، حيث يمكن دراسة هذه الحركات ومقارنة الحركات المميزة للقراء الممتازين مع حركات عيون القراء الآخرين. ومن الواضح أن إجراء مثل هذه التجارب يصبح في غاية الصعوبة بدون هذه الأدوات. كما أن هناك علماء باحثين،

قاموا بتجارب غاية في الدقة والكفاءة، مستعينين بأجهزة وأساليب بسيطة التركيب والتصميم.

ب- التجارب مع الناس:

إن إخضاع الناس للتجارب المعملية أمر عسير. ولعله أمر غير مرغوب فيه أيضاً، ومن ثم كان من اللازم تدبير أساليب غير معملية لخدمة أغراض التجريب مع الناس.

ومن أمثلة هذه التجارب التي أجريت على جماهير غفيرة من الناس، تلك التجارب التي أجريت لغرض التعرف على أثر مركبات الفلورين - في منع تسوس الأسنان - عند إضافتها لمياه الشرب. وقد أجريت التجربة على مجتمعين متساويين في الحجم تقريباً. وتم تزويدهما بنفس نوع مياه الشرب، ثم أضيف الفلورين إلى مياه الشرب الخاصة بأحد المجتمعين، ولم يضاف الفلورين إلى مياه الشرب الخاصة بالمجتمع الآخر.

وقد قام الباحثون في هذه التجربة بحفظ سجلات دقيقة لمدة ست سنوات لبيان كمية التسوس في أسنان أطفال المدارس في كلا المجتمعين. وإذا كان هناك نقص ملحوظ في كمية تسوس الأسنان بين أطفال المجتمع الذي استخدم الفلورين في مياه الشرب، ولم يكن هناك نقص في التسوس في المجتمع الآخر (بشرط عدم وجود عوامل أخرى تؤثر على التجربة)، فيمكن أن نستنتج بأن إضافة الفلورين قد ساعد على حماية أسنان الأطفال.

وقد حاول العلماء إجراء التجارب على الحيوانات نظراً لصعوبة إجرائها على الناس. ومن أمثلة هذه المحاولات ما قام به إدوارد ثورندايك Thorndike من تجارب لاكتشاف كيفية "تعلم" الناس ووضع ما يمكن أن يسمى "قوانين التعلم Laws of Learning" بناء على ملاحظاته التي جمعها في تجاربه المعملية على الفئران. كما قام بافلوف Pavlov في الاتحاد السوفيتي بدراسة فسيولوجية للهضم في الكلاب، وطبق النتائج التي انتهى إليها على الإنسان.

ولعنا نقترب الآن من مرحلة تقنين وضبط طرق التجريب على الجماعات المختلفة. والتي تمدنا بطريقة للعمل تجريبياً على الناس خارج المعمل، ذلك لأن نتائج التجارب التي نتناول حيوانات المختبر، يمكن ألا تكون صحيحة إذا طبقت على الناس. أما طرق الجماعات فهي تزودنا بوسائل دراسة الناس بطريقة مباشرة. وهناك أشكال ثلاثة لطرق التجريب على الجماعات وهي:-

1- طريقة الجماعة الواحدة.

2- طريقة الجماعة الموازية أو الجماعة المتكافئة.

3- طريقة الجماعة المناوبة.

1. طريقة الجماعة الواحدة : The One – Group Method

وفي هذه التجربة التي تخص جماعة واحدة. فإن الباحث يضيف عاملاً واحداً معروفاً - أو يطرح هذا العامل - من الجماعة - (وأحياناً من الفرد)، ثم يقوم بقياس التغيير الناتج إذا كان هناك تغيير.

وعلى سبيل المثال يمكن أن تمتحن مجموعة من الطلاب امتحاناً مقنناً في القراءة. وبعد وضع الدرجات الخاصة بهذا الامتحان، تعطي هذه المجموعات دروساً خاصة في كيفية القراءة الصحيحة للمواد المختلفة وذلك خلال فترة خمسة أسابيع مثلاً. ثم يطلب إلى هؤلاء الطلاب أنفسهم تقديم نفس الامتحان السابق مرة ثانية (أو امتحان مشابه). ثم تقارن علامات الطلاب في هذا الامتحان الثاني مع علاماتهم في الامتحان الأول. وإذا كان هناك تحسن في القدرة القرائية لجميع أو معظم الطلاب. فيمكن أن نستنتج أن دروس تعليم القراءة قد كانت ذات قيمة وأنها على وجه التحديد تشكل العامل الأساسي المسئول عن التغيير في القدرة القرائية (وذلك على افتراض أنه ليس هناك أي تغيير هام قد حدث في المادة القرائية أو في طرق التعليم ذاتها من مصدر آخر خلال نفس الفترة).

وعلى الرغم من أهمية طريقة الجماعة الواحدة في إجراء البحث التجريبي، إلا أن هذه الطريقة معرضة لأخطاء خطيرة، وإذا رجعنا مثلاً إلى التجربة السابق الإشارة إليها عن تحسين القراءة، فيجب أن نحرص غاية الحرص على ألا تكون هناك عوامل أخرى قد أثرت على نتيجة التجربة (مثل حماسة المعلم أو رغبته في النتائج الطيبة أو الساعات الإضافية التي ينفقها الطلاب في التجربة أو المجهود غير العادي الذي قد يبذله الطلاب. الخ). ويجب على الباحث على كل حال ألا يخدع نفسه بأن طريقة التعليم هي وحدها السبب في التغيير.

إن الطريقة التجريبية الخاصة بالجماعة الواحدة يمكن أن تؤدي إلى نتائج مرضية للغاية، إذ أمكن التحكم في جميع العوامل التي يمكن أن تؤثر على التجربة. ولما كان ذلك أمراً قد يكون عسيراً في بعض الأحيان، لذا فقد فضل الباحثون كلا من طريقة الجماعة الموازية وطريقة الجماعة المناوبة. وذلك لضمان أكبر قدر من دقة الملاحظة.

2. طريقة الجماعة الموازية أو المتكافئة Parallel or Equivalent Group

وتسم في هذه الطريقة دراسة جماعتين في نفس الوقت، وهاتان الجماعتان لابد وأن تكونا متشابهتين مع بعضهما على قدر الامكان أي جماعتين متوازيتين. ويجب أن تكون الجماعتان متشابهتين بالنسبة للصفات المختلفة مثل مستوى الأعمار وتوزيع الجنسين فيهما ومستوى الذكاء والخلفية العائلية والخبرات السابقة بالنسبة للمواد أو للموضوعات التي تتناولها التجربة.. الخ.

ثم يقوم الباحث بعد ذلك باستخدام العامل التجريبي على جماعة واحدة فقط من الجماعتين (وهذه تسمى الجماعة التجريبية (Experimental Group) وهذا العامل التجريبي لا يستخدم بالنسبة للجماعة الأخرى) وهي الجماعة

الضابطة (Control Group) ثم تقارن المجموعتان للتعرف على أى تغيير واضح يكون قد حدث في الجماعة التجريبية.

والمشكلة الأساسية بالنسبة لهذه الطريقة هي أنه ليس هناك جماعتان من الناس متشابهتان أو متوازيتان ومتكافئتان تماماً، والفروق البسيطة والتي تبدو لا أهمية لها بين الأفراد في الجماعتين، يمكن أن يكون لها أثر تراكمي Cumulative Effect كما يمكن أن تؤدي إلى فروق هامة بين الجماعتين، وعلى ذلك فلا بد للباحث بعد محاولته تكوين مجموعتين متشابهتين على قدر المستطاع أن يقارب للجماعتين في مجموعهما (أى بحساب المتوسط average في كل منهما) ، وعلى كل حال فإن تأمين جماعتين متكافئتين ومتشابهتين لا يعتبر عملية معقدة فحسب، ولكن ذلك يعتبر صعوبة رئيسية في هذه الطريقة كذلك. إذ لابد من أن نتناول التجربة عدداً كبيراً من الأفراد حتى تكون البيانات والنتائج موثوقاً بها. وإذا كانت التجربة العملية تستلزم بالضرورة حوالي ستة أفراد مثلاً للسيطرة على مختلف جوانب التجربة، فإن النتائج التي يحصل عليها البحث بهذه الجماعات الصغيرة لا تصلح أن تكون موضع ثقة ينطلق منها التعميم على المجتمع كله إلا إذا تكررت التجربة نفسها مرات عديدة مع جماعات مختلفة، فما قد يثبت تجريبياً بالنسبة لجماعة صغيرة من الناس قد لا ينسحب على السكان جميعاً.

3- طريقة الجماعة المناوبة، The Rotation - Group Method

وتحاول هذه الطريقة تجنب كثير من المخاطر التي تتعرض لها كل من: طريقة الجماعة الواحدة وإجراءات الجماعة الموازية أو للمكافئة. ويمكن استخدام جماعتين أو أكثر في تجربة الجماعة المناوبة، على أن تكون الجماعات متكافئة على قدر المستطاع، ثم يطبق العالم التجريبي على كل جماعة واحدة بعد الأخرى. ونتيجة لذلك فإن كل واحدة من هذه الجماعات الداخلة في البحث، ستصبح مناوبة كجماعة تجريبية وكجماعة ضابطة أثناء المراحل المختلفة للدراسة.

ويمتطيع الباحث أن يقوم بتجاربه مع جماعات عديدة وليس مع جماعتين فقط باستخدامه لطريقة للتناوب المنظم في هذه الطريقة. كما أن هذه الجماعات لا تتطلب بالضرورة أن تكون متوازنة متكافئة كما هو الحال في طريقة الجماعة المتوازنة. فضلاً عن إمكانية استخدام طريقة الجماعة المتناوبة على جماعة واحدة من الأفراد. وذلك بإخال العامل التجريبي لعدد مختلف من الأفراد داخل الجماعة الكلية في أوقات مختلفة. وهناك طرق عديدة لتحقيق ذلك. حيث يقوم بها الباحث بنجاح إذا ما حافظ على الظروف والشروط التي ينبغي توافرها في التجربة الناجحة.

سادساً: الصعوبات التي يجب أن يتجنبها الباحث:

يكتنف المنهج التجريبي صعوبات عديدة، شأنها في ذلك شأن طرق البحث الأخرى وذلك بالنسبة لاختبار الفرض عن طريق التجريب ولعل أكثر هذه الأخطاء شيوعاً، هو ميل الباحث الطبيعي للاعتماد على النتائج التي يحصل عليها في تجربة واحدة. وعلى كل حال فإذا كانت التجربة قد أجريت بطريقة سليمة فإن النتائج التي يحصل عليها الباحث ستكون هي نفسها النتائج التي يتم التوصل إليها عند إعادة التجربة، هذا ويوصي البعض بتكرار التجربة ولو مرة واحدة على الأقل، إذا أردنا أن نطمئن إلى النتائج التي توصلنا إليها، وإن كان من المفضل تكرار التجربة مرات عديدة.

وهناك مصدر آخر للخطأ وهو عدم توفر الأدوات والأجهزة الدقيقة، ذلك لأن استخدام الأجهزة غير الدقيقة في التجربة كثيراً ما يؤدي إلى بيانات ونتائج غير دقيقة، وبالتالي فشل التجربة والدراسة نهائياً.

هذا ويكتشف الباحث بعد وقت قصير من ممارسته للبحث، أهمية استخدام المواد النقية في التجارب الكيميائية مثلاً وضرورة القياسات والأوزان الدقيقة أيضاً على أن يأخذ في اعتباره عند تقويم النتائج في النهاية أية تحفظات بسبب الأخطاء المحتملة.

أما بالنسبة للتجارب التي تتناول الناس، فهناك صعوبة من غير شك في تحديد جميع المتغيرات أو العوامل التي تؤثر على نتائج التجربة. إن عزل جميع العوامل التي يمكن أن يكون لها صلة بالمتغيرات التي تحدث خلال التجربة أو التحكم فيها، يعتبر أمراً مستحيلاً.

فإذا كانت هناك تجربة تتصل بأحد الأفراد، وتتطلب هذه التجربة شهراً من الزمان. فإن هذا الشخص نفسه يكون قد تغير في بعض الجوانب خلال هذه المدة، وبالتالي لم يعد هذا الشخص هو نفسه تماماً عندما بدأت التجربة. وقد تكون التغيرات طفيفة ولكنها موجودة على كل حال.

هذا ومن للعسير استبقاء الأفراد عملياً تحت المراقبة والإشراف خلال المدة التي تتطلبها التجربة. فإذا استلزمت للتجربة مثلاً استبقاء أحد الأشخاص متيقظاً بصفة مستمرة لمدة ثمان وأربعين ساعة للتعرف على التغيرات الفسيولوجية التي قد تحدث له. فهناك احتمال غفوة هذا الشخص ولو لفترات قصيرة من شأنها أن تقلل للتجربة ذاتها وتجعل نتائجها مشكوكاً فيها.

وعلى كل حال، فيجب على الباحث أن يضع نصب عينيه ضرورة التحكم في المتغيرات التي لها علاقة وثيقة بالتجربة التي يقوم بها. على أن يترك دون ضبط أو تحكم أو إشراف المتغيرات الأخرى (وهناك العديد منها) التي يبدو أنها ذات تأثير ضعيف على النتائج.

وهناك دائماً خطأ التحيز Bias سواء في القائم بالبحث أو في الأشخاص الذين هم موضع التجربة ذاتها.. ذلك لأن هؤلاء الأشخاص سينتبهون إلى دورهم في التجربة وبالتالي سيحاولون بذل جهد لنجاح التجربة. أي أن التجربة وهي صناعية بالضرورة - سوف لا تكون قريبة من الظروف الطبيعية ولا تتسحب عليها. وعلى سبيل المثال، فمن المعروف أنه عند محاولة اختبار دواء جديد، فإن الباحث يعطي لبعض الأفراد الذين يشتركون في التجربة أقراصاً من السكر أو حقن وهمية. ويعتقد بعدها هؤلاء

الأفراد أنهم قد تحسنوا كثيراً، وقد يكون ذلك حقيقة أيضاً، ذلك لأن قوة الإيحاء لدى الكثير من الناس عظيمة كذلك.

هذا ويعاني التجريب مع الأشخاص أيضاً من آثار الممارسة غير الواعية Unconscious Practice ومن العسير اكتشاف هذه المخاطر إذ كثيراً ما يتعلم المفحوص مهارات خاصة (وهذه ما يطلق عليها في البحث مصطلح أثر الممارسة) نتيجة تعرضه للعامل التجريبي مدة طويلة، وهذا في حد ذاته قد يؤدي بالمفحوص إلى إحراز علامات عالية بعد الممارسة للعامل التجريبي هذا. أي أن العامل التجريبي ذاته قد يكون له أثر في تغيير سلوك المفحوص بناء على الممارسة ويجب على الباحث ملاحظة هذه الأخطاء واتخاذ أسباب تلافيها أو حسابها في نتائجه.

وأخيراً فهناك مخاطر استخدام عدد قليل من المفحوصين في التجربة التي تتناول جماعة معينة، وعلى كل حال فيجب مراعاة المبادئ العلمية الخاصة باختيار العينة الاختيار الصحيح.

وهناك واحدة من المفكاهات التي تتناول بالنسبة لاختبار عينة قليلة العدد. أن أحد طلاب البحث المبتدئين أراد أن يختبر أثر طعام معين على الفئران البيضاء، وعند نهاية دراسته لخص اكتشافاته ونتائجه كما يلي: لقد زاد وزن ثلث الفئران المفحوصة التي تناولت هذا الطعام، ومات ثلث هؤلاء الفئران أما الفأر الثالث فقد فر واختفى ولم يستطع الباحث أن يعثر عليه.

سابعاً، ملخص:

تعتبر الطريقة التحريبية في البحث، واحدة من الطرق التي يتم فيها التحكم في الظروف والعوامل اللازمة لاختبار الفرض. ويتطلب ذلك عادة معمل أو أجهزة خاصة، وإن كان من الممكن إجراء تجارب دون الاستعانة بهذه الوسائل الصناعية.

لقد قام جون ستيوارت ميل بتحليل المبادئ الفلسفية الهامة التي يتطلبها الأسلوب التجريبي وحدد هذه المبادئ في خمسة هي:

- 1- طريقة الاتفاق.
- 2- طريقة الاختلاف.
- 3- الطريقة المشتركة.
- 4- طريقة العوامل المتبقية.
- 5- طريقة التغيرات المتلازمة.

وهذه القواعد العامة التي وضعها ميل Mill إنما تتناول الأساليب التجريبية في تجريدها، وتستخدم هذه القواعد الآن كمرشدة للباحث في تخطيطه للتجارب.

ولما كان من غير الممكن دائما دراسة الناس داخل المختبر، فقد وجدت طرق أخرى لملاحظة الناس تجريبيا في جماعات خارج المختبر. وهذه هي طريقة الجماعة الواحدة وطريقة الجماعة الموازية وطريقة الجماعة المناوبة. وعلى الرغم من أن التجارب يمكن أن تتم على أفراد معدودين، إلا أن الحاجة إلى عينة ممثلة للمجتمع ومناسبة الحجم، تعتبر أمراً ضرورياً للوصول إلى نتائج صحيحة.

والإلى جانب المخاطر العادية "بالخطأ في البحث" هناك مخاطر محددة تتعلق بالدراسات التجريبية. فكل تجربة لابد من تكرارها مرات عديدة قبل قبول النتائج التي تشير إليها، كما يجب أن تكون الأجهزة والمواد المستخدمة في التجربة في حالة طيبة ودقيقة. كما يجب للعناية الكاملة بالبحث عن جميع العوامل التي قد تؤثر على نتائج الدراسة وذلك بإخضاع هذه العوامل للتحكم والإشراف والرقابة المستمرة. وهناك مخاطر خطأ التحيز من جانب كل من الباحث والمفحوص نفسه، وذلك عندما يتكون لدى المفحوص ما يسمى "بأثر الممارسة".

وعلى ذلك فيمكننا أن نقول بأنه إذا كانت التجربة هي أكثر طرق البحث قرباً إلى العلم، فإنها لا تخلو من المخاطر.

وفي النهاية ينبغي لنا أن نؤكد بأن ذكاء الباحث وإخلاصه في عمله مع اتجاهاته الموضوعية وحرصه ودقته وصبره، هذه الصفات النوعية لدى الباحث - ليست الآلات والتجهيزات المعقدة - هي التي تؤدي إلى نتائج ناجحة في دراسات تجريبية عديدة.

الفصل التاسع

الطريقة الإحصائية والتحليل الإحصائي

الوصفي والاستدلالي

أولاً: الطريقة الإحصائية وخطواتها الأساسية:

يمكن أن يعرف الإحصاء بأنه ذلك الفرع من الدراسات الذي يهتم بالأساليب الرياضية أو العمليات اللازمة لتجميع ووصف وتنظيم وتجهيز وتحليل وتفسير البيانات الرقمية. ولما كانت البحوث بطبيعتها كثيراً ما تنتج مثل هذه البيانات الرقمية للكمية، فإن الإحصاء يعتبر أداة للقياس والبحث.

هذا ويهتم البحث في المجالات الاجتماعية والإنسانية والسلوكية بصفة عامة بنوعين من التطبيقات الإحصائية للبيانات وهي:

أ- التحليل الإحصائي الوصفي.

ب- التحليل الإحصائي الاستدلالي.

ويهتم التحليل الإحصائي الوصفي، بالوصف الرقمي لمجتمع معين، وفي هذه الحالة فليست هناك نتائج يمكن أن تتسحب على جماعة أخرى عن تلك التي تركز عليها الوصف فقط، أما بالنسبة للتحليل الإحصائي الاستدلالي فهو يتضمن عملية المعاينة Sampling والتي سبقت الإشارة إليها، أي اختيار جماعة صغيرة تمثل المجتمع الكبير Population or Universe المختار منه، على أن تكون النتائج النهائية تقريبية وداخل حدود "خطأ" محسوب إحصائياً.

وعندما بدأ الإحصاء يقوم بوظيفة أكثر من مجرد وصف البيانات والمعلومات، أي عندما بدأ الإحصاء في البحث عن الحقائق بغرض التعرف على دلالتها الواسعة العريضة واستخدام ما لفتت إليه العمليات الإحصائية بالنسبة لحالة معينة لتعميمها على حالات أخرى من نفس النوع، ووضع

النتيـؤات العلمـية - بـائـت هـذه التعميمـات العلمـية Scientific Generalizations الناتجة تعتبر ذات أهمية وقيمة بالغة في التطور الانساني.

ويمكن أن نقول بأن استخدام الإحصاء في الوقت الحاضر للحصول على التعميمات العلمية من البيانات المتوفرة [وهذه الطريقة منطقية استقرائية Inductive Method Of Logic] يتضمن للتعليل والتبرير، من الخاص إلى العام] يعتبر أهم أغراض الإحصاء. فالحاجة الحاضرة للإحصاء تتبع من أغراض البحث الأساسية وهي استخلاص القوانين والمبادئ العلمية، هذا والتطبيق السليم للطريقة الإحصائية بجانبيهما الوصفي والاستدلالي يتضمن الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماهي الحقائق التي يجب تجميعها حتى تمدنا بالمعلومات اللازمة للإجابة على الأسئلة.

2- كيف يمكن تجميع هذه البيانات وتنظيمها وتحليلها حتى تلقى ضوءاً على المشكلة؟

3- ما هو الفرض (أو للفروض) التي تشملها الطريقة الإحصائية المستخدمة؟

4- ما هي النتائج التي يمكن أن نستخلصها منطقياً من تحليل البيانات؟

ثانياً: أنواع المقاييس الإحصائية

هناك أنواع عديدة من المقاييس التي يمكن ترتيبها تصاعدياً حسب قوة المقياس وهي كما يلي:-

1. المقياس الاسمي، Nominal Scale

وهذا المقياس يحدد فقط إذا كان هناك متغيران يمكن تصنيفهما بالاسم فقط دون اعطائهما أي قيمة رقمية، ومن أمثلة هذه المقاييس تصنيف الأشخاص حسب الجنس والدين والجنسية أو تصنيف الجرائم وأنواعها،

ويعتبر المقياس الاسمي أبسط مقاييس البيانات نظراً لعدد العمليات المحددة التي يمكن تطبيقها بواسطته.

2. المقياس الترتيبي، Ordinal Scale

وفي هذه الحالة فإن الفئات التي يتعامل معها الباحث تشمل نظاماً داخلياً وبالتالي يستطيع الباحث أن يحدد الأكبر والأصغر فضلاً عن تحديد الأشياء المتساوية، ومن أمثلة هذه المقاييس درجات الطلاب (امتياز، جيد، مقبول.. الخ) وهذا المقياس أفضل من للمقياس السابق لأننا نستطيع بواسطته الترتيب حسب الحالة الاجتماعية أو التعليمية... الخ.

3. المقياس الفترّي، Interval Scale

وهذا المقياس أقوى من المقاييس السابقين وهو يعتمد على استخدام قيمة رقمية ذات وحدات متساوية، كما أن هذا المقياس يوضح مقدار الزيادة أو الفرق بين الحالات المختلفة، والمهم في هذا المقياس أن الصفر لا يعني حالة انعدام الخاصية محل القياس، ومن أمثلة هذا المقياس درجات الحرارة المتوّبة فالصفر هنا لا يمثل عدم وجود الحرارة.

4. المقياس النسبي، Ratio Scale

وهو أقوى المقاييس ومعظم المقاييس في العلوم الطبيعية هي مقاييس نسبية وذلك لقياس الطول أو الزمن. والمقياس النسبي يتميز بأن الصفر فيه يعبر عن حالة انعدام الخاصية محل القياس ومثال على ذلك قياس الأوزان بالكيلو.

ثالثاً: تنظم البيانات والتوزيع التكراري

يمكن فهم التوزيع التكراري عن طريق المثال التالي:

نفرض أن الباحث قام بتجميع البيانات التالية والتي تمثل درجات اختبار مادة مناهج البحث لعدد 50 طالب:

57	42	51	55	70
53	63	47	60	45
55	82	39	65	53
42	65	61	58	64
55	45	53	52	50
39	63	59	36	25
64	54	49	45	65
78	52	41	42	75
26	48	25	35	30
88	46	55	40	20

هذه الأرقام لا تدلنا بطريقة سريعة على الناجحين بدرجة A أو الطلاب الراسبين كما لا تساعد على الإجابة على استفسار معين خاص بضعف مستوى الصف أن امتيازهم وبالتالي فلا بد من عمل جدول تكراري.

خطوات إعداد الجدول التكراري هي:

- 1- تحديد الفئات وعددها.
- 2- تحديد طول الفئة.
- 3- تحديد عدد التكرارات لكل فئة.

1. تحديد الفئات وعددها:

أما بالنسبة لتحديد الفئات وعددها فيكون ذلك بناء على عدة اعتبارات أهمها:

أ- أن تكون قيم المشاهدات التي تخصص لفئة معينة قريبة على قدر الامكان من مركز للفئة وذلك للتقليل من الأخطاء الناتجة من عملية التقريب.

ب- أن يكون عدد الفئات قليل بقدر الامكان للوصول إلى عملية تلخيص البيانات والقيام بالتحليل الاحصائي المناسب وعدد هذه الفئات تعتمد على عدد المشاهدات، وهناك جدول محسوب رياضيا يساعد على تقدير عدد الفئات كما يلي:-

عدد المشاهدات	30	50	100	200	500	100	2000	5000
عدد الفئات	6	7	8	9	10	11	12	13

وواضح أن عدد المشاهدات هي خمسين مشاهدة [وهي عدد الدرجات التي حصل عليها الـ 50 طالب الموجودة بالجدول السابق] وبالتالي فإن عدد الفئات هو 7.

ونحن نلاحظ أن زيادة عدد المشاهدات بدرجة كبيرة لا تؤدي إلا زيادة قليلة في عدد الفئات ونادرا ما يستخدم عدد فئات أكثر من 20 فئة.

2. تحديد طول الفئة:

يتم تحديد طول الفئة بقسمة المدى العام لقيم المشاهدات على عدد الفئات، والمدى العام هذا هو الفرق بين أكبر قيمة وأصغر قيمة للمشاهدات أي أن طول الفئة في المثال السابق.

$$\text{طول الفئة} = \frac{20-88}{7} = \frac{68}{7} = 9.7 = 10 \text{ تقريبا}$$

3. تحديد عدد التكرارات لكل فئة:

نبدأ بقراءة المشاهدات بالتسلسل ثم نضع علامة أمام الفئة المناظرة وذلك كما يلي:-

أعداد الجدول التكراري

الفرق	العلامات	التكرار
30-20		4
40-30	I	6
50-40	II	12
60-50		14
70-60		9
80-70		3
90-80		2

وفي هذا الجدول تقسم الظاهرة وهي درجات الطلاب إلى فرق، والفرقة الأولى وهي 30-20 خصصت للدرجات من 30-20 درجة وعدد تكرار هذه الفرقة هو 4 وبالمثل فعدد الطلاب في الفرقة الثانية هو (6) لأن التكرار المناظر هو للفرقة هو 6.

عرض البيانات

يمكن أن نعرض للتوزيع التكراري بطريقة أفضل لتدلنا بالرسم على طبيعة التوزيع وذلك بالرسومات التالية:

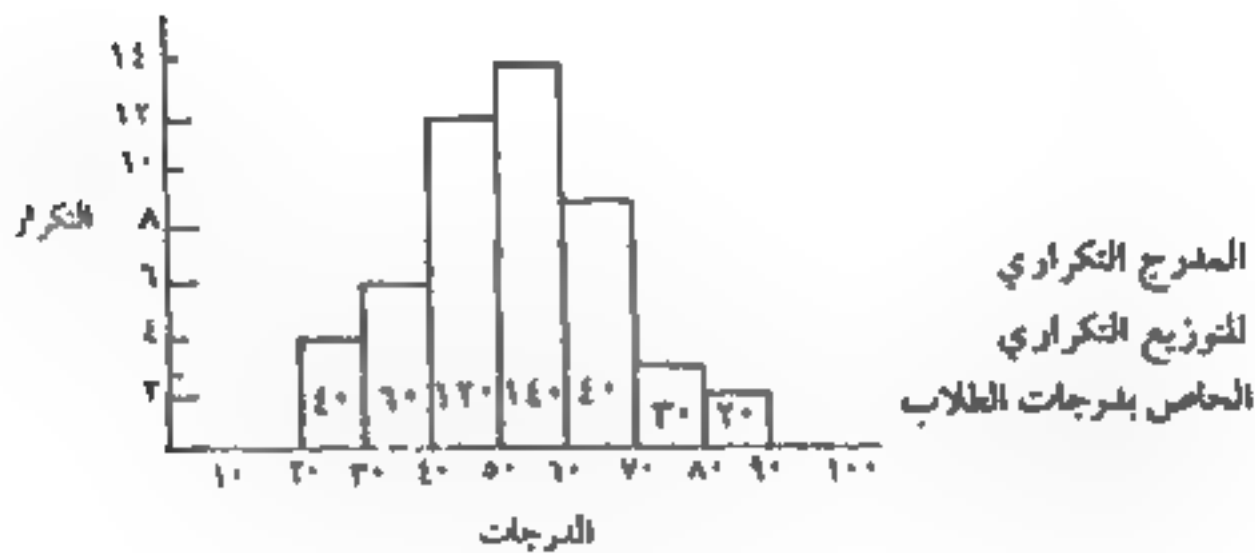
- 1- المدرج التكراري.
- 2- المضلع التكراري.
- 3- المنحنى التكراري.
- 4- المضلع التكراري المتجمع (الصاعد - النازل).
- 5- المنحنى التكراري المتجمع (الصاعد - النازل)

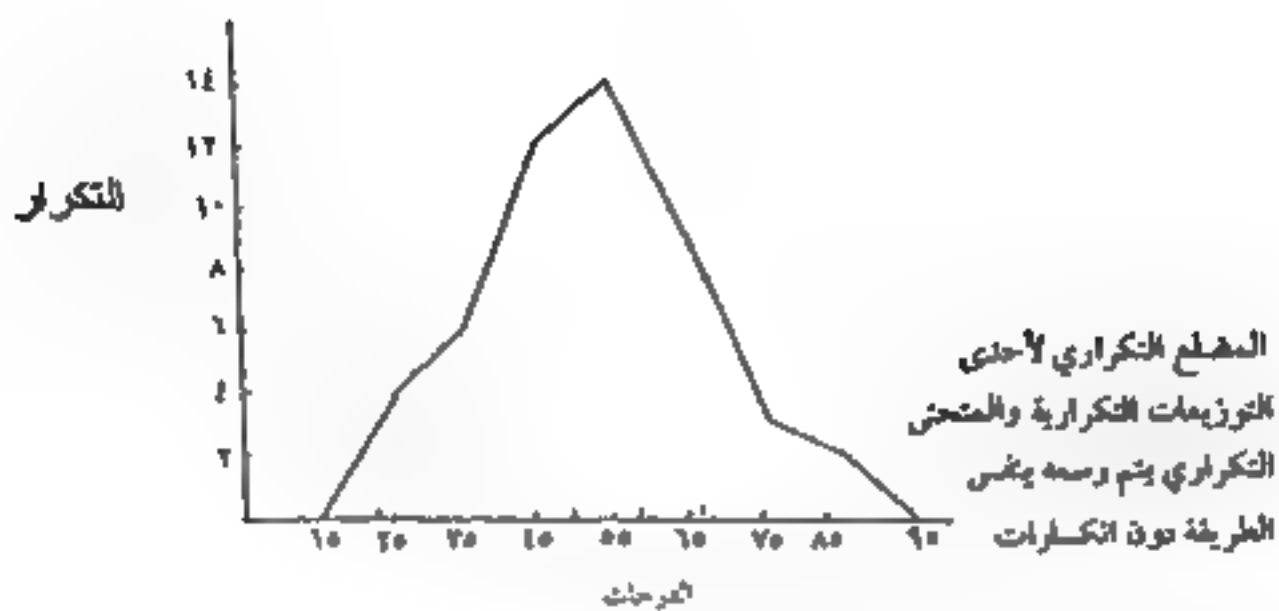
1. **المدرج التكراري:** وهو عبارة عن عدد من المستطيلات المتجاورة، ويخصص كل واحد منها لفرقة واحدة وطول المستطيل يتناسب مع تكرار الفرق، ويمكن ملاحظة المدرج التكراري للتوزيع التكراري السابق

الخاص بدرجات الطلاب في الأشكال الواردة في نهاية عرض البيانات، ويلاحظ أن المحور الأفقي يخصص للفئات بينما التكرارات تكون في المحور الرأسي، ونحن نلاحظ أن الفئات كانت بالجدول التكراري منسظمة، وفي حالة عدم انتظامها فيجب استخدام تكرارات معدلة حتى يمكن عمل هذا الرسم.

2. **المضلع التكراري:** وهو وسيلة أخرى لعرض التوزيع التكراري، ولكن المضلع التكراري يمتاز عن المدرج التكراري في أن الأول يمكننا من المقارنة بين أكثر من توزيع تكراري، وذلك في رسمها في شكل واحد، ويتم رسمه عن طريق وضع نقطة فوق مركز كل فئة، وبارتفاع يناظر التكرار المناظر للفئة، ويراعي عند رسم المضلع التكرار توصيل النقاط المذكورة بخطوط مستقيمة.

3. **المنحنى التكراري:** فكرته مشابهة للمضلع التكراري ويتم رسمه بنفس الطريقة غير أن النقاط يتم توصيلها باليد بحيث نحصل منحنى لا توجد به انكسارات كما كان المضلع التكراري وبالتالي ليس من الضروري أن يمر المنحنى من جميع النقاط.

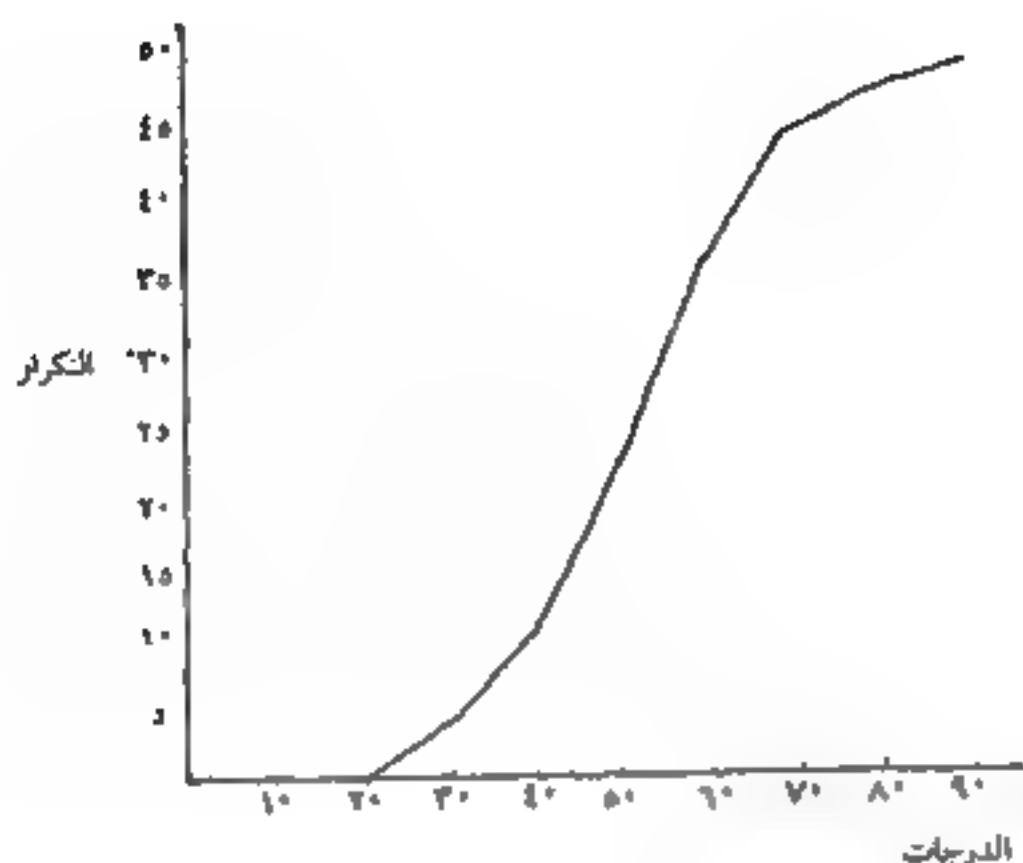




4. المضلع التكراري المجتمع

وهو يقوم بتمثيل التكرار المتجمع الصاعد (النازل) بيانياً، وفيما يلي جدول تجميع صاعد ثم تمثيله بمضلع تكراري متجمع صاعد للبيانات الواردة.

للتكرار الصاعد	
صفر	أقل من 20
4	أقل من 30
10	أقل من 40
22	أقل من 50
36	أقل من 60
36	أقل من 60
45	أقل من 70
48	أقل من 80
50	أقل من 90



5. المنحنى التكراري المتجمع:

وطريقة رسمه هي نفسها الطريقة السابقة للمضلع التكراري الصاعد (النازل)، ولكن النقاط يتم توصيلها باليد وليس بخطوط مستقيمة، أي عدم وجود تغيرات فجائية في الرسم (وبلاحظ أن التكرار الصاعد كما في الرسم السابق كان من صفر إلى خمسين والتكرار النازل يكون من خمسين إلى صفر).

نموذج سؤال واجابته:

خلال إجراء دراسة بحثية لجماعة مكونة من أربعين طالب بقسم الإعلام تكونت للعلامات التالية والتي تمثل درجات اختبارهم.

37	44	38	32	48	44	43	51	36	30
33	38	43	46	40	37	41	49	42	34
40	44	50	47	44	39	45	48	41	37
34	43	47	45	46	47	49	46	43	45

أ - المطلوب إعداد توزيع تكراري

ب- ثم إعداد مدرج تكراري معتمد على التوزيع السابق.

ج- ثم إعداد مصلع تكراري للبيانات.

د- ثم إعداد توزيع تكراري متجمع وأخيراً توزيع النسبة المئوية المتجمعة.

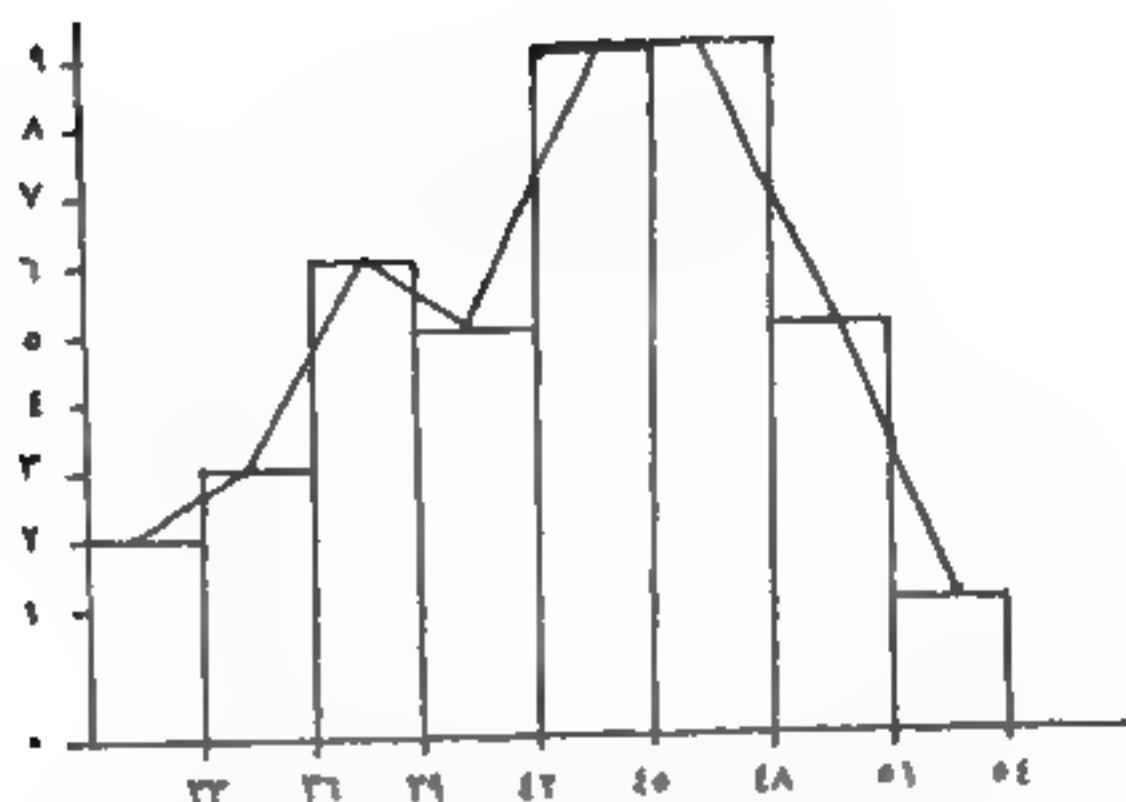
الحل:

عدد المشاهدات = 40 عدد الفئات (7) حسب الجدول

$$\text{تحديد طول الفئة} = \frac{\text{المدى}}{\text{عدد الفئات}} = \frac{30-51}{7} = \frac{21}{7} = 3$$

∴ التوزيع التكراري.

الفئات	العلامات	التكرار
33-30	II	2
36-33	III	3
39-36	I IIII-	6
42-39	IIII-	5
45-42	IIII IIII-	9
48-45	IIII IIII-	9
51-48	IIII-	5
54-51	I	1



المدرج والمضلع التكراري التقريبي

أى أن التوزيع التكراري وكذلك التوزيع التكراري المتجمع والتوزيع بالنسبة المئوية المتجمعة تكون كما يلي:-

النسبة المئوية المتجمعة	التوزيع التكراري المتجمع		الفئات
	صفر	- صفر	أقل من 30
%5	2	2	33-30
%12	5	3	36-33
%28	11	6	39-36
%41	16	5	42-39
%64	25	9	45-42
%84	33	9	48-45
%97	38	5	51-48
%100	39	1	54-51

رابعاً: مقاييس النزعة المركزية

وهذه المقاييس تشمل المتوسط والوسيط والمنوال.

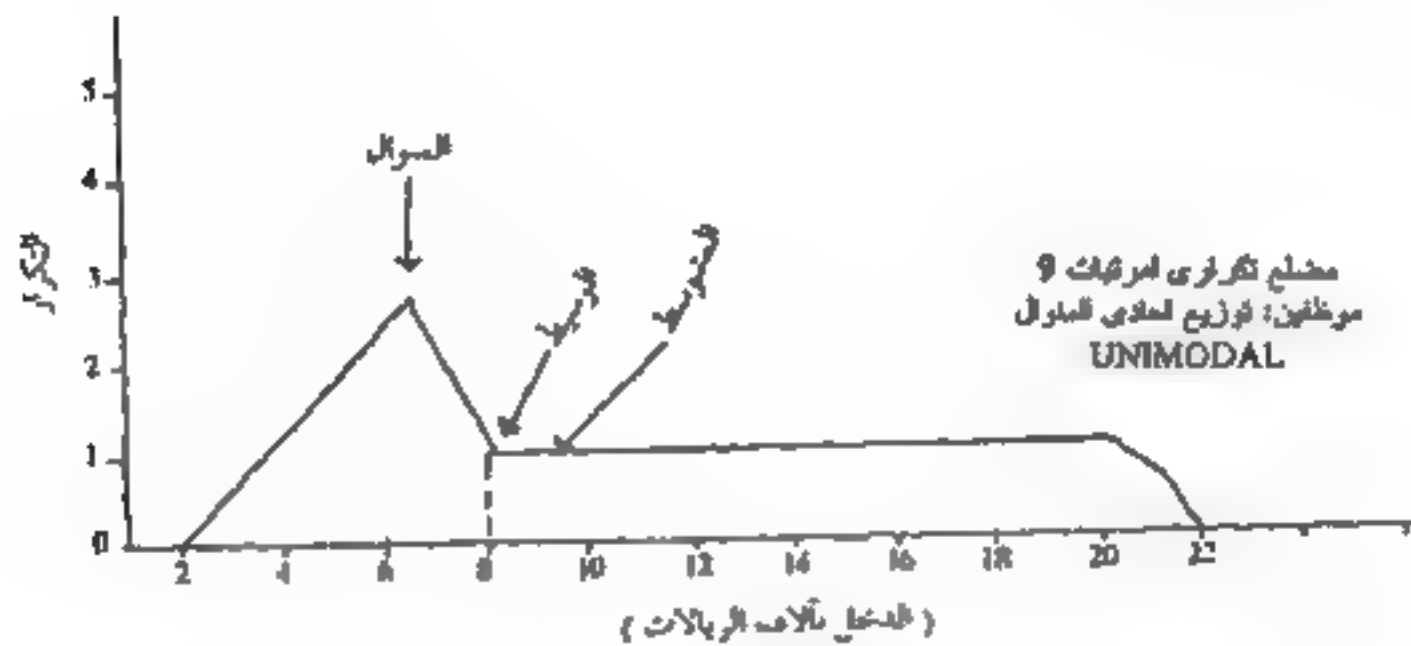
والمتوسط يحسب على أساس مجموع القيم لجميع الحالات ثم قسمة هذا المجموع على العدد الكلي للحالات.

الوسيط هو الرقم الوسط في التوزيعات التكرارية أى أعلى من هذا الرقم من عدد القيم مساوية لعدد القيم أقل من هذا الرقم.

أما المنوال فهو أكثر الأرقام شيوعاً في التوزيعات التكرارية ويمكن توضيح هذه العلاقات ببعضها في المثال التالي:

لدينا تسعة موظفين بالمركز الصحفى ورواتبهم الشهرية كما يلي:-

4.100 ريال - 6.000 ريال - 6.000 ريال - 6.000 ريال - 6.000 ريال - 8.000
- 9.000 - 10.000 ريال - 11.000 - 20.000 ريال. فما هي قيم المتوسط والوسيط والمنوال.



$$\text{المتوسط} = \frac{20.000 + 11.000 + 10.00 + 9.000 + 8.000 + 6.000 + 6.000 + 6.000 + 4.100}{9}$$

$$8.900 = \frac{80.100}{9}$$

أما الوسيط فهو (8000) لأن هناك أربع قيم أعلاه وأربع قيم أدناه، أما المنوال فهو (6000) ريال.

ويمكن أن يحتوى الرسم على أكثر من منوال Bimodal أو Multimodal وذلك عندما يكون هناك عدد كبير من الموظفين بالمركز الصحفى مثلاً، فقد يكون عدد كبير من الموظفين الإداريين يتقاضون 6000، وعدد كبير آخر يتقاضى 9000.

سؤال للتكريب:

التكاليف التالية هى لعدد ثمانية دوريات علمية فى مجال الإعلام [3200-\$ -220-\$ -140-\$ -110-\$ -40-\$ -40-\$ -35-\$ -25\$]، فأى نوع من أنواع قياسات النزعة المركزية بدلنا بطريقة أكثر دقة على متوسط تكاليف المطبوعات الثمانية؟

$$\text{المتوسط هو} = \frac{25+35+40+40+110+140+220+3200}{8} = \$476.25$$

الوسيط = \$75

المنوال = \$40

ونحن نلاحظ أنه إذا اخترنا المنوال فإن جميع التكاليف لا تدخل فى الاعتبار وفى ذات الوقت فإن المتوسط \$476.25 أعلى من عدد سبعة تكاليف من ثمانية وبالتالي فهو غير معبر عن المتوسط تماماً، وبالتالي فيتضح أن الوسيط هو أكثر القياسات صلاحية للنزعة المركزية أى أنه إذا كانت التوزيعات تحتوى على أرقام عالية جداً ولأخرى منخفضة جداً فإن الوسيط هو أكثر قياسات النزعة المركزية صحة، وقد يكون المنوال فى بعض القياسات أكثر فائدة وإن كان عادة مقياس غير ثابت نسبياً وبالتالي فيعتبر مرجع سريع لتحديد القيمة التقريبية للمتوسط.

خامساً: وظائف الإحصاء الوصفي

(1) قياسات التشتت والانحراف المعياري:

Measures of Dispersion and Standard Deviation

تدلنا مقاييس التشتت على الاختلافات من النزعة المركزية للبيانات، هذا ومدى البيانات range of Data في التوزيع التكراري، يدلنا على الفرق بين القيمتين الأعلى والأدنى، فمدى المرتبات الشهرية في الصحيفة مثلا من 300 - 1200 جنيه.. وهذا المدى يمكن استخدامه في مقارنة الاختلافات بين الدول المختلفة.

أما الانحراف المعياري فهو أكثر مقاييس التشتت أهمية، وإن كان أكثر تعقيدا وصعوبة في حسابه، والاحصائيون يفضلون حساب الانحراف المعياري، لما له من صفات رياضية هامة وهو الأساس في عمليات الإحصاء الاستدلالي أو الاستقرائي Inductive Statistics والانحراف المعياري يعكس كمية الانحراف من المتوسط بالنسبة للعلامات التي يتم ملاحظتها، وبطريقة أخرى يعتبر الانحراف المعياري الجذر التربيعي الإيجابي للتباين، وحجمه يزيد كلما زاد حجم علامات الانحراف. وهو مقياس مفيد للتشتت، لأننا في معظم علامات التوزيع، نعرف نسبة العلامات التي تقع في نطاق زائد أو ناقص واحد أو اثنين أو ثلاثة انحرافات معيارية، وتزيد فائدة الانحراف المعياري في البحث لأن وحداته في القياس هي نفسها البيانات الأصلية، والمعادلة الخاصة بالانحراف المعياري هي:-

$$S = \sqrt{\frac{\sum x_i^2}{N}}$$

حيث $\sum x_i^2$ تساوي مجموع علامات الانحراف المربعة. أما N فهي عدد الحالات

وإذا أخذنا المثال التالي الذي يظهر لنا عدد الصحفيين المهنيين في مختلف الصحف بالدول العربية (للتوضيح فقط) كما يلي:-

البلد	عدد الصحفيين	البلد	عدد الصحفيين	البلد	عدد الصحفيين
السعودية	119	اليمن	63	المغرب	85
الكويت	205	الأردن	112	الجزائر	177
العراق	238	سوريا	127	مصر	261

فلحساب الانحراف المعياري فنحن نبدأ بحساب المتوسط الحسابي أي حجم هذه الأعداد ثم قسمتها على تسعة فيكون الناتج 154 .∴ الانحرافات هي:-

- 35 ، + 51 ، + 84 ، - 91 ، - 42 ، - 27 ، - 69 ، + 23 ، + 107 وبالتالي فإن مربعات الانحرافات هي 1764 - 8281 - 7056 - 2601 - 1225 - 4761 - 529 - 11449 .

∴ الانحراف التربيعي المتوسط هو $8281 + 7056 + 2601 + 1225 -$
 $11449 + 529 + 4761 + 729 + 1764 +$

9

= 4266

∴ الانحراف المعياري هو $\sqrt{4266} = 65.3$ أي 65 تقريباً.

أي أن المتوسط الحسابي هو 154 والانحراف المعياري هو 65 ، ± 154
 $65 = 89 - 219$.

وبالتالي فنحن نتوقع سواد وجدنا فعلاً- أن الانحراف المعياري حول المتوسط يشمل خمسة من بين تسعة دول وهو تقريباً توزيع معتدل. وبالتالي فالانحراف المعياري يمكن أن يستخدم في مقارنة للمساواة أو عدم المساواة

بين اثنين أو أكثر من الجماعات، وإذا كانت الجماعات يمكن مقارنتها، فإنه كلما كان الفرق كبيراً في الانحراف المعياري كلما زاد عدم المساواة Inequality.

(2) الإحصاء الوصفي والإحصاء الترابطي

يمكن للإحصاء الوصفي أن يقيس العلاقة بين المتغيرات المختلفة في البيانات وهذا ما يطلق عليه عادة بالإحصاء الترابطي Correlational or Associational وفي هذه الحالة فهذا النوع من الإحصاء يسمح بالتنبؤ عن أحد للمتغيرات اعتماداً على متغير آخر، ولكن هذا النوع من الإحصاء لا يصلح للاستخدام لتحديد العلاقات السببية.

هذا ومعامل الارتباط Correlation Coefficient هو إحصاء ترابطي، وإن كان هذا المعامل قد يعتبر أحياناً أخرى كإحصاء استدلالي Inferential Statistics وسيشار إليه في أمثلة عن هذا النوع الأخير.

وهناك نوع شائع آخر من الإحصاء الترابطي وهو المعروف باسم الجدولة المتبادلة Cross Tabulation أو للتكرار لمتغيرين Bivariate Frequency والتكرارات لمتغيرين هذه هي منتجات جداول يتم فيها التصنيف المتبادل لمتغيرين. وتحتوي الجداول على صفوف وأعمدة، حيث تعتبر الفئات أو القيم الخاصة بأحد المتغيرات كمؤشرات للصفوف أما الفئات الخاصة بالمتغير الثاني فهي مؤشرات للأعمدة.. وعادة ما يعتبر المتغير المستقل هو المتغير في الأعمدة أما المتغير التابع فهو المتغير في الصفوف. هذا ويعتبر حساب وتحليل التكرارات لمتغيرين خطوة ضرورية لاكتشاف أو اختبار العلاقات بين المتغيرات وفيما يلي مثال كجدول متغيرين وهو عن تكرارات استخدام المركز الصحفي حسب السن:

الاستخدام السنوي للمركز الصحفي	العمر				
	12-1	25-13	50-26	أكثر من 51	المجموع
صفر - 5	6 %9	12 %15	15 %25	40 %43	73 %25
12-6	10 %16	13 %16	12 %20	35 %38	70 %24
24-13	25 %39	30 %38	12 %30	10 %11	77 %26
أكثر من 25	23 %36	25 %31	20 %34	7 %8	75 %25
المجموع	64 %100	80 %100	59 %100	92 %100	295 %100

وعند قراءة الجدول السابق فيجب أولاً ملاحظة عنوان الجدول ورؤوس الموضوعات المذكورة للتعرف على محتويات الجدول. والجدول السابق طبقاً لذلك يلخص البيانات الخاصة بالتكرار السنوي لاستخدام المركز الصحفي والعمر، كما تم تجميع البيانات في فئات لها مدى معين، وكل مدى يمثل قيمة للمتغير والمتغير في الأعمدة هو العمر وهو المتغير المستقل أما المتغير في الصفوف وهو استخدام المركز فهو المتغير التابع.

ويجب أن يراجع القارئ بعد ذلك أسفل الجدول وذلك للتعرف على مصدر البيانات للتأكد من مدى الثقة فيها، وإذا كان المصدر غير موجود في نهاية الجدول فيجب البحث عنه في المكان المناسب بالنص.

ويجب بعد ذلك أن يحدد الاتجاه الذي تحسب على أساسه النسبة المئوية، أي هل تحسب النسب المئوية حسب الأعمدة أو حسب الصفوف، وهذا يعرف بالبحث موقع النسبة الكلية 100% وفي المثال السابق فقد تم حساب النسب المئوية للأعمدة، ومن الممكن حساب النسبة المئوية في الاتجاهين أي في الأعمدة والصفوف.

ويقوم الباحث بعد ذلك بمقارنة الفرق في النسب المئوية في الجدول وذلك لتحديد درجة العلاقة - إذا وجدت - بين للمتغيرات . ويتم المقارنة عادة في الاتجاه المعاكس للطريقة التي تم بها حساب النسبة المئوية.

وفي الجدول السابق، يجب على الباحث أن يفحص النسب المئوية عبر الصفوف وذلك لتحديد إذا كان هناك تغيرات في استخدام المركز الصحفي بالنسبة للسن، وإذا نظرنا إلى الصف الأول فيمكن أن نرى أن 9% من الأشخاص بين واحد ولثنا عشر سنة استخدموا المركز من صفر إلى خمس مرات وأن 15 من الذين يبلغ عمرهم 13-25 سنة قد استخدموا المركز من صفر إلى خمس مرات.. الخ.

والفحص الشامل للصف بأكمله يدل على أن الجماعات الأكبر سناً تميل إلى استخدام المركز مرات أقل، وذلك لأن نسبة أعلى منهم تقع في فئة الاستخدام الأقل للمركز.

والنسبة المئوية في الصفوف الأخرى تميل إلى تأييد هذه النتيجة، والشذوذ الوحيد Only Anomaly الذي يجب الإشارة إليه هو ذلك الذي نجده في النسب الخاصة بالأشخاص من عمر 26-50 سنة والذين استخدموا المركز 25 مرة أو أكثر من (34%).

وهذا الشذوذ الذي يظهر أحياناً في الجداول لا يضعف بالضرورة النموذج أو النتيجة العامة ولكنه يستدعي مزيداً من التبرير المعمق لهذه الظاهرة.

هذا والأرقام في عمود المجموع تكل على النسب المئوية للأرقام الكلية Total للحالات التي تقع ضمن الرتب ranges المختلفة لأشخاص المركز.

أما الأرقام عبر الصف "المجموع" فتكل على الأعداد والنسب المئوية للأشخاص والتي حدثت في كل فئة من فئات العمر.

أما الأعداد في العمود النهائي والصف النهائي فتدل على الهوامش أو التكرارات أحادية المتغير Marginals of Univariate Frequencies وهذه وصفية في طبيعتها بدرجة واضحة.

أما الأرقام داخل الخلايا الفردية فهي جدولة متبادلة أو تكرارات ذات متغيرين وهي الأرقام التي تساعد في تحديد العلاقات، نظرا لأنها تمثل الحالات ذات القيمة المعينة لكل من المتغيرين، وعلى سبيل المثال فإن الحالات الست التي في الخلية الأولى تمثل الأشخاص من الأعمار واحد إلى اثني عشر وهم أنفسهم الذين استخدموا المركز من صفر إلى خمس مرات خلال السنة الماضية.

وبفحص هذه الأرقام، فيكتشف القارئ نموذجاً للمتغير المترامن Covariation أو العلاقة بين متغيرين، وفي حالتنا هذه فإن استخدام المركز يميل إلى النقصان كلما زاد العمر.

(3) الإحصاء الوصفي ووصف الفروق بين جماعتين أو أكثر:

يقوم الإحصاء الوصفي بوصف الفروق بين جماعتين أو أكثر من الأفراد، وهذه في الواقع ليست أكثر من حالة خاصة لإظهار العلاقة بين متغيرين.

ومثل هذه الاستخدامات للإحصاء الوصفي تتضمن عادة إجراءات النزعة المركزية، وعلى سبيل المثال، إذا قام باحث بقياس المهارة الصحفية لجماعتين من الطلاب، فمن الممكن مقارنة للعلامات المتوسطة للجماعتين، وإذا كانت الجماعتان قد تلقتا أشكال مختلفة من التعليم، فإن مثل هذه المقارنة يمكن أن توضح الطريقة التعليمية الأفضل، وأخيرا فهناك الصفتان الأساسيتان في البندين التاليين.

(4) عرض صفات متعددة من الحالات أو الأشخاص وذلك بالنسبة للمتغير أو المتغيرات التي يتم قياسها، وهذه العملية تتطلب استخدام واحد أو

أكثر من التمثيلات الخطية أو عرض البيانات كالرسومات البيانية والجداول..
وتحتاج هذه العملية إلى خبرة الباحث بكيفية عرض البيانات.

(5) تحديد للحالات المثالية في مجموعة من الحالات وهذه هي قياسات
النزعة المركزية وتشمل عادة المتوسط Mean والوسيط Median والمنوال
Mode

سادساً: التحليل الإحصائي الاستدلالي أو الاستقرائي

1/6 تقديم

يمكن أن يكون الإحصاء وصفيًا أو استدلالياً استقرائياً، وذلك بناء على
استخدام التحليل الإحصائي في الدراسة. فالإحصاء الوصفي يدلنا على
النزعات المركزية للبيانات (الوسط/الوسيط/المنوال) وعن تشتتها (الانحراف
المعياري/ الخطأ المحتمل / المنحنى المعتدل.. الخ) وعن العلاقات
(الارتباطات) التي يمكن أن توجد بين مختلف العوامل. أما الإحصاء
الاستقرائي أو الاستدلالي فهو يساعد الباحث على وضع التعميمات العلمية
من البيانات والمعلومات وكذلك التأكد من صحة هذه التعميمات بواسطة
نظرية الاحتمالات. أي أن الإحصاء الاستدلالي هذا يعتبر منهجاً للبحث لأنه
يختبر الفرض بالدليل الإحصائي ويستخدم المعاينة لاستخلاص النتائج
وتعميمها على المجتمع.

ويفضل كثير من الباحثين استخدام الفرض الصفري كوسيلة للتأكد من
أن النتائج التي يتم التوصل إليها في دراسة معينة لم تحدث بمجرد المصادفة
البحثة، أي أنه إذا ثبت أن الفرض الصفري خاطئ فإن فرض الباحث
الأصلي سيزداد قوة وتدعيماً. والفرض الصفري يعني مايلي: "ليس هناك
فرق بين اثنين أو أكثر من المجموعات بالنسبة لبعض الصفات" ويعتقد
الباحث عادة أن هناك فروقا حقيقية بين مجموعتين أو أكثر من الظواهر التي
يقوم بدراستها، وبالتالي فهو يأمل عادة في أن البيانات المجمعة ستؤدي إلى

رفض الفرض الصفري وتدعيم ما يذهب إليه من فروق بين المجموعات. والاختبار الاحصائي للفرض الصفري يتطلب تحديد مستوى الدلالة، (α) وهو عادة يكون [0.05 أو 0.01] في بحوث العلوم الاجتماعية.

هذا ويتم الاختبار الاحصائي للفرض الصفري عن طريق حساب "احتمال" أن تكون البيانات للمجموعة قد نتجت عن طريق المصادفة من علاقة "عدم الاختلاف" بين المجموعتين. وإذا ظهر أن الاحتمال المحسوب أقل من مستوى الدلالة الذي اختاره الباحث فإنه يمكن رفض الفرض الصفري بأمان.

2/6 مفهوم الاحتمال واختبار الفرض

أ- الاحتمال [p] هو رقم بين الصفر وواحد وهو مرتبط بحدوث الحدث.
ب- وإذا أعطى لحدث معين الاحتمال [1] فإن ذلك يعني أن الحدث مؤكد حدوثه.

ج- وإذا أعطى لحدث معين الاحتمال [صفر] فإن ذلك يعني أن الحدث مؤكد عدم حدوثه.

د- وإذا كان الاحتمال [p] مرتبطا بحدث ما حيث أن $1 \geq p \geq 0$ صفر وإذا تم فحص عدد كبير من الحالات فإن نسبة عدد مرات حدوث الحدث ستقرب من [p]. وعلى سبيل المثال فإذا رمينا زهرا له ستة أوجه مرات عديدة فإن نسبة الحصول على الوجه (3) ستكون مرة واحدة لكل ستة رميات لأن الاحتمال هو $p = \frac{1}{6}$.

أما بالنسبة لاختبار الفرض فيمكن ملاحظة مايلي:-

أ- يختار الباحث احتمال [α] معين [على سبيل المثال 0.01 أو 0.05] وهذا الرقم هو مستوى الدلالة Level Of Significance الخاص بالاختبار.

ب- يقوم الباحث بحساب الاحتمال [p] للبيانات التي يلاحظها وذلك على اعتبار أن الفرض الصفري صحيح.

ج- إذا كان الاحتمال المحسوب $[p]$ يزيد على مستوى الدلالة $[\alpha]$ التي اختارها الباحث فإن البيانات تعتبر غير ذات دلالة حيث أن الفرض الصفري لا يمكن رفضه، ومن جانب آخر إذا كان الاحتمال المحسوب $[p]$ أصغر من $[\alpha]$ فإن البيانات تعتبر ذات دلالة ويمكن رفض الفرض الصفري في هذه الحالة.

3/6 الإحصاء واختبار الفرض الصفري

إذا كان الإحصاء الوصفي يقوم بتلخيص ووصف البيانات (وإن كان الإحصاء الوصفي يمكن أن يقترح بعض العلاقات كما تبين فيما سبق)، فإن الإحصاء الاستدلالي يمكن أن يقوم ببعض الوظائف الأكثر تعقيداً.

فالإحصاء الاستدلالي يستخدم عادة في التنبؤ أو تقدير صفات المجتمع السذي يتم عليه البحث وذلك من خلال العينة العشوائية التي تمثل ذلك المجتمع، وكذلك يستخدم الإحصاء الاستدلالي في اختبار الفروض وذلك باستعمال اختبارات الدلالة الإحصائية لتحديد إذا كانت الاختلافات الملحوظة بين الجماعات هي اختلافات حقيقية وليست مجرد نتيجة للمصادفة.

والباحث باستخدام الإحصاء الاستدلالي يمكن أن يقيس معدل الفقد مثلاً في عينة من نشرات المركز الصحفي ثم يتنبأ بمعدل الفقد بالنسبة للمجتمع الكلي وذلك بناء على العينة الإحصائية وهذا هو الاستخدام الأول، أما الاستخدام الثاني فهو أن يقوم الباحث مثلاً باختبار العلاقة بين معدل الفقد لجماعتين من المراكز، أحدهما موجود في مركز يقدم فترة إعاره طويلة وآخر يقدم فترة إعاره قصيرة.

وعند تقييم الفرق بينهما -إذا وجد- فمن الضروري تحديد إذا كان هذا الفرق كبيراً للغاية حتى يعزى فقط للمصادفة وليس للتأثيرات في فترات الإعاره المختلفة.

ويجب أن نتذكر أن الإحصاء يستخدم لاختبار الفرض الصفري أي الفرض الذي يدل على عدم وجود علاقة، أما الفرض البحثي فهو على عكس ذلك يتنبأ بوجود علاقة (عادة علاقة إيجابية)، والفروض الصفرية ضرورية لتجنب خطأ تأكيد النتيجة التالية، أي أننا يجب استبعاد الفروض الخاطئة أو على الأصح تقبل الفروض الحقيقية، وبمعنى آخر، فإن إظهار أن (ب) قد حدثت فإن ذلك لا يعني أن نظرية (أ) صحيحة بالضرورة أو تسببت في (ب)، وبالتالي فيجب أن نستبعد النظريات الأخرى قبل أن نصل إلى النتيجة التي مفادها أن (أ) تعتبر حقيقية، هذا وتوضح أن الفرض الصفري ليس حقيقياً قبل الوصول إلى نتيجة مفادها أن هناك علاقة حقيقية، يساعد أيضاً في استبعاد الصدفة كسبب لهذه العلاقة.

والاعتراف بأن الفرض الصفري حقيقي، يعني أن أي فرق أو علاقة تلاحظ تعتبر غير ذات دلالة إحصائية وأنه يحتمل أن تكون بسبب الصدفة أو خطأ المعالجة وأنه لا يتم تأييد الفرض البحثي بناء على ذلك، كما أن رفض الفرض الصفري يعني تدعيم وتأيد الفرض البحثي.

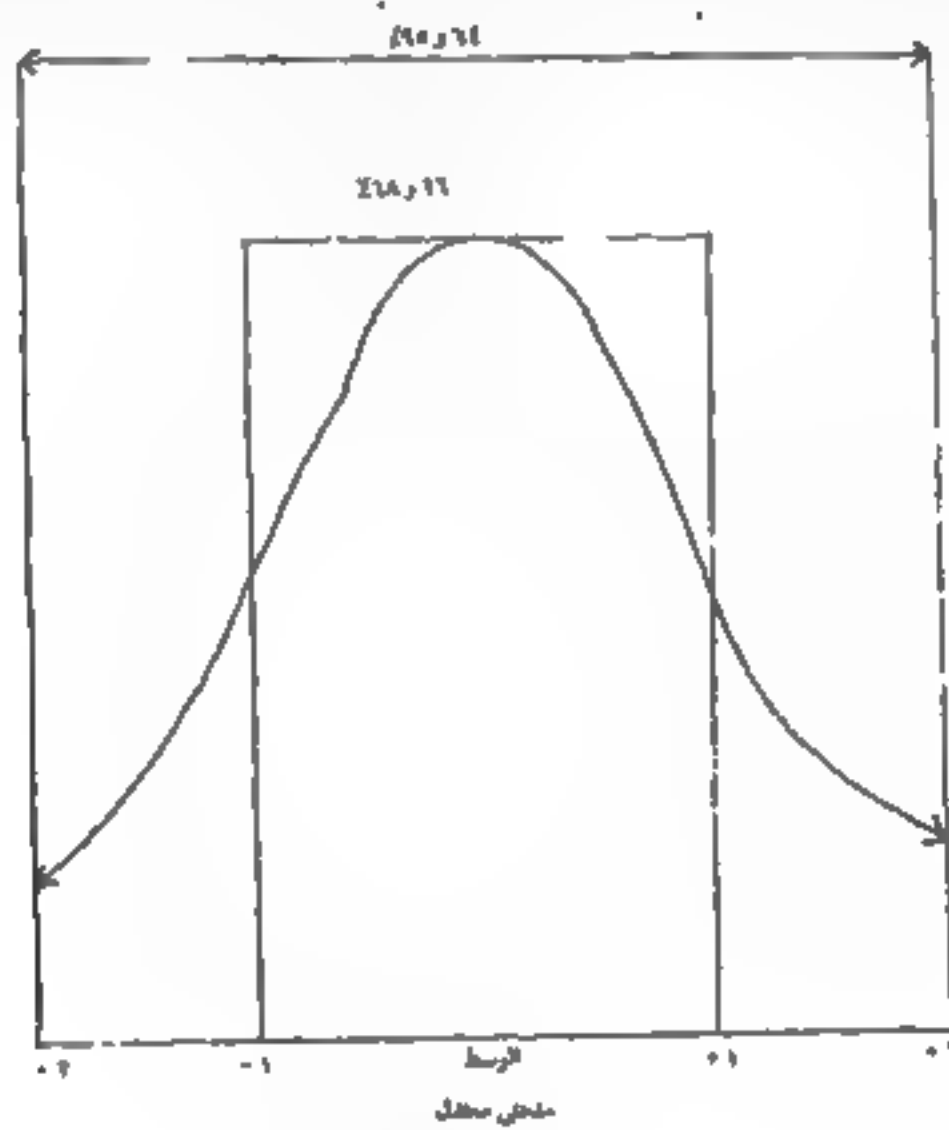
هذا والاستخدامان السابقان يعتمدان على نظرية الاحتمالات، ويجب أن يكون لدى الباحث فهم واضح لمفاهيم النظرية الأساسية، وكما يقول هانتز برجر وزميله "النظرية الرياضية للاحتمال تقدم لنا أساساً لتقييم الثقة في النتائج التي نصل إليها والاستنتاجات التي نضعها وذلك عند تطبيق الأساليب الإحصائية في تجميع وتحليل وتفسير البيانات الكمية".

وينبغي على الباحث أن يستشير واحداً أو أكثر من الكتب الأساسية في الإحصاء بالنسبة لهذا الموضوع.

هذا والإحصاء الاستدلالي نفسه له نوعان أساسيان أولهما الإحصاء أو الاختبار البارامتري Parametric وثانيهما الإحصاء أو الاختبار غير البارامتري.

سابعاً: الإحصاء البارامتري

يتطلب الإحصاء البارامتري بالضرورة افتراض وجود التوزيع (أو المجتمع) المعتدل Normal Distribution أى أن بيانات التوزيع المعتدل عند تمثيلها بالرسم فإنها تؤدي إلى منحنى متماثل Symmetrical حيث يكون فيه الوسط والوسيط والمنوال متطابقة مع بعضها، وذلك مثل الشكل التالي:-



ويذهب الباحثون في هذا المجال إلى القول بأنه إذا كانت العينة المسحوبة من المجتمع تصل إلى مائة أو أكثر من الحالات، فإن الأمر لا يتطلب التوزيع المعتدل، وفي هذه الحالة فإن توزيعات العينة (وليس المجتمعات) هي التي تكون الأساس لاختبارات الدلالة. هذا وتتطلب الاختبارات البارامتريّة عينة عشوائية كما تتطلب أن تكون البيانات التي يتم تحليلها ذات مستوى فئري أو نسبي Interval or Ratio Levels.

وتعتبر الاختبارات البارامترية أقوى نسبيا من غيرها أى أنها يحتمل أن تكتشف الفرق بين الجماعات إذا كان هناك فرق فعلا، وبمعنى آخر ففوة الاختبار ذات علاقة مباشرة بمقدرته على استبعاد الفروض الصفرية الخاطئة.

وقد أورد رونالد باول أمثلة لبعض الاختبارات البارامترية كما يلي:-

أ- اختبار Z وهو يستخدم العلامات المعيارية ويختبر الفرق بين نتائج جماعة والناتج المتوقعة بسبب الصدفة وحدها.

ب- اختبار t للطلاب وهو اختبار يمكن استخدامه بدلا من اختبار z وذلك حيث توجد جماعة واحدة فقط. ولكن بالمقارنة باختبار z فإن الانحراف المعياري للمجتمع غير معروف.

ج- الاختلاف بين المتوسطات، وهو اختبار شائع الاستخدام ويستعمل أيضا احصاء t ، وهو يبين إذا كان الاختلاف الاحصائي بين العلامات المتوسطة للجماعتين ذات دلالة من عدمه، وهذا الاختبار لا يتطلب معرفة الانحراف المعياري لمجتمع البحث.

د- تحليل التباين وهو اختبار احصائي يمثل امتدادا لاختبار الفرق بين المتوسطات وهو يستخدم إحصاء F ، وهو يختبر الاختلافات بين المتوسطات لأكثر من عينة أو جماعتين.

هـ- معامل ارتباط بيرسون Person Product Moment Correlation Coefficient وهذا الاختبار يعرف باختصار بأنه معامل الارتباط، وهو يقيس درجة الارتباط الخطي بين متغيرين، وهو يمكن أن يأخذ قيمة (-1) إلى $(+1)$ والمعامل السلبى يبين علاقة سلبية، أى أنه كلما يزيد متغير فإن المتغير الآخر ينقص، أما للقيمة الإيجابية فتدل على العلاقة الإيجابية أى أنه عندما يزيد متغير فإن الآخر يزيد أيضا أو أن الاثنين ينقصان، ومعامل

صفر أو قريب من صفر يعني أنه ليس هناك علاقة خطية بين المتغيرات، واستخدام هذا الاحصاء يتطلب بيانات ذات مستوى فترتي Interval.

ولما كان الاختبار الثالث السابق وهو الاختلاف بين المتوسطات وهو اختبار شائع فسيحاول الكاتب إيراد نموذج كمثال لهذا الاختبار.

اختبار دلالة الاختلاف بين متوسطات العينات المزدوجة

لنفترض أنه بدلا من أن نقول بأن نظام المعلومات الآلي OCLC(*) أسرع من النظام اليدوي، فإن المرات الفعلية في كل من النظامين قد سجلت وأن البيانات المسجلة هذه على هيئة (14) زوج من الأعداد كما هو الحال في الجدول التالي الذي يبين الوقت اللازم بالدقائق لاسترجاع معلومات الفهرسة من كل من النظامين:

الرقم	نظام OCLC	النظام اليدوي	الفرق بين النظامين (d)
1	06	21	1.5
2	1.2	1.3	0.1
3	08	7.2	6.4
4	28	1.3	1.5
5	13	40	2.7
6	1.2	5.1	3.9
7	48	3.4	-1.4
8	1.4	3.2	1.8
9	1.7	2.8	1.1
10	21	4.3	2.2
11	2.4	3.3	0.9
12	10	2.4	1.4
13	06	21	1.5
14	03	21	1.8
	المجموع		22.4 المجموع

(*) نظام OCLC Onlin Computer Library Center هو نظام أمريكي يهتم بالفهرسة الآلية.

ويلاحظ أن العمود الأخير على اليسار في الجدول يتضمن الفرق d بين النظامين حيث d تدل على الفرق بالنقاط بين البحث اليدوي مطروحا منه الوقت الذي يتطلب البحث بنظام البحث الآلي OCLC.

وإذا أردنا اختبار الفرض الصفري بأنه ليس هناك فرق بين استخدام أى من النظامين بالنسبة للوقت اللازم للاسترجاع، فإننا نقوم بحساب متوسط الفرق (d) بين النظامين حيث:

$$\bar{d} = \frac{22.4}{14} = 1.6 \text{ دقيقة}$$

أى أن هناك فرقا بين النظامين، ولكن هل هذا الفرق ذا دلالة إحصائية؟ ولاختبار الفرض الصفري فنحن نفترض أن الانحرافات d_i موزعة بطريقة عادية ومستقلة وبحيث يكون المتوسط مساويا للصفر.

ويمكن حساب الانحراف المعياري للاختلاف الكلي $[\delta d]$ كما يلي:-

$$sd = \left[\frac{\sum (d - \bar{d})^2}{n-1} \right]^{1/2}$$

وفي المثال أعلاه فإن الانحراف المعياري $sd = \sqrt{4.047} = 2.01$ والخطأ المعياري لمتوسط الفرق (SED) بحسب كما يلي:

$$SED = \frac{sd}{\sqrt{n}} = \frac{2.01}{\sqrt{14}} = 0.537$$

ونستطيع بعد ذلك اختبار الفرض الصفري بأنه لا فرق بين النظامين، أى أن متوسط الفرق الحقيقي (μd) يساوي صفر. ونظرا لأن الانحراف المعياري للاختلاف الكلي (δd) قد تم حسابه من البيانات المتوفرة فيمكن القيام باختبار t بدرجة حرية $N-1$ df (أى 13) وذلك كما يلي:-

$$t = \frac{(d - u d)}{SED} = \frac{(1.6 - 0)}{0.537} = 2.98$$

ولاختبار الفرض للصفرى يقارن الباحث قيمة (t) التي حصل عليها بالقيم الموجودة بالجدول الإحصائية فإذا زادت قيمة (t) عن القيمة بالجدول وذلك بالنسبة لاحتمال (P) محدد سلفاً فإن الفرض للصفرى يمكن رفضه. وفي الواقع فعند استشارة الجدول فنحن نرى أنه عند درجة الحرية (13) فإن قيمة (t) المحسوبة تكون ذات دلالة عند احتمال (قيمة α) بين (0.05 - 0.01). وبالتالي فيمكن رفض الفرض للصفرى باطمئنان عند مستوى الدلالة [05].

ثامناً: الاحصاء غير البارامترى Non-Parametric

على عكس الاحصاء البارامترى فإن الاحصاء غير البارامترى يعتبر توزيعاً حراً، أى أنه لا يتطلب افتراض المجتمع المعتدل Normal Population وبالتالي فهذا النوع من الاحصاء يستخدم للعينات الصغيرة.

ونظراً لأن هذا النوع من الاحصاء يتضمن افتراضات أضعف، فإنه يعتبر أقل قوة من الاختبارات البارامترية ويتطلب عينات أكبر للوصول إلى نفس مستوى الدلالة. (ومستوى الدلالة هو احتمال رفض فرض حقيقي، وهذا عادة يكون عند 0.5 أو 0.1) وهذا يعني أن الفرض الصفرى، أو التنبؤ بعدم وجود علاقة، يمكن رفضه، إذا كانت العينة ضمن النتائج التي يمكن أن تكون حدثت فيما لا يزيد على 5% أو 1%.

وبمعنى آخر فمستوى الدلالة الخاص بـ 0.05. يعني أن هناك احتمال أن الباحث سيرفض الفرض الذي يعتبر حقيقياً فعلاً.

هذا والاختبارات غير البارامترية تستخدم عادة -وليس دائماً- مع البيانات ذات المستوى الترتيبي Ordinal.

ويعتبر اختبار (كا2) من بين الاختبارات الهامة في الإحصاء غير البارامتري.

ويعتبر اختبار (كا2) اختباراً مفيداً لتحديد إذا كانت هناك علاقة احصائية ذات دلالة بين اثنين من المتغيرات المستقلة عن بعضها، وهذا الاختبار يستخدم عادة للدراسات السببية والمقارنة.

نموذج اختبار الفرض بطريقة الكاتربيع (الكا2):

يطبق اختبار (الكا2) في مواقف لا تهتم عادة بالتعرف على المتوسطات وانحرافات المعيارية وغيرها من القياسات المشابهة، وذلك لأن البيانات في حالتنا هذه (اختبار الكا2) تكون مرتبة وملخصة فيما يسمى بالجدول الاحتمالية، Contingency tables وكل مدخل في هذه الجداول يسمى خلية، Cell ويمكن أن يشير الكاتب للجدول التالي كمثال:

الجدول رقم (1)

الافضليات السياسية	الرجال	النساء	الإجمالي
الديمقراطيين	62	94	156
الجمهوريين	35	42	77
المستقلين	7	33	40
غير ذلك	6	31	37
	110	200	310

إن الدراسة الفاحصة للجدول تشير إلى وجود اختلافات في الجنس بالنسبة للأفضليات السياسية وإن كان عدد النساء يقرب من ضعف عدد الرجال (200 إلى 110) وإذا افترضنا أنه لا يوجد اختلاف في الجنس بالنسبة للأفضليات السياسية فمعنى ذلك أنه يجب أن يكون هناك من النساء الجمهوريين ضعف عدد الرجال، وأن يكون هناك من النساء الديمقراطيين ضعف عدد الرجال.. وهكذا بالنسبة للمستقلين وغير ذلك.

ولكن القارئ سوف يلاحظ أن ذلك ليس صحيحاً بالنسبة للبيانات التي يلاحظها Observed فلا بين الجدول عدداً من النساء ضعف عدد الرجال في

أى واحدة من الفئات، كما أننا نلاحظ أن عدد النساء المستقلات والآخرين تزيد عن توقعاتنا في حالة عدم ارتباط الأفضليات السياسية بالجنس (33 إلى 7) والبيانات في هذه الفئة بالذات يشير إلى أن النساء أكثر استقلالية في الفكر من الرجال.

والآن يمكن أن نفحص بيانات هذا الجدول بطريقة أكثر عمقا. فنسبة النساء إلى المجموع الكلي هي بالضبط [200 إلى 310] لو [64.5%]. وإذا كانت الأفضليات السياسية لا علاقة لها بالجنس فمن المتوقع إذن أن يكون هناك 64.5% من جميع الديمقراطيين من النساء، وكذلك 64.5% من جميع الجمهوريين من النساء وهكذا.. وعلى وجه التحديد أيضا فمن المتوقع أن يكون من بين الـ (156) الديمقراطيين عدد (100.6) من النساء (64.5 × 156) والباقي من الرجال.. وعلى كل حال فإن القيم المتوقعة، Expected Values يمكن حسابها بناء على افتراض أن الجنس لا تأثير له على الأفضليات السياسية [الفرض الصفري] وذلك حسب الجدول التالي:

الجدول رقم (2)

المجموع	للنساء		للرجال		الأفضليات السياسية
	للمتوقع E	الملاحظ O	للمتوقع E	الملاحظ O	
156	100.6	94	55.4	62	الديمقراطيين
77	49.7	42	27.3	35	الجمهوريين
40	25.8	33	14.2	7	المستقلين
37	23.9	31	13.1	6	غير ذلك
310		200		110	المجموع

ولكن هل الفروق بين القيم الملاحظة والقيم المتوقعة هي فروق ذات دلالة Significant أو أن هذه الفروق يمكن أن تعزى للمصادفة وللتقلبات العشوائية؟ أى هل نستطيع أن نرفض للفرض الصفري بأن الجنس لا تأثير له على الأفضليات السياسية وأن النساء في هذه العينة يميلون إلى الاستقلالية

أكثر من الرجال؟.. إن الإجابة على هذه الأسئلة يمكن أن تتم بواسطة اختبار الكا تربيع [كا2] وحسب المعادلة التالية:

$$\text{كا2} = \text{مج} \frac{(ت - ت)^2}{ت}$$

$$X^2 = \sum \frac{(O - E)^2}{E}$$

حيث مج مجموع

ت التكرار الملاحظ (O)

ت/ التكرار المتوقع (E)

وكما كانت قيمة كا2 كبيرة كلما كان الفرق بين الفئتين (الملاحظ والمتوقع) كبيرا وكذلك لابد من حساب درجات الحرية، Degrees Of Freedom (df) في جداول الاحتمالات التي نقوم بدراستها. فمجموع كل صف وكل عمود يجب أن يكون متساويا لكل من التكرارات المتوقعة والملاحظة. وهذا يضع قيودا طوليا (خطيا، Linear) على البيانات. وبالتالي فإن جميع الخلايا باستثناء واحدة في كل صف وعمود يمكن أن تختلف بحرية ومجموع أرقام درجات الحرية $df = (R-1)(C-1)$ (حيث C.R هو عدد الصفوف Rows والأعمدة Columns في الجدول).

وبعد حساب كا2 وتحديد عدد درجات الحرية فإن الدلالة الإحصائية للنتيجة يمكن الحصول عليها من الجدول الإحصائية وذلك كما يلي:-

المثال الأول: اختبر البيانات في الجدول رقم (2) السابق بالنسبة للفرض الصفري للقائل بأن الجنس لا تأثير له على الأفضليات السياسية. ارفض الفرض إذا كان الاحتمال أقل من 05 $p \leq 0.05$.

الإجابة

$$\text{كا2} = \frac{(13.1-6)^2}{13.1} + \frac{(14.2-7)^2}{14.2} + \frac{(27.3-35)^2}{27.2} + \frac{(55.4-62)^2}{55.4}$$

$$\frac{(23.9-31)^2}{23.9} + \frac{(25.8-33)^2}{25.8} + \frac{(49.7-42)^2}{49.7} + \frac{(100.6-94)^2}{100.6}$$

$$16.2 = 2.11 + 2.01 + 1.19 + 0.34 + 3.85 + 3.65 + 2.17 + 0.79 =$$

$$\text{درجة الحرية} = (1-4) (1-2) = 3$$

وباستشارة الجدول الإحصائية فنحن نرى أنه عند المستوى 0.05. وعند درجة الحرية (3) فإن قيمة χ^2 تكون ذات دلالة إذا كانت أكبر من 7.81، ونظراً لأن 16.2 أكبر من 7.81 فإن النتيجة تكون ذات دلالة عالية، أي أننا نستطيع رفض الفرض الصفري والوصول إلى نتيجة محددة وهي أن تأثير الجنس على الأفضليات السياسية هو تأثير ذو دلالة واضحة احصائياً.

المثال الثاني: الجدول التالي يلخص بيانات الإعارة في مكتبة إحدى الكليات الإعلامية، اختبر الفرض بأنه ليس هناك فرق احصائي ذو دلالة بين المواد السياسية والمواد الإعلامية للمعارة لطلاب المرحلة الجامعية الأولى وطلاب الدراسات العليا.

المجموع	المواد الإعلامية المعارة	المواد السياسية المعارة	
1200	830	370	طلاب المرحلة الجامعية الأولى
700	520	180	طلاب الدراسات العليا
1900	1350	550	المجموع

الإجابة:

لما كان طلاب المرحلة الجامعية الأولى يمثلون نسبة 63.2% [1200]

— من المجموع الكلي للإعارة فنحن نتوقع نسبة 63.2% من

الكتب (1900) السياسية للإعارة لطلاب المرحلة الجامعية الأولى (أي عدد 347.6) والقيم الباقية المتوقعة تم حسابها كما تتضح في الجدول التالي:-

المجموع	المواد الإعلامية المعارة		المواد المسببة		
	المتوقع	الملاحظ	المتوقع	الملاحظ	
1200	(853.2)	830	(347.7)	370	طلاب المرحلة الأولى
700	496.8	520	202.4	180	طلاب الدراسات العليا
1900		1350		550	المجموع

وعلى ذلك يمكن حساب χ^2 كما يلي :-

$$\chi^2 = \frac{(347.7 - 370)^2}{347.7} + \frac{(853.2 - 830)^2}{853.2} + \frac{(202.4 - 180)^2}{202.4} + \frac{(496.8 - 520)^2}{496.8}$$

$$5.63 = 1.08 + 2.48 + 0.63 + 1.44$$

هذا وعدد درجات الحرية هو $(1-2)(1-2) = 1$

وباستشارة الجدول الإحصائية يمكن أن نرى هذه النتيجة ذات دلالة عند المستوى (0.05) ولكنها ليست ذات دلالة عند المستوى (0.01) وبالتالي فإنه اعتماداً على مستوى الدلالة المختارة بواسطة الباحث، فإن النتيجة يمكن أن تؤدي إلى رفض الفرض الصفري أو عدم رفضه. وعلى كل حال فإنه عند اختيار مستوى (0.05) وهو أكثر المستويات الشائعة، فإنه يمكن رفض الفرض الصفري.

حجم العينة وتعديل ياتز Yates على معادلة χ^2

عندما يكون حجم العينة صغيراً فينبغي استخدام تعديل ياتز لحساب χ^2 كما يلي وذلك حتى يكون للبيانات دلالة احصائية.

$$\chi^2 = \frac{[n(t - \frac{1}{2}) - \frac{1}{2}]^2}{n}$$

تاسعاً: اختيار الاختبار الاحصائي المناسب

يجب أن تستجيب الاختبارات الإحصائية المختلفة للظروف المحيطة بالمشكلة قبل أن تصبح مناسبة الاستخدام وعلى سبيل المثال، فهناك بعض

الاختبارات التي تستدعي مجتمع معتدل Normal Population وبعضها الآخر يتطلب بيانات على المستوى الفكري Interval.

وقد لاحظ القارئ أن الأمثلة التي وردت قبل ذلك قد قصد بها تحليل: إما جماعة واحدة أو جماعتين ، كما أن هناك اختبارات احصائية قصد بها أكثر من متغيرين، ومثل هذه الأساليب يطلق عليها اسم التحليل المتعدد المتغيرات Multivariate Analysis.

ويجب أن يأخذ الباحث في اعتباره أيضا للهدف الأولي من البحث في اختبار الإحصاء، أي هل هو إحصاء وصفي أم إحصاء تحليلي استدلالي؟ وبعض المشكلات الأخرى تستدعي التمييز بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

وإذا لم تأخذ هذه الجوانب في الاعتبار قبل اختيار الاختبار الاحصائي المناسب فإن الاختيار غير السليم قد يبطل نتائج التحليل.

هذا ويمكن تسهيل اختيار الإحصاء المناسب باستخدام نوع من شجرة اتخاذ القرار وذلك للقيام بالعملية بطريقة منهجية، وهناك بعض الكتب المرشدة التي تساعد الباحث على ذلك.

وعند استخدام هذا الكتاب المرشد، فإن الباحث يبين أولا عدد المتغيرات التي تدخل في البحث، ثم يستمر حسب فروع شجرة اتخاذ القرار، مجيبا على الأسئلة عند كل نقطة اتخاذ قرار وذلك حتى يصل الباحث عند صندوق يحتوى الأسلوب الاحصائي المناسب للموقف.

عاشراً: بعض المحاذير الخاصة باختيار الفرض

يجب ألا يغيب عن ذهن الباحث دائما أن الاستنتاجات الإحصائية تعتمد على الاحتمالات أي أنها تؤدي إلى نتائج تقريبية أو تقديرية، وبالتالي فلا

ينبغي أن يعتمد الباحث على الدليل الإحصائي وحده للحكم على صحة الفرض من عدمه، فمثل هذا القرار يعتمد على الأسس الفكري للبحث.

كما أن للتقبل الإحصائي الواحد للفرض، لا يثبت أنه حقيقي بتأكيد مطلق، وكل ما يمكن أن تشير إليه النتائج الإحصائية أن فرضا معينا يجب ألا يرفض، وهذا من شأنه أن يعطي الفرض بعض الثقة والتدعيم.

وأخيراً يتبغى التتويه أيضاً إلى أنه للوصول للاستنتاجات السببية، فيجب أن تتوفر أدلة أكثر بكثير من مجرد وجود علاقة إحصائية. فربما تكون العلاقة عرضية وليست دائمة وقد تكون العلاقة بين متغيرين هي بسبب متغير ثالث وليس بسبب رباط بينهما.

الحادي عشر: التحليل الإحصائي والحاسب الآلي

تستخدم الحاسبات الآلية بصفة متزايدة في التحليل الإحصائي خصوصاً مع مراكز المعلومات الكبيرة ذات البيانات والأساليب الإحصائية المعقدة، وهناك برامج جاهزة للحاسبات المصغرة والحاسبات الكبيرة Main frame ولكن أكثر الأساليب المعروفة لتحليل كمية هائلة من البيانات تتضمن استخدام برامج (Software Package with Biomedical Computer Programs) BMDP وهي غير محدودة بالبحوث الطبية.

ولعل أكثر هذه البرامج الإحصائية لتساعاً هو Statistical Package for Social Sciences (SPSS) وهو يصلح للتحليل الإحصائي وكتابة التقارير والجدولة والأغراض العامة لإدارة البيانات وهو يزود الباحث بأكثر من أربعين إجراء إحصائي أساسي، من الجداول البسيطة إلى التحليل المتعلق بالمتغيرات المتعددة، وهو يشمل الرسم الملون وبرامج للحوار يسمح بالتفاعل بين البيانات والمستفيد، وهو يحتوي على ملحق يشرح إعداد بيانات OSIRIS للتحليل بواسطة برنامج SPSS.

ويجب في نهاية الحديث عن الحاسب الآلي، أن نؤكد بأن الحاسب لا يستطيع التفكير وأنه يقوم بعمل ما يريده الباحث حسب التعليمات المفصلة، وقد ظهرت باللغة العربية كتب عديدة عن الحاسب والتحليل الإحصائي ويشمل العديد من الفصول المفيدة التي تشرح المفاهيم الإحصائية وكيفية استخدام لغة الفورتران ولغة البيزيك وغيرها.

الفصل العاشر

تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية

على بحوث الاتصال والإعلام

أولاً: تكامل الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية للارتقاء بالبحث والتحليل السياسي والإعلامي:

لقد ارتبطت العلوم الإعلامية بالعلوم السياسية ارتباطاً عضوياً وعلمياً وفكرياً، ففي غياب سياسة وطنية واضحة بالنسبة للقضايا المختلفة، فإن القائم بعمليات الإعلام والاتصال، هو كمن يسبح فوق الماء بدون هدف سوى بقائه على السطح، كما أن الدعاية الناجحة في حاجة إلى هذه السياسة الوطنية كأحد شروطها المسبقة، ويصدق ذلك أيضاً على علاقة تأثير متبادل للثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلى الإعلام والسياسة بصفة خاصة.

وكل مشتغل بالإعلام وبحوث الاتصال يدرك الدور الأساسي الذي قام به عالم السياسة الشهير هارولد لاسويل في مجال الاتصال، ونحن نذكر أن طريقة تحليل المضمون - وهي أهم الطرق وأكثرها استخداماً في بحوث الاتصال، قد بدأت بإشراف هارولد لاسويل في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن، ثم أضاف عليها وطورها كثير من علماء السياسة وعلم النفس والاجتماع واللغة. وغيرهم. كما أن بحوث الرأي العام - في رأي كثير من الباحثين - هي بحوث اتصال من الحاكم للمحكوم ومن المحكوم للحاكم، ومن هنا كانت دراسة الرأي العام بصفة أساسية جزءاً من علم السياسة وجزءاً من علم الاجتماع أيضاً.

ويمكن الإشارة باختصار إلى كل من الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية، ذلك لأننا يمكن أن نعتبر الاتجاه السلوكي تاريخياً كحركة تمرد أو اعتراض داخل العلوم السياسية والإعلامية، فقد ارتبطت دراسات السلوك السياسي والاتجاه السلوكي بالعديد من علماء السياسة الذين كانوا غير راضين عما حققه علم السياسة التقليدي عن طريق الاتجاهات التاريخية والفلسفية والوصفية للمؤسسات، ويذهب العلماء السلوكيون إلى أنه من الممكن تطوير وتبني مناهج واتجاهات جديدة، تزود علم السياسة بفروض أمبيريقية ونظريات نسقية يمكن اختبارها بطريقة مباشرة تكون أكثر دقة مع إمكانية الوصول إلى مرحلة متقدمة من الملاحظات المحكومة للأحداث السياسية والإعلامية، بل إمكانية الوصول إلى علم للسياسية لا يرتباط له بالقيم Value Free Science.

أما عن الثورة ما بعد السلوكية فهي تمثل عدم الرضا العميق بالبحوث السياسية والإعلامية المعاصرة وطرق تعلمها، وهي ثورة أو حركة ليست ضد الثورة السلوكية، ولكنها تؤكد على المشكلات للمعاصرة، وعدم العودة بالبحث السياسي الإعلامي إلى المنهج التقليدي الوصفي أي أنها يتكاملان من أجل النهوض بالبحوث السياسية والإعلامية.

لقد دعا دافيد إيستن للثورة السلوكية في أوائل الخمسينيات في كتاب النظام السياسي The Political System ثم هو يدعو إلى الثورة ما بعد السلوكية في مقاله "الثورة الجديدة في علم السياسة". وقد أشار إيستن في كتابه الأخير إلى أن الثورتين لا تتناقضان مع بعضهما ولكنهما متكاملتان في مجال التحليل السياسي، بل لعل الثورة ما بعد السلوكية أن تعكس الظروف المتغيرة التي تتطلب التغيير، كما أن هذه الحركة الجديدة تدعو إلى ارتباط البحث السياسي بالفعل وبالقرار السياسي فضلاً عن ضرورة ارتباط المنهج بمشاكل المجتمع.

ثانياً: بعض جوانب المقارنة بين الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية:

1. إن تركيز اهتمامنا على دراسة المشكلات السياسية الملحة يجب أن يسبق اهتمامنا بالأساليب الفنية أو أدوات البحث المعقدة اللازمة لحل تلك المشكلات.
2. إن للعلم السلوكي يهدف إلى دراسة ما هو كائن أي أنه يخفي في مضمونه الأيديولوجي المحافظة الأميريكية، ذلك لأننا عندما نحصر أنفسنا في وصف وتحليل الحقائق فإننا بذلك نعوق فهمنا لهذه الحقائق في مضمونها العريض الواسع - ونتيجة لذلك فإن علم السياسة الأميريكي سيؤدي إلى تأييد الحفاظ على الظروف القائمة أي أن الاتجاه السلوكي يحمل أيديولوجية المحافظة الاجتماعية Social Conservatism وهو يخطو لذلك نحو التغيير بخطوات متواضعة بطيئة.
3. يفقد البحث السلوكي ارتباطه بالحقائق الكلية المتكاملة ذلك لأن جوهر التحقيق السلوكي هو التجريد والتحليل، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى إخفاء بعض الواقع السياسي الكيفي المتمثل في وزن وثقل القوي المسيطرة. إن مهمة الثورة ما بعد السلوكية هي تحطيم حواجز الصمت التي خلفتها بالضرورة اللغة السلوكية الكمية، وبالتالي فإن الحركة ما بعد السلوكية تحاول أن تصل بعلم السياسة إلى الاحتياجات الفعلية والواقعة للإنسانية في أوقات الأزمات بأبعادها الكيفية والكمية معاً، ولعل ذلك يتضح في دراستنا بالوحدة الرابعة من هذا الكتاب عن تكامل الاتجاهين للكمي والنوعي في بحوث علوم الإعلام.
4. إن البحث في مجال القيم بل وتطويرها البناء يعتبر جزءاً أساسياً من الدراسة السياسية الإعلامية، ذلك لأن أهداف العلم واستخداماته لا يمكن أن تكون حيادية وبعيدة عن القيم على الرغم من بعض الادعاءات المعارضة لذلك.

5. هناك مسئولية تقع على كاهل المفكرين والعلماء في كل من السياسة والإعلام، وهي وضع المعرفة والمعلومات التي يتوصلون إليها موضع التنفيذ، وذلك حتى يشترك هؤلاء العلماء في إعادة صياغة وتشكيل وبناء المجتمع.

ثالثاً: نماذج من الدراسات والبحوث التي تبنت الاتجاه السلوكي:

هناك في الإنتاج الفكري السياسي الحديث، العديد من البحوث والدراسات الرامية إلى إنشاء علم للسياسة غير مرتبط "بالقيمة" (Value-Free) ومن أمثلة هذه الدراسات مايلي:-

Rice, Stuart A. Quantitative methods in Politics (1969).

وهو كتاب يعتبر الأول من نوعه في استخدام المناهج الإحصائية لدراسة السياسة.

Catlin, George, E.G. The Science and the method of politics .

وقد ذهب كاتلين إلى أنه من الممكن وضع بعض القوانين في السياسة.

UNESCO. Contemporary Political Science in 1950. Truman, David. The Government Process: Political Interests and Public Opinion. (1951).

ولعل أحد الأعمال التي تعكس طرق التفكير النموذجية للمدرسة السلوكية مؤلف روبرت داهل بعنوان " مقدمة للنظرية الديمقراطية".

Dahl, Robert. A Preface to Democratic Theory. Chicago University Press, 1956.

حيث تتضمن هذا المؤلف نظريات عديدة عن الديمقراطية في شكل يتلاءم مع المنطق العلمي والتحقيق الأمبريقي.

ولعل أيلو Eulau (وهو من رواد السلوكية) قد بدأ كذلك بأفكار مماثلة عن الصياغة الأمبريقية لبعض النظريات السياسية الكلاسيكية. ويشعر أيلو

على كل حال أن المدرسة السلوكية هي استمرار للمدرسة الكلاسيكية، وليست مجرد رد فعل نقدي لها.

فالبحوث السياسية بما فيها البحوث الإعلامية كما يراها أيلو - تهتم بدراسة الأشكال والصور المميزة للسلوك على المستوى الماكروكوزمي للثقافية الكلية، وذلك قبل محاولة اكتشاف الميكروكوزم للسلوك الفردي.

وعلى سبيل المثال، فالملوك التسلطي، يمكن أن نجده في سلوك الأطفال وفي مواقف العمل المختلفة، وفي المسجد والكنيسة، كما نجد هذا السلوك التسلطي في السياسة الماكروكوزمية Macropolitics أيضا.

وعلى كل حال فالاتجاه الغالب لدى السلوكيين، هو الافادة من الانجازات الناجحة السابقة، التي قام بها الفلاسفة السياسيون، بل إن جرعة صحية من فلسفة العلم تعتبر ضرورية للاتجاه السلوكي. ومن الدراسات الهامة التي تعكس هاذ الاتجاه مايلي:-

Kaplan, Abraham. The conduct of Inquiry: Methodology for Behavioral Science. San Francisco, Chandler Publishing Co., 1964.

Deutsch, Kark W. The Nerves of Government: Methods of Political Communication and Control. New York. The Free: of Press, 1963 (Ch.3).

1. في السلوك الانتخابي ودور ممثلي الشعب ،

يمكن أن نتعرف على السلوك الانتخابي وأهمية منهج المسح في الدراسة التالية:

Lazarsfeld, Paul F., Bernard Berelson and Hazel Gaudet The People's Choice, How the voter makes up his mind in Presidential Campaign.

وقد نشرت هذه الدراسة عام 1944 وتناولت انتخابات الرئاسة لعام 1940 في أمريكا، وتلتها الدراسة التي ظهرت تحت عنوان الناخب الأمريكي

The American Voter ونشرت عام 1960 وقام بها أنجوس كامبل Angus Campbell ورفاقه. وهناك دراسة موسعة لنفس الباحثين ولنفس الموضوع ويمكن الإطلاع عليها في المرجع التالي:

Stability and Change in 1960. A Reinstating Election. American Political Science Review. 55, 1961, 269 – 80.

وليس من المبالغة في شيء أن نؤكد بأن هذه السلسلة من الدراسات قد غيرت وعمقت فهمنا لسلوك المواطنين في الديمقراطية، وتقرير كيفية اختيارهم للمرشحين، بل تقرير رغبتهم في الانتخاب أو الامتناع عن التصويت. وذلك بالنسبة للانتخابات التنافسية.

ودراسة أيلو Eulau التالية عن الممثلين في المجالس التشريعية للولايات المتحدة الأمريكية تعتبر دراسة معبرة عن هذا الاتجاه السلوكي.

Eulau Heinz et al. The Role of Representative: Some Empirical observations on the Theory of Edmund Burk. Am. Pol. Sci. Review, 53, (Sept, 1959 742 – 56).

وقد قام أيلو بوضع نماذج عديدة للمجتمع، ومن أمثلة هذه النماذج المصفوفة الاجتماعية Social Matrix للعلاقات بين الأشخاص حيث تعتبر الوحدة الأمبيريقية الأساسية هي دور الفرد. وبحوث الرأي العام يمكن أن نتعرف فيها على صورة مختلفة للأدوار الذاتية للمواطنين، أو المشرعين أو أعضاء الحزب أو الناخبين...الخ.

وفي مشروع البحث الذي قام به أيلو عن الممثلين في المجالس التشريعية فقد واجه الممثلين بنماذج الأدوار المعروفة جيداً، لكل من إدموند بيرت وروسو. ثم سألهم عن كيفية رؤيتهم لأدوارهم كممثلين. ومن الأدوار الفردية تقدم أيلو في بحثه للتعرف على الجماعات الرأسية Vertical groups ونماذج ولاءات الأفراد لهذه الجماعات بالإضافة إلى تأثير هذه الجماعات على أعضائها.

لقد قام أيلو بالدراسة على البعد الرأسي، ثم أتبعها بالدراسة على البعد الأفقي (وهي التي تكون طبقات Layers (المجتمع) والتي تخضع بدورها للبحث الأمبيرقي والدراسات التاليتان تتناولان نفس الموضوع.

Eulau, Heinz. Class and Party in the Eisenhower Years. New York, The Free Press, 1962.

Marvick, Dwaine (ed.). Political Decision Makers. Recruitment and Performance, New York, The Free Press, 1961.

2. المشاركة السياسية:

وهناك مجال آخر اعتمد على النظرة العلمية وأدت الدراسة فيه إلى نتائج موثوق فيها وذات أهمية كبيرة في فهم السياسة. وهذا المجال العام هو المشاركة السياسية Political Participation ويمكن أن نشير إلى بعض الأسئلة التي طرحها روبرت لين في دراسته عن الحياة السياسية Robert Lane on Political Life, 1959.

وكانت اجابته عليها تتميز ببعض الثقة التي نطمئن إليها، عندما نقارن معلوماتنا على نفس هذه الأسئلة منذ سنوات قليلة مضت، ومن أمثلة هذه الأسئلة مايلي:-

- من الذين يشتركون في الانتخابات وماذا يفعلون؟
- من الذين يحاولون التأثير على المسؤولين في الحكومة، وكيف يفعلون ذلك.
- من الذي يشترك في المناقشات السياسية ومن يتحدث إلى من..؟
- لماذا يكون اشتراك الطبقات الدنيا في العملية الانتخابية أقل من اشتراك الطبقات العليا؟

3. الدراسات التي تهتم بالجوانب النفسية:

وهذه الدراسات تركز على التعرف على الاتجاهات والمعتقدات وفهمها وعلى فهم خصائص الشخصية ومساحة الدراسات في هذا المجال مساحة

واسعة، وقد قام بهذه الدراسة علماء في السياسة وفي الاجتماع وفي علم النفس والإعلام وغيرهم أى أن هذه الدراسات لا تتدرج تحت علم السياسة وحده. وفيما يلي أمثلة لهذه الدراسات:

- الشخصية السلطوية Adorno et al. Authoritarian Personality
- جاذبية الشيوعية Almond. The appeals of Communism
- الشيوعية والحريات المدنية Stouffer. Communism, Conformity and Civil Liberties.
- الإنعسان السياسي Lipset. Political Man. (Ch. On Working Class Authoritarianism).

وقد يذهب البعض إلى أن اشتراك علماء من تخصصات متعددة في هذه الدراسات من شأنه أن يهدم الصفات المميزة لعلم السياسة، ولكن آخرين يرون ذلك علامة على اهتمام العلماء السلوكيين بتخطي الاختلافات ذات الأصول المهنية.

4. النظم السياسية:

أما بالنسبة لتأثير النظرة العلمية على دراسة النظم السياسية Political Systems فما زال ذلك في مراحله الأولى. ومن أمثلة هذه الدراسات التي تعكس الاتجاه السلوكي ما قام به كارل دوتش في دراسته عن القومية والتواصل الاجتماعي.

Deutsch, Karl. Nationalism and Social Communication.

كما أن هناك دراسات هامة في هذا الاتجاه تطبق المناهج المسحية في السياسة المقارنة، وذلك مثل الدراسة التي قام بها جبرائيل أوموند عن التنشئة الاجتماعية السياسية والقيم السياسية في خمس دول وهي:-

Almond, Gabriel and Verba. The Civic Culture. Princeton, Princeton University Press, 1963.

كما يمكن أن نشير إلى نظرية التحليل السياسي في مؤلفات دافيد إيستون
-Easton

A Frame work for Political Analysis. Englewood. Cliffs, N.J.
Prentice-Hall. 1965.

وإلى جانب أعمال إيستون ودويتش هناك الدراسات التي قام بها ألموند
عن الدول النامية

Almond, Gabriel and James Coleman (eds) The Politics of the
Developing Areas, (1960).

وفيها تحليل تركيبى وظيفي.

وهناك علاوة على هذا كله، دراسات اتخاذ القرارات والقوى الداخلية
في صنع القرار المحلي مثل الدراسة التالية:

Eahl, Robert Who Governs. Democracy and Power in An
American City (1961).

وأخيراً فيمكننا أن نتعرف على الدراسات التي تنتقد السلوكية فيما يلي:

Crick, I the American Science of Politics. (1959).

Storing, Herbert (ed.) Essays on the Scientific Study of Politics.
(1969).

رابعاً: البحوث السياسية والاعلامية بين المتابعة العلمية ومشاكل المجتمع:

ترفض الحركة ما بعد السلوكية الاهتمام الزائد بالأساليب والطرق
الفنية للبحث وهذا ما تنادي به الحركة السلوكية. ومع ذلك فإن أحداً لا
يستطيع أن ينكر الأهمية الحيوية للأساليب الفنية المناسبة، فبدونها يصبح من
العسير بل من المستحيل - تطوير العلم الأمبيرى في جميع مجالات
المعرفة. وعلى الرغم مما يبدىه بعض المنتمين للحركة ما بعد السلوكية من
اعتراض على التجريبات أيضاً.

هذا ويستطيع علم السياسة أن يصل عن طريق التحليل والتعرف على وحدات البحث ودقة القياسات (مادام ذلك ممكناً) إلى المعلومات الموثوق بها عن احتياجات ومشاكل المجتمع.

لقد دعا إيسن في مؤلفه "النظام السياسي" إلى الإفادة من النظريات الأمبيريقية في البحوث السياسية، ولكن هذه البحوث تميل رويداً رويداً إلى أن تكون مجردة وبعيدة في تفصيلاتها عن القضايا العلمية للحياة اليومية.

ومن هنا فقد دعا إيسن إلى مزيد من الاهتمام بربط هذه البحوث بأزمات العصر.

وهنا يبرز سؤال أساسي وهو: هل يمكن أن يكون البحث السياسي الأساسي مرتبطاً بالمتابعة العلمية المجردة ومرتباً في ذات الوقت بمشاكل المجتمع وأزماته؟

إن الإجابة على هذا السؤال عسيرة ومعقدة. والطريق مازال طويلاً في محاولتنا الوصول إلى نظرية عامة General Theory تشرح لنا السؤال المطروح، وكل ما لدينا في النظرية السياسية هو الخطوات الأولى الصغيرة في طريق بناء النظرية، وما قام به العلماء السلوكيون من وضع النماذج والبدائل من وضع النماذج والبدائل الخاصة بالتخيل السياسي (النظم Systems الوظائف Functions الثقافة Culture الألعاب Games، المحاكاة Simulation، النماذج الاقتصادية Economic Models ..). إنما هو محاولة لوضع الإطار النظري للتحليل السياسي، ومحاولة إيجاد الروابط والعلاقات بين المتغيرات. ولكننا مازلنا في المراحل البدائية جداً بالنسبة لبناء النظرية وليس هناك نظرية مقبولة من أكبر عدد من العلماء السياسيين. أي أن اختبار المدخل النظري Theoretical Approach مازال أمراً مفتوحاً للمناقشة وهذا في حد ذاته يعكس ويميز العلم "غير الناضج": Immature Science.

ومن هنا يصبح من المرغوب فيه تبني المعايير اللازمة لاختيار المدخل النظري الذي يساعدنا على حل للمشاكل الاجتماعية التي تواجه

مجتمعنا على أن يكون هذا المدخل النظري صحيحاً وكافياً من وجهة النظر العلمية أيضاً.

ويرى إيسن في استعراضه للمداخل النظرية في الحياة السياسية أن تحليل النظم Systems Analysis في صياغته العامة يمكن أن يسهل البحث حول القضايا الاجتماعية العملية وأن طريقة التحليل هذه تفسر لنا النظام السياسي بمدخلاته ومخرجاته، أي بالعناصر والاحتياجات والمتغيرات الداخلة فيه وبالنتائج والأهداف ثم برجع الصدى Feedback ويدخل في نطاق الدراسة في علم السياسة إسهام السلطات التنفيذية والتشريعية والإدارية في الوصول إلى نتائج معينة وعلاقة سلوك هذه السلطات بجماعات المصالح المنظمة وبالرأي العام وبغيرها من العناصر.

وخلاصة هذا كله أننا يجب أن نبحث عن النظريات الأساسية التي ينطبق عليها معايير الدلالة العلمية ومعايير الفائدة الاجتماعية. ولعل "تحليل النظم" يعتبر أهم تلك المداخل النظرية التي تنطبق عليها المعايير المطلوبة في المستويين العلمي والاجتماعي، وهذا ما كان في ذهن إيسن عندما دعا إلى ربط البحوث الأساسية بمشاكل المجتمع وأزماته المعاصرة.

لقد اعترف إيسن بأن نظريته تحولت بطريقة جذرية بالنسبة لأولويات الاهتمام بالعلم التطبيقي في مجال العلوم السياسية بل والاجتماعية بصفة عامة على أن يأخذ التطبيق في اعتباره الظروف التاريخية المتغيرة.

وعلى إيسن ذلك بأن كتابه النظام السياسي The political system قد أعد بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ولأن المهام التي تواجه المجتمع والعلوم السياسية كانت في وقت كتابه المذكور. ولقد اكتسب علم السياسة خلال الخمسينيات والستينيات نظريات أمبيريقية ومعارف جديدة تتميز بقدر أكبر من الثقة بإتباع الحركة السلوكية. وبالتالي فلم تكن الدعوة لها والدعوة لإتباع المنهج العلمي دعوة في الصحراء.

ولكن نوعية المشاكل التي تواجه عالمنا اليوم تدعونا إلى التركيز على البحث السياسي والاجتماعي والتطبيقي، بما يتطلبه من جهود مباشرة لحل

تلك المشاكل التي لا تستطيع الانتظار حتى يتم تجميع المعلومات الأساسية الكافية عن طريق البحوث الأساسية.

وهنا ينبغي أن نؤكد على أن حل مشاكل المجتمع بالاهتمام بالدراسات التطبيقية لا يؤدي إلى اضمحلال العلوم الأساسية، بل على العكس من ذلك. فإن الزيادة في البحوث للتطبيقية قد استتبعت زيادة في العلوم الأساسية أيضاً ولكن العكس ليس صحيحاً.

هذا ويذهب إيستن إلى أنه ليس هناك ما يدعو إلى اتخاذ الموقف العلمي المثالي للسلوكية والذي يؤخر التطبيق انتظاراً للمزيد من البحوث الأساسية المستقبلية كما أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن الثورة السلوكية نفسها لم تكن مفهومة فهماً صحيحاً من قبل الدارميين لعلم السياسة وما زلنا نصارع في معناها وحدودها، ومع ذلك فنحن في حاجة إلى أن نحول مآلدينا من معلومات محدودة إلى شكل يخدم أغراض اتخاذ الفعل السياسي (Political Action).

ولكن هناك بعض الصعوبات التي تقف في طريق تطبيق معارفنا. يمكن أن نذكر منها:

1. أن المشاكل الاجتماعية المعاصرة تسبق وتزيد على مقدرة علم السياسة وحده أو بالتعاون مع غيره من العلوم الاجتماعية في حلها. فمعلوماتنا الأساسية نفسها مازالت محدودة. وما زال القدر المحدود عاجزاً عن حل القضايا الاجتماعية العلمية بطريقة مباشرة.

2. أن مقدرتنا على إيجاد العلاقات السببية بين مشورتنا وحكمنا كعلماء للسياسة، والنتائج التي تسفر عنها تلك المثورة في النواحي الاجتماعية مازالت محدودة، وهناك بعض الجهود التي تحاول تصحيح هذا الوضع للتعرف على وجه أكبر من الدقة - تأثير تدخلنا في العمليات الاجتماعية.

3. أن علم السياسة وحده لا يستطيع تقديم الحلول للمشاكل الاجتماعية. وذلك لأن هذه الحلول تتطلب المعرفة المتخصصة للعلماء الاجتماعيين

الآخرين ومهاراتهم، وواقع الأمر يشير إلى أن صناع السياسة نادراً ما يطلبون استشارة الفريق المتكامل للعلماء الاجتماعيين.

هذه وغيرها كثير من الصعوبات التي تقف حجر عثرة في سبيل تطبيق معارفنا بالنسبة لمواقف اجتماعية محدودة. ولعل هذه الصعوبات قد أسهمت في الوضع المتدني للعلم التطبيقي، فضلاً عن أن البحوث التطبيقية المحدودة لا تستعين في أحيان كثيرة بالعقول العلمية الكبيرة.

خامساً: افتراضات القيمة والتزامات المهنة السياسية الإعلامية:

إن الرسالة التي تدعو لها مدرسة ما بعد السلوكية هي أن بحوثنا لا ترتبط لها بالمشاكل والأزمات المعاصرة، كما أن انشغالنا الزائد بالأساليب الفنية وبوصف الحقائق قد أبعدنا عن القضايا ذات الدلائل الهامة المتعلقة بالنظام الديمقراطي على وجه الخصوص. لقد تعلمنا كثيراً عن النظام ولكن هذا التعليم يدور في نطاق وفي إطار قيم معينة تقبلناها على اعتبار أنها قيم مرضية وتحتاج فقط إلى تحسينات طفيفة، كما أثبتنا في دراسة السياسة أننا غير قادرين على البعد عن التزامنا بنظامنا السياسي ونرى المدرسة ما بعد السلوكية أن هذا الخلل البحثي myopia قد أعاقنا عن وضع الأسئلة الصحيحة اللازمة لاكتشاف القوى الأساسية التي تشكل صنع صياغة وتنفيذ قرارات السلطة.

والمدرسة ما بعد السلوكية تنبهنا مرة أخرى إلى ما اكتشفه كثير من المفكرين من قبل أمثال ماركس وويبر ومناهيم وغيرهم من أن جميع البحوث -سواء كانت بحثة أو تطبيقية- تركز بالضرورة على بعض الافتراضات القيمة، إلا أنه من العسير أن نصل إلى علم اجتماعي وسلوكي متحرر من القيمة ذلك لأن الموضوعات التي نختارها للبحث والمتغيرات التي نخضعها للتحقيق والبيانات التي نجعلها والتفسيرات التي نخرج بها، هذه كلها ليست نقية بل هي تختلط بالافتراضات القيمة التي نؤمن بها بوعي أو بدون وعي.

هذا وتشير الإحصائيات الدقيقة عن مجالات البحوث السياسية والإعلامية إلى قلة البحوث التي تتصل بالأزمات المعاصرة التي تواجهها مجتمعاتنا كمشاكل التحضر والصراعات العرقية والفقر والعنف ومغامرات السياسة الخارجية وعدم استطاعة الديمقراطيات الغربية استيعاب هذه الأزمات وتوقعها والتعبير عن المطالب السياسية ومشاكل توزيع القوى داخل النظام الديمقراطي من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتجنب العنف كوسيلة للتعبير. وأخيراً فإن الدراسات السياسية الحديثة التي تتصل بالتنشئة الاجتماعية السياسية قد حاولت اكتشاف إسهام التعليم السياسي للأطفال في استقرار النظم السياسية وتجاهلت الوظيفة الهامة للتنشئة الاجتماعية المتعلقة بالتغيير السياسي.

ويمكن أن نشير أخيراً إلى أن الوضع الحالي للبحوث الأساسية السياسية إنما يعود في بعض أسبابه إلى تردد العلماء السياسيين في تناول القضايا والموضوعات الحساسة ومناقشة الافتراضات القيمة التي يؤمن بها غالبية المجتمع والخروج من ذلك بتفسيرات ونتائج قد لا ترضي الأغلبية أو النظام الحاكم.

وإذا كان عزوف العلماء السياسيين وتردده في تناول المشاكل التي تمس مشاعر المجتمع أو النظام حقيقة؟ فما هي وسيلتنا لتحطيم القيود المفروضة على البحوث الأساسية نفسها والمحصورة ضمن إطار معين من القيم وكيف نستطيع أن نخلق الظروف التي تساعدنا على طرح الأسئلة الأساسية المتعلقة بكيفية عمل النظم السياسية.

إن مجرد وعينا بهذا النقص لا يحل المشكلة، ذلك لأننا في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في اتجاهاتنا البحثية نحو نظرية القيمة بنفس الحماس وفي ذات الوقت الذي نقوم فيه ببناء النظرية الأمبيريقية، وإذا كان علم السياسة قد قطع شوطاً لا بأس به في النظرية فما زال في بدايته بالنسبة للبناء الخلاق للبدائل السياسية في مجال القيمة، نحن في حاجة إلى التنظير التأملّي الشجاع القادر على الإضافة إلى وليس رفض- النتائج التي توصل إليها العلم

السلوكي المعاصر، أى أن نكون مستعدين لاستخدام هذه النتائج التي توصل إليها العلم السلوكي المعاصر، أى أن نكون مستعدين لاستخدام هذه النتائج في الحياة السياسية على ضوء الإطارات للقيمة البديلة.

لقد فشل فلاسفتنا وعلمائنا في إعادة بناء أطر القيمة بحيث تتفق مع الظروف المعاصرة وبحيث يمكن لاختيار هذه للقيم مع أشكال جديدة من النظم السياسية، وذلك لأن هذه النظم ينبغي أن تستجيب بطريقة أفضل لمتطلبات مجتمعنا السيرناتبيقي الصناعي للمعرفي ولعلنا بهذه الخطوة الجديدة سنتحرر من الغشاوة المهنية Occupational myopia التي تركز انتباهنا الزائد نحو التعرف على الحقائق كما هي، لا كما ينبغي أن تكون، أى أننا في الاتجاه الجديد سوف لا نقع في حفرة المحافظة الأميريكية Empirical Conservatism.

وسوف لا يلتزم الاتجاه الجديد بالحفاظ على نظام سياسي معين وهو الاتهام الذي توجهه مدرسة ما بعد السلوكية إلى الاتجاهات البحثية الأخرى وهو اتهام لا يخلو من الصحة والعدالة من غير شك.

أما بالنسبة للالتزامات المهنة السياسية الإعلامية فهناك ملاحظة بالنسبة لعلماء السياسة الذين يعملون كمستشارين للحكومة، إذ يعد هؤلاء لارضاء الاتجاهات الحاكمة والفوقية. والتطورات الاجتماعية والتكنولوجية والمعرفية الخطيرة التي تبلورت في السبعينيات وما بعدها تفرض على علماء السياسة التزاماً جديداً يتمثل في الاشتراك الفعلي والإيجابي والنقدي للسياسة المعاصرة بدلاً من الوقوف موقف المتفرج أو الناصح من بعيد.

وإذا كانت الحركة السلوكية قد أدت إلى انفصام بين المعرفة السياسية والفعل السياسي، فإن المدرسة ما بعد السلوكية تدعو إلى إزالة الفواصل بين البحوث البحثية والخدمة الفعلية في المجتمع، وأصول ما بعد السلوكية إذن تعود إلى الفلسفة اليونانية التقليدية وإلى كارل ماركس وإلى جون ديوى وإلى الوجودية الحديثة Modern Existentialism.

وهناك بعض المعايير التي يمكن أن يتبناها الباحثون الذين يؤمنون بالمدرسة ما بعد السلوكية وأهم هذه المعايير اعتبار المفكر السياسي حارماً

للقيم الإنسانية الرفيعة والتحقق من أن الباحث السياسي يفيد بخبرته المجتمع كله وليس الجزء المحفوظ فيه، أي أن التزامات الباحث تتصل بالمصالح العريضة للمجتمع كله.

لقد رأى كثير من الباحثين ممن يؤمنون بالمدرسة ما بعد السلوكية وبعد تمحيصهم لنشاطات العلماء في السنوات الأخيرة أن مهارات العلماء السياسيين وكتاباتهم قد وضعت إلى حد كبير في خدمة صفوة المجتمع في الحكومة والمصالح التجارية أو العسكرية أو المنظمات الأخرى. أما الأقليات العرقية أو الكثرة الفقيرة في الداخل، أو الشعوب المستعمرة في الخارج، هؤلاء لا يهتم بهم علماء السياسة في الغرب، ومسئولية علم السياسة الاجتماعي هي تصحيح هذا الوضع، ذلك لأن الإصلاح أصبح لا ينفصل عن المعرفة. ومن الواجب تسييس المهنة. حتى يستخدم المهني السياسي معلوماته من أجل المجتمع. والأمر ينطبق كذلك على المجتمعات المهنية التي ينبغي أن تتخذ مواقف واضحة بالنسبة للمسائل العامة. وإن كان ذلك قد لقي معارضة كبيرة.

ويقترح إيسن إنشاء اتحاد للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية، وعلى ألا يكون هذا الاتحاد مجرد صدى للأهداف الوطنية أو أداة للسياسة الرسمية الحكومية. وعلى أن يلتزم العلماء الاجتماعيون داخل هذا الاتحاد بأعرض وأوسع القيم الإنسانية التي لا ترتبط بوطن معين.

وأخيراً فمن الواضح أن الزمن المتغير يتطلب منا إعادة التفكير الجذري فيما نحن فيه، وما نريد أن نكون عليه سواء في دراستنا وفي مهنتنا. والمدرسة ما بعد السلوكية هي اتجاه يكشف عن الجهد الرئيسي نحو تحقيق هذا الهدف وهي لذلك ليست محصورة في قطاع معين أو جامعة معينة أو في أيديولوجية سياسية معينة. إنها تؤيد وتوسع المناهج والأساليب السلوكية وذلك بأن تجعل تطبيقاتها أكثر اتصالاً بمشاكل العصر وأزماته. وهي بذلك تعتبر أكثر الحركات حداثة وإسهاماً في مجال العلوم السياسية وبالتالي فهي ليست تهديداً أو خطراً نخشاه. ويمكن لنا أن نبني على هذه الحركة أو نعدلها أو

نرفضها. ولكن إهمالها يعتبر أمراً مستحيلاً. فهي حركة تتحدى مناهج بحوثنا المعاصرة التي لا تتصل بأزمات العصر ومشاكل الملايين.

سادساً: الثورة ما بعد السلوكية والعلاقات الدولية والإعلام الدولي:

يمكن في عبارة موجزة أن نصف هذا الاتجاه ما بعد السلوكي بأنه محاولة لمزج التركيز السلوكي الخاص بالنظرية والمنهج، بالاهتمام التقليدي بالتحليل وحل مشاكل السياسة الدولية المعاصرة.

هذا وهناك اتفاق بين المشتغلين بالبحوث والدراسات في مجال العلاقات الدولية على تحول جانب كبير منها نحو الاتجاه السلوكي، وذلك على يد ريتشارد سنايدر Richard Snyder ومورتون كابلان Morton Kaplan وكارل دوتش Karl Deutsch وغيرهم. وعلى الرغم من أنه ليس هناك دلائل تشير إلى تغيير في هذا الاتجاه، إلا أن هناك دلائل على عدم الرضا بالسلوكية، ولعل ذلك يرجع على الأقل إلى هجوم هادي بول Hadley Bull الشهير ضد السلوكية في عام 1966.

وإذا كانت المدرسة ما بعد السلوكية تنظر إلى المستقبل لا إلى الماضي، فإن كتابات كل من فرويد وارنر نيل وبروس هاملت يمكن أن تكون في الاتجاه ما بعد السلوكي ذلك لأن كلا منهما قد دعا إلى ارتباط أكبر في مجال الدراسات الدولية- بالمشاكل الحقيقية والأزمات الفعلية ذات المحور الإنساني بدلاً من الانشغال الزائد بالنظرية والمنهج وبتجميع البيانات كهدف في حد ذاته، وقد اقترحا موضوعات تتصل بالتعاون بين الدول الأعظم والدول النامية وديناميكية التعايش بين النظم السياسية ذات الأيديولوجيات المختلفة.

وظهر بذلك اتجاه لإنهاء ما تدعو إليه السلوكية من فصل بين البحث النظري والأمبيرقي، وذلك لأن علم العلاقات الدولية يتطلب تعزيز تأثير النظرية التي يتم اختيارها بالأملوب الأمبيرقي، كما أن تحليل البيانات والمعلومات يجب أن يوجه بواسطة الافتراضات النظرية أيضاً.

وهناك جانب آخر من العلماء السلوكيين في مجال الدراسات الدولية ممن اعترفوا بالحاجة إلى هضم وتقييم المنجزات العلمية التي تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل العالم السلوكي بورس روزت Bruce, Russett ذلك لأن هناك بيانات ومعلومات كثيرة تجمعت من وراء الاتجاه السلوكي. ولكن أحداً لم يهتم بتحليل تلك المعلومات وعلاقتها بالمشاكل والأزمات الفعلية للإنسان، أو لأن هذه المعلومات لا علاقة لها بالمشاكل الحقيقية المعاصرة.

ولقد عبر بعض الباحثين عن استيائهم من اعتبار المنهجية هدفاً في حد ذاتها، وليس مجرد أداة تساعدنا على الفهم الأعظم لمشاكل السياسة الدولية. ومن بين هؤلاء الباحثين نجد ماريون ليفي Levy, Marion الذي أثار الأسئلة التالية في أحد مؤتمرات منهجية البحوث في العلاقات الدولية.

إلى أين وصلت بنا كل مناهجنا المعقدة خلال الأحقاب الأربعة الأخيرة؟ ما هي البيانات الجديدة الموثوق بها، والتعميمات التي تشمل المتغيرات القليلة التي خرجنا بها؟ هل يستطيع أي واحد منكم أن يذكر أكثر من ثلاثة تعميمات ذات مستوى مرتفع، ترتبط بما أنتجه أي باحث له وزنه في العلاقات الدولية؟

إن بناء النظرية يستقيم باتباع المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على البيانات الأمبيريقية كما يتم بناء النظرية كذلك باتباع المنهج الاستدلالي عن طريق وضع الفروض المجردة.

ويتساءل رونالد ياليم Ronald Yalem في مقاله سابق الذكر: هل يمكن أن، نستوقع تخليقاً جديداً على هيئة المنهجية المتعددة Multimethodologism حيث تمثل السلوكية النظرية Theoretical Behavioralism الرسالة المضادة الناجمة للرسالة التقليدية Anti-Thesis Of Traditional Thesis وتمثل السلوكية الكمية أو الإيجابية التناقض المتتالي البارز؟ هل نحن باتجاه التعددية المنهجية تلك؟ أم نحن نتوقع لمستقبل العلم بروز النظرة ما بعد السلوكية؟ إن المستقبل وحده هو الذي سيجيب على ذلك.

وخلصمة هذا كله أن هناك اتجاهين رئيسيين الآن: الأول هو الاتجاه ما بعد السلوكي والذي تبناه كل من نيل وهاملت Neels and Hamelt والثاني هو المنهجية المتعددة والتي تبناها كل من هاس وبيكر Haas and Beeker ولا يبتعد هذان الاتجاهان عن بعضهما كل البعد، ذلك لأنه إذا كان الاتجاه ما بعد السلوكي يهتم بتوقع الأزمات، فلن يستطيع هذا المنهج تحقيق ذلك بدون تجميع المعارف والمعلومات الموثوق بها، التي تعتبر الأساس اللازم لهذا الاتجاه كما أن الاتجاه ما بعد السلوكي لا يتضمن إهمال التقدم الذي تم إحرازه عن طريق الاتجاه السلوكي، ذلك لأن الاتجاه الجديد يهدف إلى إعادة تحديد الأولويات والتأكيد على أهمية تحليل المشاكل المعاصرة والمستقبلية للنظام السياسي الدولي، والاتجاه ما بعد السلوكي بذلك لا يدعو إلى العودة إلى الاتجاه التقليدي وإنما يمثل الاتجاه ما بعد السلوكي مجرد تحول في التركيز الفكري أكثر منه دعوة إلى أيديولوجية منهجية جديدة (انظر أحمد بدر (1975) الثورة السلوكية، أحمد بدر (1998) الثورة ما بعد السلوكية..).

الفصل العاشر عشر

كيف نتجنب الأخطاء الشائعة في البحث

وكيف نكتب التقارير البحثية ونقيّمها؟

أولاً: تجنب الأخطاء الشائعة في البحث:

هناك علاقة قوية بين التفكير المنطقي السليم وبين تعميم مشروعات البحث، وبالتالي فمن الأهمية بمكان التعرف على الأخطاء التي قد نرتكبها أثناء القيام بالبحث دون أن ننتبه إليها والتي قد تحدث بالمصادفة.

فالباحث يجب أن يكون أميناً في تقرير نتائجه فذلك هو جزء أساسي من الخلق البحثي الرصين، ومن هنا كان من الواجب الالتفات لبعض الأخطاء الشائعة في البحث كما يلي:-

1- الاستشهاد بمصادر ثقة زائفة،

نحن نستخدم مصادر الثقة لتأكيد أو نفي ما نذهب إليه في دراستنا، نظراً لأننا نعتبر أن أهل الثقة يتمتعون بالخبرة في مجالات معينة، ولكننا يجب أن نكون متأكدين من أن أهل الثقة هؤلاء، يتحدثون عن الموضوع الذي يتناولونه بثقة وعلم وخبرة فعلية. فخبراء للطب ليسوا خبراء في التعليم، وخبراء الكيمياء الفيزيائية ليسوا بالضرورة خبراء الميمنة والاقتصاد.

2- تجاهل الأدلة المضادة،

قد يتحمس الباحث مرة أخرى للعرض الذي يضعه.. مما يجعله يتجاهل الأدلة المضادة الهامة.. ويمكن أن يكون لهذا التجاهل ما يبرره في المناقشات السياسية. حيث يكون الهدف هو كسب جولة المناقشة والحوار بأي

ثمن. ولكن الدراسات العلمية لا تهدف إلى كسب المناظرة والحوار ، وإنما تهدف إلى اكتشاف الحقيقة. وعلى ذلك فإن الدليل المضاد يجب أن يعطي نفس وزن الدليل المؤيد. حتى ولو كان معنى ذلك تغيير الفرض المبدئي.

3- عدم الحرص عند إطلاق صفة التعميم

يدلنا مصطلح "التعميم" على صحة ما نقول بالنسبة لجميع الأعضاء في الجماعة، وليس صحيحاً بالنسبة لفئة معينة من الجماعة فقط خصوصاً إذا لم تكن هذه الفئة عينة ممثلة للمجتمع الأصلي، ومعروف أنه إذا كانت هناك حالة واحدة مناقضة فهذا ينفي التعميم، وبالتالي فمن الضروري " تقييد" التعميم بحيث لا تنفي حادثة واحدة مناقضة هذا التعميم.

4- عادة التفكير داخل حدود ثابتة :

لا شيء يؤدي بالبحث المثمر إلى الموت أكثر من العادات التي نكونها خلال سنوات تفكيرنا داخل حدود ثابتة. ويبدو أنه كلما تقدم بنا العمر، ازداد تعلقنا بنفس أساليب الخبرة والتفكير التي تعودنا عليها. وعلى ذلك ففي كل مرة نفكر فيها في مشكلة معينة، فإننا نميل إلى إتباع نفس السبيل. ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأنه حتى في الأشياء البسيطة كجمع عمود من الأرقام، فإننا نميل إلى تكرار نفس الخطأ الذي وقعنا فيه من قبل. وعلى الباحث إذن أن يبذل كل جهده حتى يتجنب نماذج التفكير الجامدة. وأن يشجع في ذاته تكوين عادات الأصالة Originality في التفكير. وبالتالي ستجده مستعداً للملازمة مع المواقف الجديدة والنتائج غير المتوقعة والتي تنتج من دراسة معينة وبالتالي الاعتراف بغير المنتظر أو المتوقع.

5- عدم استطاعة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة،

هناك بعض الصعوبات التي قد يواجهها الباحث في الحصول على الحقائق اللازمة لتكوين الدليل الكافي، والذي يؤدي بدوره إلى النتائج

السليمة. وكثيراً ما يرتكب الباحثون أخطاء جسيمة عندما يبنون نتائجهم على الدليل المبتور الناقص.

6- تكوين نتائج غير ناضجة:

كثيراً ما يدفع الحماس بعض الباحثين إلى سرعة التعلق بنظرية مثيرة على الرغم من أن هؤلاء الباحثين يدركون أنه ليس هناك دليل كاف لتأييدها. ولو قد نذرعوا بالصبر والعمل فترة أطول في تقصي الحقائق، لا بتعدوا عن الوقوع في الخطأ، إن الباحث الدقيق لا يعلن عما في ذهنه إلا بعد اختبار جميع الفروض والوصول إلى الدليل الحاسم (هذه قريبة من الخطأ الثالث الخاص "بالتعميم").

7- عدم الدقة في الملاحظة:

كثيراً ما يضطر الباحث إلى إعادة التجارب التي قام بها للتأكد من أن جميع العناصر قد لاحظها ملاحظة صحيحة. وكثيراً ما يهمل الباحث بعض العوامل، ويرى من هذه العوامل فقط ما يحب هو أن يراه.

8- الخطأ في مطابقة أو توفيق علاقات السبب والآخر:

وهذا خطر موجود دائماً. وعلى الباحث أن يكون حذراً في صياغته لهذه العلاقات، ومن الأمثلة التي يتندر بها في هذا المجال، أن أحد الرواة أعلن أنه خلال السنوات التي كان النادي العربي الأهلي (في مصر) يكسب فيها بطولة كرة القدم، كان هناك رخاء ورخص في الأسعار في مصر، وعلى ذلك فحتى تصل مصر إلى الرخاء وتقضي على الغلاء فينبغي أن نستخدم جميع السبيل حتى يكسب النادي الأهلي مباريات كرة القدم بصفة مستمرة. ول سوء الحظ، فإن هناك بالفعل نتائج خطيرة في البحث تترتب على مواقف ليست بعيدة عن هذا المثال الذي نذكره للمزاح.

9- الافتقار إلى الموضوعية:

يجب أن تكون الحقيقة والحكمة ضالة للباحث العلمي. والدراسات التي يقوم بها بعض الباحثين لتأييد معتقدات وأيديولوجيات معينة يكون الباحث ملتزماً بها من قبل، هذه الدراسات تخدم أغراضاً مشكوكاً فيها من غير شك. لقد كان علماء البيولوجيا في الاتحاد السوفيتي مثلاً (خصوصاً علماء السوراثة)، يؤكدون على نظرية ليمسكو Lysenko المتعلقة بتوارث الصفات المكتسبة وذلك لإرضاء النظام الحاكم، وطبقاً لهذه النظرية فإن طبيعة أي كائن حي يمكن أن تتغير بوسائل صناعية، وأن هذا التغيير يمكن أن ينتقل إلى أبناء وأجيال المستقبل. وهذا الاعتقاد يتفق مع العقيدة الماركسية التي تنادي بأن الطبيعة الإنسانية تتقرر وتتحدد عن طريق الوسط والمحيط الاجتماعي Social Environment. وعلى الرغم من أن هناك علماء في السوراثة لا يؤمنون بهذه النظرية - سواء في الاتحاد السوفيتي أو في البلاد الأخرى - فإن الالتزام بنظرية ليمسكو سيعوق البحث الحر من غير شك.

10- الاقتباس السيئ لأفكار الآخرين:

قد يكون ذلك بسبب السرعة أو الإهمال، أي ضرورة الدقة في الاقتباس من الآخرين، فإهمال أو نسيان كلمة ربما يغير المعنى المقصود في الفقرة المقتبسة.

11- النسبة المئوية المضللة أو الأرقام المضللة:

يجب أن نعطي أرقاماً صحيحة absolute حتى يمكن تفسير النسب المئوية بطريقة صحيحة، مع الحرص على دلالة البيانات الخام. فقد يقتبس أحد الباحثين أحد المسوحات التي ذكرت أن عدد (500) عالم اقتصادي يعتقدون أن التضخم خطر على الاقتصاد. فالرقم يعني كثيراً إذا لم يكن هناك إلا (1000) عالم اقتصاد في الدولة، ولكن هذا العدد لا يعني كثيراً إذا كان عدد الاقتصاديين 20000 عالم.

12. تحويل الانتباه باستخدام لغة عاطفية أو أدبية،

الناس الذين يشعرون بقوة حيل قضية معينة، يمكن أن يصبحوا عاطفيين جدا في التعبير عنها، واستخدامهم للغة الانفعالية الخطابية قد تعمي الآخرين عنهم.

13- التبسيط المفرط:

عندما نتناول في دراستنا قضايا معقدة، فنحن نحاول عند التوضيح أحيانا التبسيط المفرط للأشياء. وخلاصة هذا كله أننا يمكن أن نرتكب مثل هذه الأخطاء أعلاه خصوصا إذا كنا نتبع عادة للتفكير داخل حدود ثابتة، وإذا كنا نؤكد أنه ليس هناك بحث بدون أخطاء، فينبغي أن نشير ونؤكد أيضاً على نقاط القوة ونقاط الضعف، كما قد يفسر بعض الناس ما نكتب بطريقة غير سليمة هذا وإذا كنا قادرين عادة على اكتشاف أخطاء الآخرين، فقد يكون من العسير أن نرى أخطاءنا بنفس الدرجة، نظراً لأننا لا نرى أبحاثنا بموضوعية.

14- أخطاء إضافية:

- البيانات للعريضة الوصفية الشاملة التي لا يدعمها الدليل أو التوثيق.
- عدم دقة الجمل والبيانات أو الميل لوضع الأفكار بغموض.
- التنظيم والترتيب الضعيف لمواد البحث.
- عدم استطاعة الباحث التمييز بين المشكلة والهدف من الدراسة بشكل كاف، فالمشكلة تمثل ما تمت دراسته، والهدف يعكس السبب في دراستها.
- اقتباس معلومات من بعض المصادر دون توضيح حدود هذا الاقتباس.
- إدخال عناصر أو أفكار أو مفاهيم جديدة في ملخص الدراسة أو نتائجها دون أن يكون الباحث قد تناولها مسبقاً في الدراسة.

- كتابة الرسالة في شكلها النهائي، كما فكر الباحث في ذلك من البداية، وليس بناء على ما تملّيه النتائج التي توصل إليها، أي أن الباحث يجب أن يعكس النتائج الموضوعية التي وصل إليها حتى ولو كانت على عكس توقعاته.

ثانياً: كتابة تقارير البحوث (IMRD):

سيركز الباحث هنا على تركيب IMRD للتقارير البحثية لكمية ذلك لأن تقارير البحوث لكمية تتكون تقليدياً من أربعة أجزاء وهي: المقدمة Introduction والمنهجية المستخدمة Methodology ثم تقرير Report للنتائج ثم المناقشة Discussion.

أ - المقدمة ، Introduction

يجب أن يأتي الوصف الكامل للمشكلة (بما في ذلك أي حدود لها) في الفقرة أو الفقرتين الأوليين من ورقة البحث وليس في العنوان، إلا في حالات نادرة جداً. ويجب أن يصف الباحث مشكلته موضوع الدراسة في وضوح واكتمال. حتى لا يكون هناك أي لبس فيما يتعلق بالموضوع المحدد للدراسة، وفيما يتعلق بالسؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عليه.

ويمكن أن نقول إذن بأن افتتاحية كل تقرير علمي يجب أن تحتوي على إيضاح دقيق للمشكلة موضع الدراسة، على أن يتلو ذلك مباشرة بيان بالحل الذي توصل إليه الباحث. أي الفرض النهائي للباحث (Final Hypothesis).

أي أننا في هذا الجزء نقدم للقارئ مناقشة خلفية الدراسة، لماذا قام الباحث بالدراسة أو البحث وسبب صلاته بالموضوع والباحث يقدم مراجعة للإنتاج الفكري المتعلق بالموضوع، ومن المعتاد تقديم بيان بالفرض في هذا الجزء فضلاً عن النظريات والبحوث التي أدت بالباحث إلى أن يضع فرضه،

فالمقدمة تقدم نوعاً من السياق Context للقراء، وتحدد البحث في مساحة عامة من المعرفة، كما تقدم المقدمة للقراء معلومات تساعد على فهم التقرير.

ب- المنهجية، Methodology

يتعلق هذا الجزء بتصميم البحث وبالمنهجية المستخدمة في البحث، وهذا الجزء يتميز بالتفصيل والتحديد لسببين أولهما أن يرى القارئ بالضبط ماذا فعلت كباحث وثانيهما الدفاع عن البحث، كما يجب وصف مناهج البحث المستخدمة حتى يمكن للباحثين الآخرين تكرارها أو مناهج قريبة منها خصوصاً عندما تكون النتائج متميزة تتحدى البحوث السابقة عن نفس الموضوع، وعلى الجانب الآخر إذا وجد الناس بعض العيوب في المنهجية فإن النتائج تعتبر لا فائدة منها.

ج- النتائج، Results

إذا كان لديك بيانات رقمية، فمن الأفضل تقديمها في شكل جداول ورسومات حيث يمكن بسهولة معرفة العلاقات والنتائج، وهذا الجزء بطبيعته مختصر، لأنك تشير إلى ما انتهيت إليه.

د- المناقشة، Discussion

الباحث هنا يناقش ما انتهى إليه من نتائج، فضلاً عن الحديث عن أي مشكلات واجهها خلال البحث، بالإضافة إلى وصف أي أشياء غير متوقعة حدثت، كما يفضل مناقشة النتائج مع النتائج التي انتهى إليها باحثون آخرون، وأخيراً خطط الباحث للمستقبل.

هـ- النتائج،

المواد المطروحة في هذا الفصل ترشد الباحث في وضع المفاهيم اللازمة للبحث وفي كتابة النتائج التي يتوصل إليها، وهناك ارتباط بين

التفكير والكتابة، ونوعية كتابتك تعكس نوعية التفكير، كما أن معرفتك بقواعد النحو يعتبر مكوناً مفتاحياً لكتابتك.

إذا أردت أن يقرأ لك الناس بجدية، فينبغي أن تكتب كتابة صحيحة خالية من الأخطاء النحوية والتحريرية.

الملخص النهائي:

إن كتابة ملخص نهائي قصير بعد تقديم كل الأدلة واكتمال الحجج أمر مرغوب فيه، ولا ينبغي أن يحتوى هذا الملخص على أى معلومات جديدة بل ينبغي أن يَجل في شرحه المختصر المحتويات الكلية لورقة البحث. وهذا الذي يقوم به الباحث يعتبر كأنه رد على سؤال لأحد زملائه عن المشكلة التي قام بدراستها والنتائج التي حصل عليها. فهو سيجيب باختصار مركزاً على النقاط الرئيسية.

ويجب أن يكون ممكناً التعرف من هذا الملخص على المحتوى المكثف لهذه الدراسة، دون تفصيل أو توثيق للأدلة. أما بالنسبة لحجم هذا الملخص فإنه يعتمد على طول ورقة البحث نفسها، وقد يكون هذا الملخص صفحة أو فصلاً كاملاً. ومن المفضل أن يكون قصيراً على قدر المستطاع.

أما بالنسبة للتوصيات الخاصة باتخاذ إجراءات معينة. فهذه لا تكون عادة جزءاً من أى دراسة بحثية وبالتالي لا ينبغي أن تكون مشموله في الملخص. إن وظيفة الملخص هو بيان حقائق الدراسة خصوصاً المبادئ والحقائق الجديدة. إن التوصيات التي يذكرها الباحث عن كيفية تطبيقها هي دائماً أمر يتعلق برأى الباحث، وعلى هذا الأساس فيجب عمل التوصيات في فصل منفصل من ورقة البحث. ولا ينبغي أن نختلط التوصيات بالدراسة ذاتها.

ثالثاً: العرض البياني والتصوري لمعلومات البحث:

إن أى معالجة كاملة لموضوع تقديم نتائج البحث بصورة بيانية وتوضيحية ورسومات، تحتاج إلى كتاب مستقل، والقارئ الذي يسعى وراء المعلومات التفصيلية عن هذه الطرق يمكن أن يستشير أى واحد من الكتب التي تركز على الموضوع.

ولا ينبغي أن يتردد كاتب تقرير البحث في أن يضمن دراسته بعض الرسومات والجداول والإيضاحات. إذا أتت هذه الوسائل إلى تيسير فهم المعلومات والبيانات، وليس لمجرد إثارة اهتمام القارئ.

وليس هناك ما يمنع الباحث من أن يوجز أحد المختصين في التقديم البياني إذا لم تكن للباحث دراية كافية بهذا النوع من النشاط الفني.

ومن بين الرسوم البيانية Charts البسيطة التي أثبتت فعاليتها في تقديم المعلومات الإحصائية، يمكن أن نشير إلى:-

1. الرسم الخطي Line Graph ويطلق على هذا النوع أيضا المصطلحات التالية:

2. رسم محدود بخطوط مستقيمة Rectilinear Graph

3. رسم قائم الزوايا Rectangular Graph Cartesian Coordinate Graph

4. الرسم المنحني The Curve Chart

5. رسم المستطيلات Bar Chart

6. رسم الدائرة Pie Chart

7. رسم المساحة أو الحجم Area Or Volume Chart

8. رسم تصويري Pictorial Chart

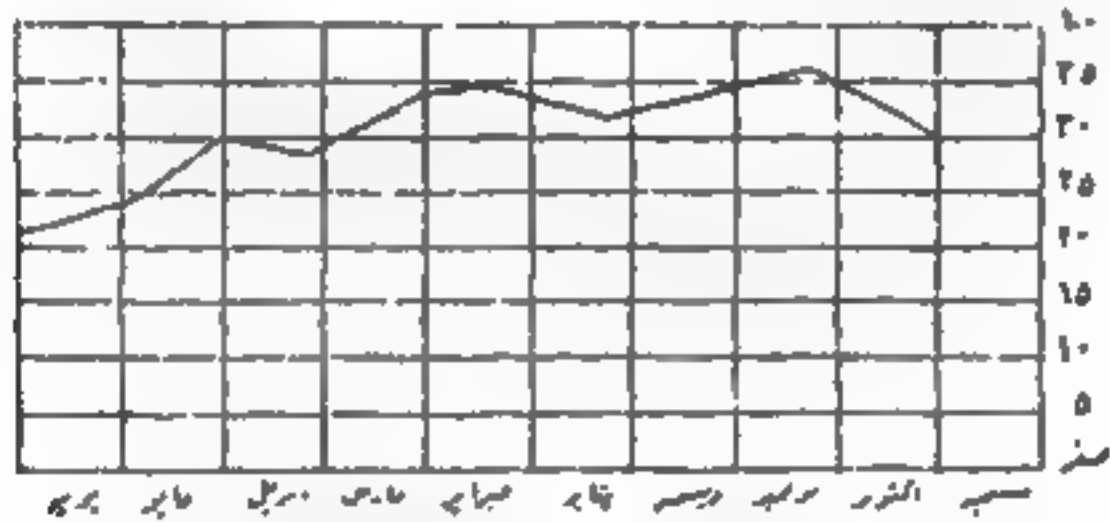
9. رسم تخطيطي (للمساحات والمسئوليات) Flow Chart

10. خرائط Maps

ويمكن للباحث دراسة هذه الأشكال تفصيلاً في مراجع أخرى إضافية ونقتصر هنا على ذكر بعضها بصفة عامة.

1. الرسم الخطي، Line Graph

وهذا الشكل يظهر العلاقات بين عاملين، وهو يلائم لتقديم التغيرات التي تحدث في عامل محدد على مدى فترة طويلة من الزمن. لنفترض مثلاً أننا نقوم بتقديم بيان خطي عن متوسط حضور الطلاب في قاعة المحاضرة على مدى عدة شهور. فإن هذا الحضور سيتراوح ما بين حوالي عشرين طالبا إلى حوالي أربعين طالباً خلال الفترة. وبعد تجميع البيانات وحساب متوسط عدد الحاضرين في كل شهر. فإن المعلومات يمكن أن تقدم في رسم خطي بسيط جداً كما يلي:-



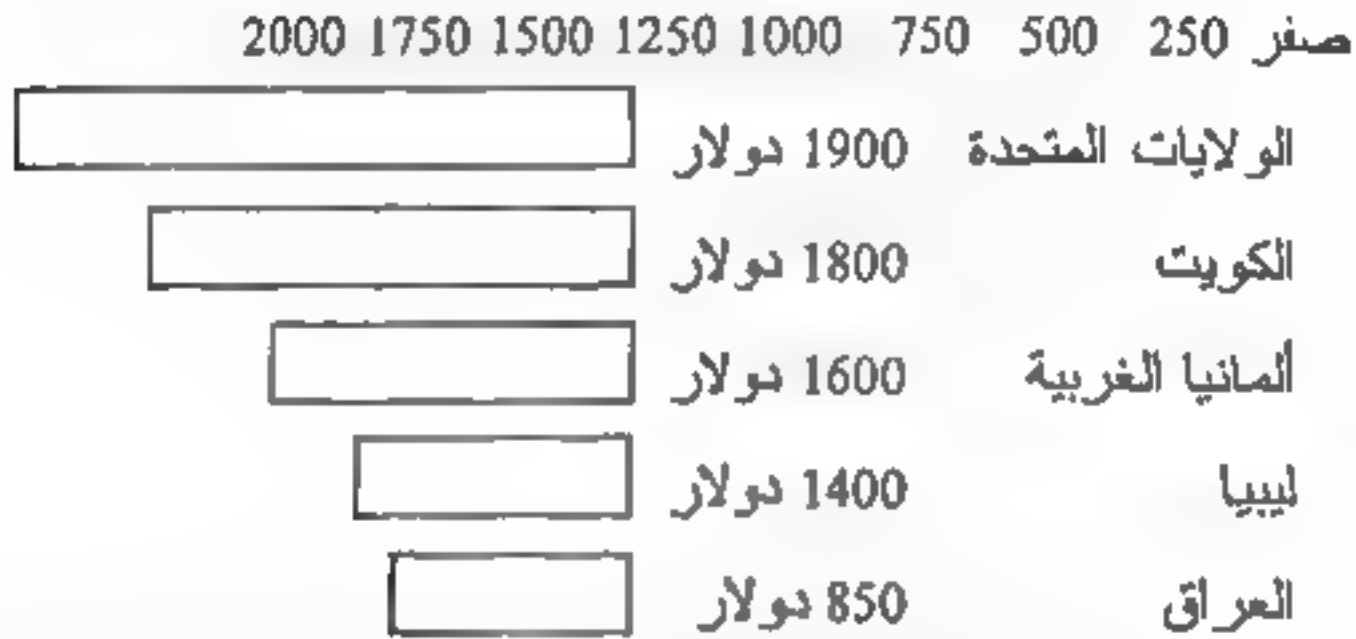
مثل للرسم البياني الخطي

وفي الرسم السابق فإن للخطوط الرأسية تمثل للشهور والخطوط الأفقية تمثل متوسط عدد الطلاب الحاضرين في قاعة الدرس في مختلف الأوقات. وعند تقاطع الخطوط فإننا نستطيع أن نقرأ متوسط الحضور في أي شهر. والشكل الكلي يدلنا بسرعة على التغيرات التي تحدث خلال السنة الدراسية. وهناك طرق كثيرة لتمثيل وتقديم نفس المعلومات. كأن نضع نقاطاً مكان التقاطع دون وجود الخطوط، كما يمكن أن يكون المقياس صفر/10/20... وهكذا.

رسم المستطيلات: Bar Chart

أما رسم القضبان فهو أحد أشكال عرض البيانات . وهذا الشكل يتميز بسرعة فهم القارئ له. وهو يصلح أكثر للمقارنات comparisons.

وغالبا ما ترتب هذه القضبان تبعا للترتيب التنازلي في حجمها. ولو افترضنا مثلا أننا نريد مقارنة المرتبات الشهرية للأساتذة في بلاد مختلفة. فبعد أن نجمع هذه المعلومات ثم نحسب المتوسطات في كل بلد. فإن للمقارنة تبدو واضحة في الرسم البيانات التالي (والأرقام فيه تمثيلية ولا تعكس الواقع).



وعندما تكون المستطيلات في الرسم السابق عمودية (وليست أفقية كما هو أعلاه) فإن هذا الشكل يعرف باسم رسم الأعمدة column chart . ولكن المبادئ نفسها تنطبق على الاثنين.

رسم الدائرة: Pie Chart

يعتبر هذا الرسم ذا أهمية خاصة عندما يريد الباحث إظهار أجزاء أو أقسام من الحجم الكلي، في دراسة لحجم الخريجين (وعلى الأخص المهندسين وخريجي العلوم الاجتماعية) في بلدين مثلا، فإن الباحث يجمع الأعداد الكلية في كل فرع من الفروع العامة ثم يحسب النسبة المئوية لكل

تخصص وبالتالي يقارن هؤلاء مع الخريجين وتخصصاتهم في الدولة المنافسة. وذلك كما يلي:-



الشكل (٢)

الشكل (١)

أشكال أخرى:

وإلى جانب الأشكال السابقة، هناك أشكال توضيحية كثيرة لتقديم البيانات. وعلى الباحث أن يستدرب عليها، خصوصاً بالنسبة للخرائط (للعلاقات الجغرافية) وغيرها من الرسومات البيانية والأشكال الهندسية أو الرياضية مثل خريطة التدفق flow chart (الذي يتبع المسئوليات والسلطات والمؤسسة مثلاً) أو الصور البسيطة التي تجعل القارئ يفهم الرموز والمعاني على وجه السرعة.

رابعاً: الهيكل العام لتقرير البحث وكيفية تقييمه:

تقديم:

كتابة التقرير هو الخطوة الرئيسية النهائية بعد القيام بالبحث، والتقارير المكتوبة جيداً تستطيع أن تنقل الإجراءات والنتائج للخاصة بالدراسة لكل من الباحثين والمهنيين الممارسين في مجال علوم الإعلام. كما أن الكتابة السيئة لهذا التقرير قد تؤدي إلى إغفال الدراسة القيمة التي استهلكت الكثير من جهد وفكر ووقت الباحث.

ويجب الإشارة في هذا التقرير إلى أن هناك بعض التشابه العام بين مقترح البحث Proposal وتقرير البحث Report، ولكن مقترح البحث هو مجرد السمات الرئيسية Profiles أو الرسم التخطيطي Blueprint للمشروع البحثي المتوقع، بينما يعتبر تقرير البحث هو الوصف التفصيلي للبحث في صورته النهائية.

هذا وتقرير البحث، سواء كان على هيئة وثيقة أو رسالة غير منشورة أو مخطوط لمقالة علمية - في شكلها المطبوع أو الإلكتروني - فهو يشكل أداة هامة لبحث نتائج البحث. وينبغي ألا يعتبر الباحث أن واجبه قد انتهى، إلا بعد أن يوفر هذه النتائج للجمهور المستفيد منها وبالشكل المناسب أيضا على أن يكون هدف هذا التقرير إحاطة القارئ بالمشكلة البحثية ومشرح دلالتها، مع تقديم البيانات بطريقة كافية، وعلى أن تدعم البيانات التفسيرات والنتائج الموجودة بالتقرير.

الهيكل العام لتقرير البحث:

هناك اختلافات في تفاصيل وترتيب هذا الهيكل بين الجامعات والهيئات المختلفة، وقد يتضمن التقرير جميع التفاصيل الواردة فيما يلي وقد يغفل بعضها أو يضيف عليها.

1- الأجزاء التمهيدية:

- **المستخلص:** وهو ملخص مختصر يعيد صياغة المشكلة والإجراءات التي اتبعتها الباحثة والنتائج الرئيسية التي وصل إليها. وهي تحتوي على حوالي مائتي كلمة أو أقل. والمستخلص يعتبر جزءا اختياريا، إلا إذا كان الشكل العام بالجامعة أو للهيئة يستدعي ذلك.
- **العنوان:** وهو في الواقع جزء من المستخلص، ويجب أن يعكس العنوان - في طول مناسب - للدراسة البحثية.

- الشكر: وهذا للجزء اختياري أيضا.
- قائمة المحتويات: وهذه ذات أهمية كبرى خصوصا إذا كان التقرير طويلا نسبيا.
- قائمة الجداول (إذا وجدت).
- قائمة الأشكال (الرسوم البيانية.. الخ).

ب- النص:

المقدمة والمشكلة

- وتشمل مختصرا لهدف أو أهداف الدراسة وإعادة لصياغة المشكلة ومراجعة للوثائق الأساسية المتعلقة بالمشكلة فضلا عن تحديد المشكلات الفرعية إذا وجدت وكذلك التعريف بحدود المشكلة والتعاريف الخاصة بالمصطلحات الرئيسية والمختصرات، فضلا عن التعريف بالحاجة إلى الدراسة وأهميتها وفكرة عن كيفية تنظيم التقرير.

★ مراجعة الإنتاج الفكري:

وهذه المراجعة تعتبر الأساس الفكري للفرض الذي سيأتي بعد ذلك، وقد نتطرق أيضا للمجالات الموضوعية القريبة من مشكلة البحث.

★ الإطار الفكري للدراسة:

ويفضل بعض الباحثين أن يكون هذا الجزء سابقا لمراجعة الإنتاج الفكري وأن يكون هذا الإطار شاملاً للتقديم ومشكلة البحث، والإطار يتضمن الفروض والافتراضات (وهي التي تدعم منطقية الفرض) فضلا عن التعريفات الإجرائية للمفاهيم الهامة.

★ تصميم الدراسة:

وهذا التصميم يشمل ماذا تم عمله وكيف تم كما يشمل مجتمع البحث والعينة إذا وجدت كما يشمل مصادر البيانات المتعلقة وأساليب وأدوات تجميع البيانات فضلا عن أساليب تحليلها.

★ التحليل:

ويتضمن هذا التحليل، كيفية التعبير عن بيانات البحث بالاحصاء الوصفي أو الاحصاء الاستدلالي (باختبار الفرض) بالإضافة إلى تلخيص لهذه البيانات.

♦ النتائج والتوصيات:

وتشمل ملخصا للدراسة مع تفسيرات البحث ونتائجه وبيان الصعوبات التي وجدها والتي تصدر النتائج في حدودها ثم التوصيات الخاصة بمزيد من البحوث المستقبلية.

♦ المراجع:

وهذه هي قائمة الاستشهادات أو الحواشي Footnotes وذلك في حالة عدم تواجدها في الأماكن المناسبة بالنص.

★ البibliوجرافيا:

وهي قائمة بالدراسات الأساسية والمواد ذات العلاقة الكبيرة بالبحث، كما تتضمن هذه القائمة أيضا للمراجع الخاصة بالدراسة (في حالة عدم ذكرها مستقلة).

♦ الملاحق:

وهو يشمل المواد الإضافية والتي لا تعتبر ضرورية لفهم النص الأصلي للبحث.

★ تقييم البحث أو الرسالة

يعتبر تقييم البحث تدريباً للطالب للباحث، وعادة ما يتم هذا التقييم في نهاية الدراسة، أي بعد أن يكون الطالب قد فرغ منها.

وينبغي على طالب أو باحث الإعلام الذي أصبح بحكم دراسته وخبرته مهنيًا، قادراً على الحكم على الإنتاج الفكري في مجاله، وإن كان الملاحظ أن الممارسين لمهنة الإعلام، ليسوا جميعاً مؤهلين للقيام بالبحث العلمي، كما أن عدداً لا بأس به من القادرين على البحث العلمي غير مهتمين بذلك.

وعلى كل حال فالقائمة التالية والأخطاء الإضافية التي جاءت بعدها، هي مجرد أسئلة وبيانات تقييمية تعكس معايير شائعة، في مجال تقييم مشروعات البحوث للمكتملة:

أ- العنوان والشكل العام:

- هل طول العنوان مناسب وهل هو واضح ودقيق؟
- هل يعكس العنوان المحتوى الموضوعي للدراسة وليس أكثر من ذلك؟
- هل الرسالة مكتوبة بطريقة أمينة، وتعكس الحقائق وخالية من الأخطاء اللغوية والمطبعية والتحريرية؟

ب- المشكلة والفروض:

- هل المشكلة مصاغة بطريقة واضحة؟
- هل حدود المشكلة مبيّنة؟ Delimitation
- هل استطاع الباحث أن يبرز دلالة المشكلة وأهميتها.
- هل المشكلة موضوعة بطريقة تصلح للحل؟
- هل وضع الباحث أسئلة محددة، وهل الفرض واضح؟

- هل الافتراضات Assumptions واضحة ومقبولة؟
- هل المصطلحات الهامة تم تعريفها إجرائياً؟
- هل الصعوبات التي واجهها الباحث مبينة؟ Limitations

ج- مراجعة الإنتاج الفكري:

- هل غطى الباحث الإنتاج الفكري للمسبق بدرجة كافية؟
- هل النتائج الهامة في المجال منكورة؟
- هل هناك علاقة بين الدراسة المقترحة والدراسات المشابهة السابقة؟
- هل هذا الإنتاج مرتب ومنظم بطريقة منطقية؟
- هل هناك ملخصاً معبراً؟

د- الإجراءات والمنهج المتبعة:

- هل تصميم البحث موصوف بالتفصيل؟
- هل المنهج المستخدم يلائم المشكلة التي يقوم الباحث بدراستها؟
- إذا كانت إجراءات المعاينة، قد استخدمت، فهل هي مشروحة بوضوح في تقرير البحث؟
- إذا كانت الباحث قد أفاد بأنه اختار عينة عشوائية مثلاً، فهل العينة فعلاً مختارة بحيث يكون لكل عضو في المجتمع فرصة متساوية مع الآخرين للاختيار؟
- ماهي المتغيرات المتابعة والمستقلة للبحث؟
- هل أدوات تجميع البيانات ملائمة؟
- هل مقاييس الصحة Validity والثبات Reliability موجودة؟

- ماهي الأساليب (الإحصائية وغيرها...) المستخدمة في تحليل البيانات الكيفية والكمية ؟ وهل هي مناسبة للبحث؟

هـ- تحليل البيانات:

- هل استخدمت الرسوم والجدول بطريقة سليمة لعرض البيانات المتعلقة؟
- هل المناقشة النصية واضحة ودقيقة.
- هل تحليل علامات البيانات منطقي؟
- هل التحليل الإحصائي مفسر بدقة؟

و- الملخص والنتائج:

- ماهي نتائج البحث؟ وهل تجيب الدراسة على السؤال البحثي المطروح فيها؟ أي هل النتائج مقدمة بوضوح؟
- هل يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أوسع؟
- هل يمكن أن تندمج نتائج البحث مع نظرية موجودة؟
- هل أوصى الباحث في نهاية دراسته بدراسات مستقبلية؟
- هل النتائج مرتبطة منطقياً بالبيانات التي تم تحليلها؟

الفصل الثاني عشر

التوثيق ومصادر المعلومات في علوم الإعلام

أولاً: أهمية توثيق بحوث الاتصال والإطار الشبكي :

تمثل عملية تنسيق الجهود البحثية ونشر نتائج البحوث في مجال الاتصال وغيره من المجالات المتخصصة الأخرى، مشكلة حادة على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. وقد أشار محمد حمدي في كتابه عن الإعلام والمعلومات (1995) إلى أن جهود علماء الاتصال قد تضاعفت بدافع من معاناتهم وإحساسهم بتفاقم المشكلة، مع جهود علماء المعلومات - بمقتضى مسؤوليتهم ودورهم في الوفاء باحتياجات الباحثين - من أجل إرساء قنوات فعالة لتدفق المعلومات حول الإنتاج البحثي في مجال الاتصال بشكل علمي ميسر، وبالتالي تحقيق أقصى إفادة ممكنة منه.

وقد ساهمت عدة منظمات دولية وإقليمية في تهيئة الأطر اللازمة وتوفير الامكانيات المطلوبة للتغلب على تلك المشكلة، ومن أبرز تلك المنظمات: اليونسكو، وجامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة.

وتمثلت الصيغة الملأمة لاحتواء المشكلة في إنشاء شبكة عالمية لمراكز التوثيق في مجال الاتصال. وذلك باعتبار أن الإطار الشبكي يعد النمط الأمثل لتحقيق أكبر قدر من التعاون والتنسيق بين المراكز المعنية بتوثيق بحوث الاتصال، وتوفير خدمات المعلومات على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية.

أما بالنسبة لتوثيق بحوث الاعلام على المستوى العربي،

فقد تبلور الاهتمام بتوثيق البحوث الاعلامية على المستوى العربي من خلال مشروعين أساسيين برز التفكير في إنشائهما في منتصف السبعينيات:

الأول: المركز العربي الاقليمي لبحوث الاعلام والتوثيق.

الثاني: المركز الاقليمي للتوثيق الاعلامي لدول الخليج.

وقد تمت دراسة الجدوى لكلا المشروعين، بمساعدة منظمة اليونسكو الدولية، وجاء التفكير في هذين المشروعين كنتاج لاجتماعات وتوصيات عدة منظمات عربية إقليمية من بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واتحاد إذاعات الدول العربية وغيرها، وكذلك اجتماعات وقرارات وزراء إعلام دول الخليج فضلا عن مساندة منظمة اليونسكو.

1/1: بين المصادر الأولية والثانوية:

تدلنا المصادر الأولية على الملاحظات الأصلية First-hand عن البحث، وعلى سبيل المثال فأنت تسمح جماعة معينة من الناس في موضوع محدد وبالتالي ترى أى البيانات -الأصلية- تكشفها عنهم ربما لأول مرة من الميدان، أما البحوث الثانوية فهي تستخدم بحوث الآخرين للوصول إلى بعض النتائج عن موضوع جديد أو على الأقل بعض البدائل والاختيارات Alternatives or Choices أى أننا فى البحث الأولى نقوم بالبحث الفعلى وفى البحث الثانوي نحن نستخدم بحوث الآخرين، وعادة ما يؤدي البحث الجيد إلى دراسات أولية وثانوية.

وقد جاء في دراسة الباحث بيرجر (Berger, A.A, 2000: P.24) تحديدا لبعض الفروق بين البحوث الأولية والثانوية كما يلي:-

يضم البحث الأولي دراسة الموضوع من خلال الملاحظة الأصلية للبحث، First hand وذلك مثل تحليل النص التاريخي أو الأدبي، ومثل القيام بالمسح (دون مسح أو تلفيق النتائج أو طريقة الحصول عليها) ومثل القيام بالتجربة العملية. كما تشمل المصادر الأولية البيانات الإحصائية والوثائق التاريخية والأعمال الأدبية والفنية. أما البحث الثانوي فيتضمن فحص الدراسات التي قام بها باحثون آخرون في مجال موضوعي معين، ومن أمثلة

البحوث الثانوية الكتب والمقالات عن القضايا السياسية والأحداث التاريخية والمناقشات العلمية والأعمال الأدبية.

والباحثون يستخدمون عادة قديراً كبيراً من البحث الثانوي في أوراق بحوثهم ومثروعاتهم البحثية. أي أنهم يستخدمون أفكار ونتائج غيرهم من الباحثين، وفي واقع الأمر فما يتم في مثل هذه الأوراق البحثية هو الاستشهاد بمصادر الثقة Authority أي الاستشهاد باقتباسات من "الخبراء" لنفي أو اثبات مقولة الباحث.

ومع ذلك فلدينا جميعاً الحق في إبداء "آرائنا" عن الأفلام وبرامج التلفزيون وغيرها من الأعمال الفنية، التي يعبر عنها بالنصوص وبأعمال وأداء الممثلين، ولكن ذلك لا يعني أننا دائماً على حق وصواب بالنسبة لآرائنا أو أن آراءنا سليمة مثل آراء الآخرين من الباحثين، إنها نوعية البراهين والأدلة والمناقشات التي يبديها الباحثون بالنسبة للنص والعمل هو الذي يحسب له الحساب، وليس قوة أو شدة "الآراء" التي نبديها.

2/1، من دوريات علوم الاعلام،

يمكن للباحث الحصول على كثير من بيانات المصادر الأولية -الحكومية وغير الحكومية- التي تصدر في مقالات الدوريات البحثية والكتب وغيرها من المطبوعات عن طريق قواعد البيانات والانترنت.

وتصدر معظم الدوريات في مجال الوسائط وأساليب الاتصال في الشكل المطبوع وبعضها يصدر بالشكل الإلكتروني، ومعظم هذه الدوريات تغطيها مستخلصات الاتصال Communication Abstracts وهي مطبوع ينشر كل شهرين ويشمل حوالي (1.500) مستخلص للمقالات كل سنة ومن أمثلة دوريات الاتصال التي تشملها مجلة مستخلصات الاتصال الدوريات التالية والتي يبلغ عددها حوالي أربعين دورية.

ويلاحظ القارئ أن الدوريات التالية باللغة الإنجليزية أما الدوريات العلمية باللغة العربية التي تتناول علوم الإعلام فهي قليلة ومن أمثلتها: المجلة العلمية لبحوث الإعلام إلى تصدرها كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومجلة الإذاعات العربية والتي يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية التابع للجامعة العربية ومقر الاتحاد بتونس- وفيما يلي الدوريات العلمية المشهورة في مجال علوم الإعلام باللغة الإنجليزية.

- | | |
|---|---|
| 1- American Anthropologist | 21- Journal of Communication Inquiry |
| 2- American Behavioral Scientist | 22- Journal of Marketing Research |
| 3- American Educational Research Research journal | 23- Journal of Media law and Practice |
| 4- American journal of psychology | 24- Journalism History |
| 5- American Journalism | 25- Journalism Quarterly |
| 6- American political Science Review | 26- Mass Comm Review |
| 7- Canadian journal of Communication | 27- Media, Culture and Society |
| 8- central States Speech Journal | 28- Political Communication and Persuasion |
| 9- Communication | 29- Public Culture |
| 10- Communication Education | 30- Public Opinion Quarterly |
| 11- Communication Quarterly | 31- Public Relations Journal |
| 12- Communication Research | 32- Quarterly Journal of Speech |
| 13- Communication and the law | 33- Reference and Reseach Book Nwes |
| 14- Critical Studies in Mass Communication | 34- Sgns: Journal of Women in Culture and Society |
| 15- Human Communications Research | 35- Telecommunication journal |
| 16- InterMedia | 36- Thalia: Studies in Literary Humor |
| 17- Journal of Advertising | 37- Theory and Society |
| 18- Journal of Applied Communication Research | 38- Western Journal of Communication |
| 19- Journal of Broadcasting and Electronic Media | 39- Written Communication |
| 20- Journal of Communication | |

المراجع Berger, A.A., Sours , p.25-26

الشكل (1) دوريات علوم الإعلام

ثانياً: الانترنت:

تقدم لنا الانترنت (الشبكة العنكبوتية العالمية www) كميات ضخمة من المعلومات باستخدام محركات البحث Search Engines مثل التافرنّا - هوت بويّنّت - ياهو- جوجّل . وغيرها مثل نيكسيس - وليكسيس وغيرها من قواعد البيانات على الخط المباشر.

كما تقدّم لنا بعض مخازن للكتب على الخط المباشر Online Book Stores مثل الأمازون Amazon com. المعلومات عن الكتب بجميع تخصصاتها كما تقدّم أحياناً مراجعات للكتب وروابط بين الكتب ذات الموضوعات القريبة وهناك مصادر احصائية عديدة متاحة للباحثين وعن طريق استخدام محركات البحث وغيرها من مواقع الوب Websites يمكن الوصول إلى معلومات مفيدة للغاية أنظر عناوين الانترنت المفيدة ومحركات بحث الوب في الشكّلين التاليين (2)، (3).

Useful Internet Addresses

<http://www.amazon.com> (bookstore)
<http://www.barnesandnoble.com> (bookstore)
<http://www.cios.org> (Communication Institute for Online Scholarship—CIOUS)
<http://www.cios.org/www/afjourn.htm> (journals list from CIOUS)
<http://www.ipl.org> (Internet Public Library)
<http://www.iTools.com/research-it> (research source)
<http://www.library.uiuc.edu/cmx> (Communications Library, University of Illinois)
<http://www.loc.gov> (Library of Congress)
<http://www.miracosta.cc.ca.us/home/bmcwilliams/CommStudies/links.html> (communication links)
<http://www.moviedatabase.com> (movie database)
<http://www.mtnds.com/af/fr-bottom.asp> (to find the meaning of acronyms)
<http://www.nytimes.com> (*New York Times*)
<http://www.nara.gov> (National Archives & Records Administration)
<http://www.netlibrary.com> (2,000 books, periodicals, journals, and articles)
<http://www.onelook.com> (dictionaries)
<http://www.uky.edu/~drlane/links.html> (communication links)
<http://www.wsj.com> (*Wall Street Journal*)
<http://www.wsu.edu/~brians/errors/errors.html> (common errors in English)
<http://www.Yahoo.com/Reference> (research source)

Berger (A.A. (2000 p. 29)

الشكل (2)

عناوين الانترنت المفيدة في علوم الإعلام

Web Search Engines

Web search engines keep a catalogue of pages they have investigated and when you ask about some topic, it scans its catalogue looking for Web pages that are relevant.

AltaVista	http://www.altavista.com
Ask Jeeves	http://www.askjeeves.com
Excite	http://www.excite.com
Google	http://www.google.com
HotBot	http://www.hotbot.com
InfoSeek	http://www.infoseek.com
Lycos	http://www.lycos.com
Northern Light	http://www.northernlight.com
WebCrawler	http://www.webcrawler.com
Yahoo	http://www.yahoo.com

Web Meta-Search Engines

Meta-search engines send requests for information to a number of search engines simultaneously, which means their searches take more time than regular search engines. They often summarize the data they receive or present only a few matches, and thus, they may miss important information.

Dogpile	http://www.dogpile.com
MetaCrawler	http://www.metacrawler.com
SavvySearch	http://www.savvysearch.com

Berger (A.A. (2000 p. 30)

الشكل (3)

محركات البحث للوب

ثالثاً: بعض مصادر المعلومات العربية

أدلة مصادر المعلومات العربية:

1. جاسم محمد جرجيس (1989): مصادر المعلومات في مجال الاعلام والاتصال الجماهيري، تأليف جاسم محمد جرجيس، بديع القاسم، الكويت: شركة المكتبات الكويتية، 367ص.

يتضمن الدليل للمراجع الأساسية الأجنبية والعربية في مجال الاعلام والاتصال الجماهيري مقسمة على النحو التالي:

الكتب السنوية، القواميس والمكانز، الموسوعات، التراجم والسير، الببليوغرافيات وفهارس المكتبات، الدوريات وأدلتها، أدلة الرسائل الجامعية، وقائع المؤتمرات، خدمات التكشيف والاستخلاص، وقد بلغ عدد المراجع التي تم التعريف بها 270 مرجعاً.

2. جاسم محمد جرجيس (1990): علوم الاعلام والاتصال: كتاب يعرف بأبرز المراجع في مجالات الاعلام والنشر والاذاعة والتلفزيون والصحافة والأفلام والسينما والاعلان والعلاقات العامة/ جاسم محمد جرجيس، بديع محمود القاسم - بغداد: مركز التوثيق الاعلام لدول الخليج العربي 219 ص.

تضمن الدليل قوائم معرفة بكشافات الدوريات العربية والأجنبية في علوم الاعلام والاتصال والدوريات المكرسة كلياً أو جزئياً بتقديم خدمات الاستخلاص في المجال. وقد بلغ عدد المطبوعات التي تم التعريف بها 289 كتاب منها 64 باللغة العربية و 225 باللغة الانجليزية. يتضمن العمل كشافين، الأول بالأعلام (المؤلفون والمترجمون والمحررون) والثاني بعناوين المطبوعات.

3. عاطف عدلي العبد (1986): دليل بحوث الاتصال في الوطن العربي منذ ظهور الطباعة حتى عام 1983 - القاهرة: دار الفكر العربي، 257 ص.

يغطي هذا الدليل البليوجرافى الإنتاج الفكرى العربى (المؤلف والمترجم) فى مجال الدراسات الاعلامية منذ ظهور أول كتاب مطبوع عن الاعلام عام 1896 حتى نهاية الربع الأول من عام 1983. وقد بلغ عدد المداخل 4030 مدخلا. بما فى ذلك رسائل الماجستير والدبلوم والدكتوراه.

ينقسم الدليل إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى: الاتصال والاعلام، الاداعة (راديو وتليفزيون)، الصحافة، وتحت كل قسم رُتبت موضوعاته الفرعية ترتيبا هجائيا. وتوجد فى بداية الدليل قائمة محتويات مفصلة ثم قائمة برؤوس الموضوعات المستخدمة.

وينتهى الدليل بأربعة كشافات هجائية (المؤلفون، المترجمون، المراجعون، المقدمون).

4. أبو الفتوح حامد عودة (1991): دليل رسائل الدكتوراه والماجستير - القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاعلام، مركز التوثيق الاعلامي، 318 ص.

يشتمل هذا الدليل على الأطروحات الجامعية المعتمدة من كلية الاعلام بجامعة القاهرة منذ انشائها حتى عام 1990، وكذلك بعض الأطروحات الجامعية المعتمدة من كليات أخرى والموجودة فى مكتبة الكلية. وقد تم تقسيم الأطروحات إلى المجموعات التالية:

- 1- دكتوراه اذاعة وتليفزيون.
- 2- ماجستير اذاعة وتليفزيون.
- 3- دكتوراه صحافة ونشر.
- 4- ماجستير صحافة ونشر.
- 5- دكتوراه علاقات عامة واعلان.
- 6- ماجستير علاقات عامة واعلان.

حيث تعطى بيانات بليوجرافية كاملة عن كل أطروحة ثم مستخلصا يتضمن المعلومات الأساسية للأطروحة، توجد كشافات تشتمل على مداخل مرتبة هجائيا كالآتي:-

كشاف هجائي بعناوين الأطروحات، كشاف يشتمل على مداخل بطريقة الكلمات الدالة من العنوان، كشاف يشتمل على مداخل موضوعية من مستخلص الأطروحة، وأخيرا كشاف هجائي بأسماء الباحثين.

القواميس والمعاجم:

5. محمد فريد محمود عزت (1984): قاموس المصطلحات الإعلامية: إنجليزي-عربي-جدة: دار للشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 374 ص.

يشتمل هذا القاموس على نحو 8000 مصطلح تغطي معظم موضوعات وجوانب علوم الاعلام المتشعبة في أهم مجالاتها كالصحافة ووكالات الأنباء والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والتصوير والعلاقات العامة والاعلان والطباعة والنشر والكتب وغير ذلك من المجالات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالاعلام، يضم أسماء بعض وكالات الأنباء والاذاعات والصحف، مرتبة هجائيا حسب الترتيب الهجائي للمصطلحات الانجليزية ثم يعطي المقابل أو المقابلات العربية مع تعريف موجز بالعربية..

6. أحمد زكي بدوي (1985): معجم مصطلحات الاعلام: الرأى العام، الاعلان، العلاقات العامة، الصحافة، الراديو، التلفزيون، السينما / تقديم أحمد خليفة - القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 208 ص.

معجم انجليزي- فرنسي- عربي، مع تعريفات بالعربية، يحوي 824 مصطلحا اعلاميا يتعلق بموضوعات الرأى العام والعلوم المتعلقة بالاتصال وأشكال الاتصال بالجمهور من صحافة وراديو وتلفزيون وسينما. الخ، ويقتصر على مصطلحات الاعلام من النواحي الاجتماعية والسيكولوجية، ملحق به كشافات (مسردان) الفبائيان للمصطلحات العربية والفرنسية.

7. عبد الوهاب نجم (1991): القاموس الاعلامي: عربي- انجليزي- ط 2، منقحة ومزيدة - بغداد : دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991- 750 ص.

يضم نحو عشرة آلاف كلمة في الصحافة بأنواعها والاذاعة المسموعة والمرئية ويهتم بالمفردات والمصطلحات التي ترد في الأخبار المحلية والعربية والعالمية، إضافة إلى تلك التي تستعمل في مجالات العلاقات بين الدول وفي الأمم المتحدة، الخ. تعطي المصطلحات العربية أولا والتي يتم على أساسها الترتيب الهجائي، ثم يعطي المقابل الانجليزي.

8. أحمد حسين الصاوي (1993): قاموس المصطلحات الاعلامية: انجليزي- عربي- 271 ص. يشتمل على أكثر من عشرة آلاف مصطلح، تعطي المصطلحات بالانجليزية في ترتيب هجائي وبجوارها المقابلات العربية دون شرح أو تعريف.

9. كرم شلبي (1994): معجم المصطلحات الاعلامية : انجليزي - عربي - بيروت : دار الجيل، 1040 ص.

وتشتمل الطبعة الجديدة على حوالي 20 ألف مصطلح من المصطلحات الخاصة بفنون الاتصال المختلفة من نظريات الاتصال ونماذجه وأشكاله إلى وسائل الاتصال المختلفة من حرف واذاعات بالرائيو والتلفزيون فضلا عن كل ما يتعلق بالأقمار الصناعية ووكالات الأنباء وكافة الفنون للحرفية من فنون التحرير والكتابة والتصوير والاخراج والعلاقات العامة، بالإضافة إلى بعض المصطلحات السياسية لصيقة الصلة بالمجال الاعلامي والتي تشكل أساسا عمل مترجمي البرقيات الصحفية من الانجليزية إلى العربية.

تم الترتيب على حسب الحروب الانجليزية حيث يعطي المصطلح بالانجليزية ومقابلة بالعربية مع شرح باللغة العربية.

10. بدران محمد بدران (1980): للرائيو والتلفزيون والفيديو: قاموس عربي مع التعاريف، انجليزي، فرنسي، ألماني- للقاهرة: مؤسسة الأهرام، 111 ص.

موجه للمشتغلين في مجالات استخدام وتصميم وإصلاح أجهزة الارسل والاستقبال والاتصالات الصوتية والمرئية. يضم 1024 مدخل مع

102 وسيلة إيضاحية، للقسم العربي يضم المصطلحات العربية في ترتيب هجائي يتبع كل منها المقابلات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ثم تعريف موجز بالعربية. القسم الانجليزي يضم المصطلحات الانجليزية في ترتيب هجائي مرقمة ترقىما مسلسلًا وأمام كل منها للمقابلات الفرنسية ثم الألمانية ثم العربية. توجد كشافات فرنسية وألمانية: للكلمة والرقم بالقسم الانجليزي.

الموسوعات:

11. الموسوعة الصحفية العربية - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990-1991 - 2 مج (324، 359 ص).

تهدف هذه الموسوعة إلى المصحح الشامل لتطور الصحافة في مختلف البلدان العربية ولأوضاعها الحالية على مختلف المستويات القانونية والمهنية والتنظيمية وغيرها.

يشتمل المجلد الأول على صحافة أقطار المشرق العربي (سوريا- لبنان- فلسطين- الأردن) ويتضمن هذا المجلد خمسة فصول تتعلق بالتطور التاريخي للصحافة في بلدان المشرق العربي، وأهم الجرائد والمجلات في هذه البلدان، وأهم الرواد من الصحفيين، ومختلف التشريعات التي تنظم قطاع الصحافة، والتنظيمات النقابية الصحفية في بلدان المشرق العربي، مع ثبات للمراجع والدراسات الأخرى التي اهتمت بهذه الصحافة، ونماذج مصورة من بعض الصحف التي صدرت في هذه البلدان.

أما المجلد الثاني فهو يختص بأقطار وادي النيل والقرن الأفريقي التي تضم كلا من مصر والسودان والصومال وحيث تتناول التطور التاريخي للصحافة في هذه البلدان وتنظيمها القانوني وأعلامها والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي أحاطت بتطورها وأولى هذا المجلد قسمًا هامًا للصحافة المصرية منذ نشأتها على يد محمد علي 1828 حتى عام 1980 وتضمن وثائق هامة حول مختلف تشريعات للصحافة طوال هذه الفترة

وحول المؤسسات الصحفية وتراجم لأهم الشخصيات الصحفية المصرية بالإضافة إلى قائمة ببليوجرافية ثرية حول الصحافة المصرية. وبالنسبة للسودان فقد أبرز المجلد واقع الصحافة قبل استقلال السودان ثم تطورها بعد الاستقلال، وقد أبرز الجزء المخصص للصومال الظروف التي أحاطت بنشأة الصحافة وتطورها.

رابعاً: بعض مصادر المعلومات الأجنبية:

١- الببليوجرافيات:

12. Block, E.S. (1991 Communication and Mass Media: A Guide to the Reference Literature. Englewood Colo.: Libraries Unlimited. 180 P,

يشمل (483) عنوان وتشمل: نظرية الاتصال- الاتصال بين الأشخاص والجماعات الصغيرة - الاتصال الجماهيري (الراديو، التلفزيون، الفيلم) - الاتصال عن بعد وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، العلاقات العامة- الاعلان- الصحافة. وقد عالج المرجع هذه الموضوعات ككل تحت فئات المصادر المرجعية، وينتهي الدليل بكشافين هجائين للمؤلف والعنوان والثاني للموضوعات.

13. Blum, E. (1990) Mass Media Bibliography. 3rd ed. Urbana. S11., Univ. of Illinois Press. 344p.

تحتوى الطبعة الثالثة على (1947) عنواناً ورتبت حسب الموضوعات وتوجد أقسام مستقلة حسب الشكل، تقتصر التغطية على المواد الإنجليزية وتوجد كشافات بالمؤلفين والعناوين والموضوعات. وهناك بعض قواعد البيانات للببليوجرافية العامة مثل:

- Reader's Guide to Periodical literature.
- National Newspaper Index

- Social Science Index
- Business Periodicals Index

ب- دليل الدوريات في علوم الاعلام:

14. Sova, Harry w. Communication serials: an international guide to periodicals in communication, popular Culture and the performing arts/Harry W. Sova and Patricai Sova. Virginia Beach, Va.: Sova Comm, 1992- 1041p.

أكثر الأدلة شمولاً للدوريات في مجال الاتصال. يشمل دوريات من 40 مجالا من مجالات الاتصال مع الاهتمام بالاتصال الجماهيري. يعطي بيانات مفصلة عن كل عنوان فضلا عن تعريف بالمحتوى.

توجد كشافات بالموضوعات، ومصادر التكشيف والاستخلاص والأرقام الدولية الموحدة للدوريات والناشرين وملامح أخرى.

ج- المستخلصات والكشافات:

15. Journalism abstracts.- Columbia, SC: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1963 - Annual.

يكشف ويستخلص رسائل الدكتوراه والماجستير في الصحافة والاتصال الجماهيري من الجامعات في الولايات المتحدة وكندا.

الإشارات الببليوجرافية والمستخلصات (المكتوبة بأقلام أصحاب الرسائل) مرتبة هجائيا بأسماء المؤلفين في قسمين مستقلين أحدهما لرسائل الدكتوراه والثاني لرسائل الماجستير.

توجد كشافات بالمؤلفين، والمؤسسات مانحة الدرجات، والموضوعات. مع ملاحظة أن رؤوس الموضوعات مشتقة من الكلمات المفتاحية والعناوين والمستخلصات.

16. Index to Journals in communication studies through 1990/
edited by Ronald J. Matlon and Sylvia P. Oritz – Annandale,
Va.: Speech Communication Association, 1992. – 2 vols.

يشتمل هذا الكشاف على تكشيف عدد (19) من الدوريات الأكثر أهمية باللغة الانجليزية في مجال الاتصال منذ بنائها حتى عام 1990. ينقسم هذا الكشاف إلى مجلدين. المجلد الأول يتضمن الترتيب وفقا لقوائم محتويات كل عدد مع ترقيم للمقالات. أما المجلد الثاني فيضم ثلاثة أنواع من الكشافات لاتاحة الوصول إلى قوائم المحتويات المستخدمة أولها كشاف الكلمات المفتاحية للمصطلحات المستخدمة للفئات الفرعية في خطة التصنيف والكشاف الثاني هو كشاف مصنف للموضوعات، أما الكشاف الثالث فهو كشاف مؤلفين.

17. Communication abstracts. –Bevrlly Hills, CA: Sage, 1978- 6/
year.

أكثر خدمات التكشيف والاستخلاص أهمية في مجال الاتصال:

يشتمل كل عدد على مستخلصات مرقمة لحوالي 200 مقال من حوالي 250 دورية و 50 كتابا وفصلا من كتاب.

توجد كشافات مؤلفين وموضوعات مستقلة في كل عدد. ويتضمن كل مدخل بيانات ببليوجرافية مكتملة إضافة إلى مستخلص جيد. تتركز الكشافات في العدد الأخير من كل مجلد.

د- المراجعات والكتب السنوية:

18. Progress in communication sciences. – Norwood, N. J.:
Ablex, 1979 –

تشتمل مجلدات هذه السلسلة التي تصدر مرتين في السنة على مقالات استعراضية لحالة الفن للانتاج الفكري في مجالات المعلومات، نقل المعلومات، نظم المعلومات، آثار الاتصال وتشريعات الاتصال والمعلومات.

معظم البحوث المستشهد بها تتعلق بأوراق المؤتمرات والمقالات المنشورة حديثاً. معظم المقالات موثقة توثيقاً جيداً وتحتوي ببليوجرافيات موسعة.

19. Communication yearbook – Newbury Park, CA: Sage, 1977–20 Annual.

مطبوع سنوي لجمعية الاتصال الدولية يشتمل على استعراضات للبحث ومقالات أخرى تعكس الاهتمامات المتنوعة في مجال الاتصال بما في ذلك نظم المعلومات، الاتصال الشخصي، الاتصال الجماهيري، الاتصال التنظيمي، الاتصال الصحي، فلسفة الاتصال، تكنولوجيا الاتصال البشري.

مصدر طيب للببليوجرافيات عن الموضوعات ذات الاهتمام الجاري في المجال. معظم المصاحفات تشمل قوائم موسعة بالأعمال المستشهد بها. توجد كشافات بالأسماء والموضوعات.

هـ- قواميس المصطلحات:

20. Weik, Martin H. Communications standard dictionary. – 2nd ed. – New York: Van Nostrand Reinhold, 1989 – 1219P.

تجميع شامل للمصطلحات والتعريفات المستخدمة في الاتصالات والمجالات المتصلة، وإن كان التركيز على المصطلحات الفنية، كما أن التعريفات فنية ودقيقة للغاية، ومن ثم فإنه مفيد بالنسبة للمتخصصين في الاتصالات عن بعد وتكنولوجيات الاتصال الحديثة. ويضم القاموس نحو 12000 مصطلح، والمصطلحات موضوعة في ترتيب هجائي.

21. Weiner, Richar. Webster's new world dictionary of media and communication.– N.Y. Webster's New World, 1990-533p.

يعرف بإيجاز بكلمات من مجالات متنوعة تشمل المبيعات والاعلان، الاذاعة والتلفزيون والنشر والحاسبات الالكترونية، الصحافة، التسويق،

العلاقات العامة، يدرج ويصف أيضا الشركات البارزة والجمعيات أو الاتحادات التجارية والمهنية.

و- الموسوعات والكتب السنوية:

22. International encyclopedia of communications/Erik Barnow, ed. In chief. (et al). – Oxford Univ. Press, - 4 vols.

هذه الموسوعة الدولية للاتصالات هي المحاولة الأولى كموسوعة موثوق فيها وشاملة في المجال، وهي الآن أفضل مصدر للمعلومات من هذا النوع، وهي نشر مشترك مع مدرسة Annenberg للاتصالات في جامعة بنسلفانيا. وقد شارك في إعدادها وتحريرها نخبة ممتازة من المشهورين في المجال على نطاق دولي. تتراوح المقالات ما بين فقرات قليلة إلى عدة صفحات. الهدف من الموسوعة هو أن تعرف وتعكس وتلخص وتشرح المجال بطريقة شمولية.. وهي تصم مداخل للأفراد المولودين قبل 31 ديسمبر 1919 المداخل موقعة ومرتبطة هجائيا تحوي إيضاحات وببليوجرافات قصيرة.

يوجد بالمجلد الرابع: دليل المهمين في إعداد الموسوعة (أكثر من 450)، دليل موضوعي Topical guide وكشاف تحليلي. والدليل الموضوعي يدرج المقالات تحت 31 فئة موضوعية عريضة. تشمل الموسوعة على حوالي 550 مقالة.

وهناك موسوعات عديدة مثل الموسوعة البريطانية وهي حاليا على الأقراص المكنزة CD-Rom وهناك أيضا موسوعات على الأقراص المكنزة فقط مثل Microsoft's Encarta وبعض الموسوعات متخصصة فقط في الاتصال والتلفزيون والميديا الجماهيرية Communication, television and the Mass Media

Communication yearbook

كما تصدر هيئة الأمم المتحدة عدة مجلدات منها:

- Statistical Yearbook and Demographic Yearbook
- Yearbook of labour statistics.

23. Kurian, George Thomas, ed. World Press encyclopedia. – New York: Facts on File, 1982,- 2 vols.

هذه الموسوعة التي تقع في مجلدين تضم 1202 صفحة و 46 مساهمة
تسبح الصحافة في 180 دولة حتى أواخر السبعينيات وهي تنقسم إلى أربعة
أقسام، القسم الأول يحتوي على ست مقالات عن صحافة العالم ومنظماتها
وقوانينها ومجالسها. أما القسم الثاني فيتناول النظم الصحفية المتقدمة ويناقش
تاريخ الصحافة واقتصادياتها، الرقابة، التعليم والتدريب، الخ. وتتراوح
السمات في الطول من أربع صفحات (بوليفيا وألبانيا) إلى 76 صفحة
(الولايات المتحدة). ويوجد تقويم زمني chronology للأحداث الهامة وقائمة
ببليوجرافية مختارة في نهاية كل مدخل.

القسم الثالث يحوي (33) موجز عن النظم الصحفية الأصغر والنامية.
ويضم القسم الرابع النظم للصحفية في الدول المتخلفة underdeveloped
والمعلومات مقدمة في شكل جدولي. كل مدخل للدول مرتبة هجائيا داخل كل
قسم، توجد ملاحق وكالات الأنباء، جمعيات الصحافة، أبرز (50) صحيفة
يومية على نطاق العالم، الخ. يوجد كشف مفصل يضم الأسماء والعناوين
والوكالات والمنظمات.

ز- كتب الحقائق:

24. Berger, Charles R. and Steven H. Chaffee, eds. Handbook of communication science. " Beverly Hills, CA.: Sage, 1987-946p.

أكثر كتب الحقائق أهمية فيما يتعلق بدراسة الاتصال بصفة عامة فهو يشتمل على مقالات تغطي أبرز المفاهيم في مجال علم الاتصال، ومن ثم تبرز قيمته في الاستعراضات للمفاهيم وفي الببليوجرافيات الموسعة في نهايات الفصول.

والكتاب مرتب في أربعة أقسام، القسم الأول يقدم نظرة عامة للمجال. ويشتمل القسم الثاني على مقالات تقدم تحليلات للاتصال بمستوياته المتعددة. ويشتمل القسم الثالث على مناقشات لدور اللغة في عرض وخلق القوة الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية والاتصال، والاتصال وإدارة الصراع، الخ. وتصف المقالات في القسم الرابع "المواقف" الخاصة للاتصال مركزة على الأسرة، العلاقات الزوجية marital، سلوك المستهلك، الاتصال الجماهيري، الرأي العام، الاتصال العيادي، والاتصال عبر الثقافات.

25. The World media handbook, 1992-24, New York United Nations, 1992. 504 p.

يغطي هذا العمل أكثر من 160 دولة من دول العالم يعطي بداية بعض المؤشرات بالنسبة لكل دولة مثل حجم السكان، الدخل، اللغات الرسمية، معرفة القراءة والكتابة، الخ، ثم يعطي قائمة بالصحف، المجلات، وكالات الأنباء، محطات الإذاعة والتلفزيون، مؤسسات تعليم الاتصالات. وعلى العموم فإن المعلومات والبيانات الحقائقية والإحصائية التي يقدمها هذا العمل دقيقة وقيمة.

ج- مصادر التراجع:

26. Dziki, Sylwester, Janina Maczuga and Walery Pisarek, eds. Who's who in mass communications. 0 2nd ed – Munich, New York: K.G. Saur, 1990 – 191p.

طبعة مراجعة من الدليل الذي سبق صدوره عام 1984 بعنوان:

World directory of mass communication researchers.

يتميز هذا الدليل بأنه يغطي الكثير من الباحثين غير الموجودين في المصادر البيوجرافية الأخرى التي يركز معظمها على الأمريكيين والكنديين والباحثين عن دول أوروبا الغربية.

وهو يشتمل في هذه الطبعة على 1124 مدخلاً في ترتيب هجائي، ويتضمن البيانات المعتادة عن الأشخاص، ويوجد له كشف.

ط- أدلة المؤسسات:

27. Journalism and mass communication directory.- Columbia, SC: Assoc. for Education in Journalism and Mass Communication (ADJMC). University of south Carolina, 1993 - Annual.

يشتمل هذا الدليل على ثروة من المعلومات عن تعليم الصحافة ومعلميها. وهو يدرج أولاً مدارس وأقسام الصحافة والاتصال الجماهيري مرتبة هجائياً بالولايات المتحدة، وتوجد بعض المعلومات عن بورثريكو، كندا، أستراليا، إنجلترا.

وتشمل المداخل المدارس والأقسام: العنوان ورقم التليفون، تخصصات البرنامج، هيئة التدريس، التسهيلات التعليمية.

المصادر المرجعية للمعلومات في علوم الإعلام الواردة أعلاه اعتمدت على المرجع التالي أساساً: (أحمد بدر 2001)

المصادر العربية للكتاب:

- 1- أحمد بدر (1975): الثورة السلوكية في العلوم السياسية مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، ص 23 ع²، ص 35-50.
- 2- _____ (1978) الصحافة الكويتية: دراسات توثيقية تحليلية تاريخية أرشيفية. الكويت: مؤسسة الصباح، (بالاشتراك مع عبد الرحمن الشيخ).
- 3- _____ (1978) الاعلام الدولي: دراسات في الاتصال والدعاية الدولية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 407 ص.
- 4- _____ (1978) الرأى العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 355 ص.
- 5- _____ (1996) أصول البحث العلمي ومناهجه - ط 9 - القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- 6- _____ (1998) الاتصال بالجمهور بين الاعلام والتطويع والدعاية: القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر / 364 ص.
- 7- _____ (1998) مناهج البحث في الاتصال والرأى العام والاعلام الدولي، القاهرة : دار قباء للطباعة، ص 307.
- 8- _____ (1998) الثورة ما بعد السلوكية في العلوم السياسية والعلاقات الدولية في كتابة مناهج البحث في الاتصال والرأى العام والإعلام الدولي (ص 273-290).
- 9- _____ (2001) مقدمة في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. القاهرة/ دار قباء للطباعة والنشر (الصحافة والإعلام ص 127-144) ثم (ص 180-181)، ص 199.
- 10- _____ (2007) الصحافة الكونية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

- 11- أسماء حسين حافظ (2004): منهجية بحوث الاعلام والعلاقات العامة في ضوء الاتجاهات الحديثة ، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- 12- سامي طابع (2001) بحوث الاعلام . القاهرة: دار النهضة العربية.
- 13- سامية محمد جابر (2000) منهجيات البحث الاجتماعي والاعلامي. القاهرة، دار المعرفة الجامعية.
- 14- سمير محمد حسين: (1996) تحليل المضمون: تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته، القاهرة: عالم الكتب.
- 15- عاطف العبد وزكي أحمد عزمي (1993) : الأسلوب الاحصائي واستخداماته في بحوث الرأي العام والاعلام. القاهرة: دار الفكر العربي.
- 16- عاطف العبد (2000): للرأي العام وطرق قياسه : الأسس النظرية الجوانب المنهجية النماذج التطبيقية والتدريبات العملية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- 17- عاطف العبد: (2000) تصميم وتنفيذ واستطلاعات وبحوث الرأي العام والإعلام: الأسس النظرية والنماذج التطبيقية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- 18- فرج الكامل: (2001) بحوث الإعلام والرأي العام: تصميمها، وإجرائها، وتحليلها . القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.
- 19- محمد سعد إبراهيم (2000) إشكالية المنهج لدى الباحثين الإعلاميين الشباب، بحث مقدم ضمن كتاب بحوث في الصحافة المعاصرة (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع).
- 20- محمد عبد الحميد (1992) بحوث الصحافة. القاهرة . عالم الكتب.
- 21- محمد عبد الحميد: (1993): دراسة الجمهور في بحوث الاعلام، القاهرة: عالم الكتب.

- 22- محمد عبد الحميد: (2000) البحث العلمي في الدراسات الاعلامية. القاهرة. عالم للكتب.
- 23- محمد منير حجاب (2002): أساسيات البحوث الاعلامية والاجتماعية. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- 24- محمد نصر مهنا (1996): الوجيز في مناهج البحوث السياسية والاعلامية، دار النشر للجامعات المصرية.
- 25- محمود حسن إسماعيل (1996): مناهج البحث في اعلام الطفل: القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.
- 26- محمود خليل (1999): تكنولوجيا برامج التحليل العلمي ببحوث الإعلام، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- 27- محمود علم الدين (1990): بحوث الاتصال الجماهيري: رؤية نظرية القاهرة: مطابع المنار العربي.

المصادر: الأجنبية للكتاب:

1. 1970. American Mass Media and the June Conflict. In Ibrahim Abu-Lughod, ed. The Arab Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective. Evanston, 111. "Northwestern University Press, PP. 138-154.
2. Are the media fair to Israel? 1976. Jewish Observer and middle East Review 25 (May 28, 1976) P.7.
3. Batroukha, Mohammed Ezzedin 1961. The Editorial Attitudes of the New York Times and the Christian Science Monitor Toward the Arab-Israeli Dispute (January 1, 1955- June 30, 1956): A Content Analysis Study. Ph. Dissertation, Syracuse University, 1961.
4. Belkaoui, Janice Monti. (1978). Images of Arabs and Israelis in the prestige Press, 1966-47. Journal of Communications 55 (Winter 1978) PP. 732 - 738, 799.

5. Berger, A.A (Ed.) (1998). The postmodern presence. Walnut Creek, CA: AltaMira.
6. Berger, Arthur Asa (2000) Media and Communication Research: Methods; An Introduction to Qualitative and Quantitative Approaches. Sage publication, Inc.' Thousand Oaks, London.
7. Birch, T. (1989) Anatomy of Birch Radio Telephone Interview and Records.
8. Bogdan, R.C., & Biklen, S.K. (1992). Qualitative research in education: An introduction to theory and methods. Boston: Allyn & Bacon.
9. Childs, H.L. (1965) Public opinion : Nature, Formation and Role. Princeton, NJ: van nostrand.
10. Creswell, J.W. (1994). Research design: Qualitative and quantitative approaches. Thousand Oaks, CA: Sage.
11. Davison, W.P.(1987) POQ's fifty year Odessey Public Opinion Quarterly, V,51, 4-11.
12. Day, R.A. (1988). How to write and publish a scientific paper (3rd ed.). Philadelphia: Institute for scientific Information.
13. Daymon, Christine (2002) Qualitative Research Methods in Public Relations and Marketing Communications. Florence. Ky. U.S.A Routhedge.
14. Druckman, J.N..(2003). The Power of Televised images: The first Kennedy-Nixon debate revisited. Journal of Politics, 65(2), 559- 571.
15. Eveland, W.P. Jr. (2003). A "mix of attributes" approach to the study of media effects and new communication, communication technologies. Journal of communication 53 (3), 395-410.
16. Ferguson. D.A., & Perse, E.M. (2000). The world wide-web as a functional alterative to television. Journal of Broadcasting & Electronic Media. 44 (2), 155-174. Kayany, J.M., & Yelsma, P.(2000). Displacement effects of online media in the socio-technical contexts of households. Journal of Broadcasting & Electronic Media. 44(2) 215-229.

17. Gerbner, George et al (1969). The Analysis of. Communication Contents. Development in Scientific Theories and Computer Techniques. New York: Tohm Wiley V Sons.
18. Ghareeb, Edmund. (1976). The American Media and the Palestinian Problem. Journal of Palestine Studies 5 (Fall - Winter 1976) PP. 127 - 149.
19. Gibaldi, J. (1995). MLA handbook for writers of research papers. (4th ed). New York : Modern Language Association of America.
20. Graziano, A.M., & Raulin, M.L. (1989). Research methods: A process of inquiry. New York: Harper & Row.
21. Gummesson, E.(1991) Qualitative methods in management research, London, Sage.
22. Hannabuss, Stuart, (1995).Approaches to research. ASLIB Proceedings, V. 47(1), 3-11.
23. Hvistendahl, J.K. (1977). Self-administrated Readership Surveys: whole Copy as Clipping Method Journal Quarterly , V. 52 (2), P. 350-356.
24. Hillway, Tyrus (1964) Introduction to Research, 2nd ed. Boston, Houghton Mifflin Company, 308 p.
25. Jennings, M. Kent end Zhang, Ning (2005) Generations, Political Status and Collective Memories in the Chinese Countryside. Journal of Politics, V.67, P. 1164-89.
26. Junkel, D., Wilcox, B.L., Cantor, J., Palmer, E., Linn, S., & Dowrick, P.(2004), Report of the APA task force on advertising and children, PP-1-35.
27. Knauper, Barbel (1999). The Impact of Age and Education on Response Order effects in Attitude Measurement. Public Opinion Quarterly, V.63, P.347-70.
28. Krippendrff, K. (1980). Content analysis: An Introduction to its methodology. Beverly Hills, CA: Sage.

29. Lee, W., & Kuo, E. (2002). Internet and displacement effect: Children's media use and activities in Singapore. Journal of Computer-Mediated Communication, 7 (2) [Online]. Available : www.ascusc.org/jcmc/vol7/issue2/singapore.html.
30. Luskin, R.C. (1987). Measuring political sophistication. American Journal of Political Science, 31, 856-899.
31. Marshall, Peter (2002), Research Methods: How to design and conduct a successful project, New Delhi: Taico Publishing House Mumbai 400-023.
32. McIlwraith, R.D. (1998). I'm addicted to television: The personality, imagination, and TV Watching patterns of self-identified TV addicts. Journal of Broadcasting & Electronic Media, 42, 371 - 386.
33. McQuail, D., & Windahl, S. (1993). Communication models for the study of mass communication (2nd ed). New York : Longman.
34. Mitchell, Rober E. The use of content analysis for Explanatory studies, Public Opinion Quarterly. V. 31 (2). P. 230 - 241.
35. Nass, C.,I., & Reeves, B. (1991). Combining, distingui-shing, and generating theories in communication research: A domain of analysis framework Communication research, 18, 240-261.
36. Navarro J., & Riddle, K. (2004). Violent media effects [Online].Available:http://www.uweb.ucsb.edu/~ker/public_opinion.htm.
37. Pan, Z., & Mcleod, J. M. (1991) multilevel analysis in mass communication research. Communication research, 18,140-173.
38. Panagopoulos, Costas (Winter 2006) The Polls - Trends Arab and Muslim Americans and Islam in the Aftermath of 9/11. Public Opinion Quarterly, V.70 (4), P. 608-624.
39. Polk, William R. (2005) Understanding Iraq: The Whole Sweep of Iraqi History, from Genghis Khan's Mongols to the ottoman Turks to the British Mandate to the American occupation. New York : Harper Collins.

40. Price, V., Ritchie, L.D., & Eulau, H. (1991). Cross-level challenges for communication research. Communication research. 18, 262-271.
41. Reeves, B., & Nass, C. (1996). The media equation: How people treat computers, television, and new media like real people and places. Cambridge: Cambridge University press.
42. Robinson, Edward (1967). Public relations and survey research New York: Appleton. Century.
43. Rokeach, M. (1968). The role of values in public opinion research. Public opinion Quarterly. 32, 547-559.
44. Rosenstone, S.J., & Diamond, G.A. (1990). Measuring Public opinion on political issues. (Report) to the National Election Studies Board of Overseers). Ann Arbor, MI Institute for social research.
45. Rosnov, R.L. and Robinson, E.J (eds) Experiments in persuasion. New York: Academic Press.
46. Rubenstein, Sandra (1995) Surveying Public Opinion.-Belmont: Wadsworth Publishing Co.
47. Salmon, C.T., & Atkin, C. (2003). Using media campaigns for health promotion. In T.L. Thompson, A.M. Dorsey, K.I. Milfer, & R. Parrott (Eds.), Handbook of health communication (TP.449-472). Mahwah, NJ : Erlbaum.
48. Schramm, W. (1957) Twenty years of Journalism Research Public Opinion Quarterly, V. 21(1), 91-108.
49. Schuman, Howard and Corning, Amy (Spring 2006) Comparing Iraq to Vietnam: Recognition, Recall, and the nature of Cohort Effects. Public Opinion Quarterly. V. 70 (IX P. 78 - 87).
50. Shlovski, I., & Kraut, R. (2004). The Internet and social participation: Contrasting cross-sectional and longitudinal analyses [Online]. Available at: <http://www-2cs.cmu.edu/~kraut/Rkraut.site.files/articles/shklovski-pew-change-v4-4.pdf>.

51. Sparks, G.G., & Miller, W. (2004). News coverage of the war in Iraq: Cognitive and emotional consequences for viewers. In R.D. Berenger (Ed.), *Global media go to war: The role of news and entertainment media during the 2003 Iraq war* (pp. 305 - 312). Spokane, WA: Marquette Books.
52. Sparks, Glenn, G. (2006) Media effects Research: A basic Overview. 2nd ed. Wadsworth Thomson.
53. Straubhaar, J., & LaRose, R. (2000) Media now: communications media in the information age. Belmont, ca: Wadsworth.
54. Sudman, S., & Bradburn, N.M. (1987). The organizational growth of public opinion research in the united states. Public opinion quarterly, 51 , 567 - 578.
55. Suffatt, Emmanwel, Zev. African Political Issues Issues: A content analysis of Elite - Mass communication (Ph.D., 1969) Georgetown Univ., 166. p.
56. Suleiman, Michael W. 1965. An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, July – December 1956; Middle east forum 41 (Autumn 1965) PP. 9 - 30.
57. Trumbo, Craig W. (Summer 2004) Research Methods in Mass Communication Research : A Census of Eight Journals 1990-2000. J. & Me Quarterly. V.81 (2), P.417-436.
58. Watson,J.,&Hill,A. (1997). A dictionary of communication and media studies (4th ed.) New York: Arnold.
59. Zaller, John R. (1992). The Nature and Origins of Mass Opinion. Cambridge: Cambridge University Press.
60. Zaremba, Alan Jay. 1977. An Exploratory Analysis of National Perceptions An International communications study.Ph. D. Dissertation at state university of New York-Buffalo, 1977.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب.....	7
الفصل الأول: بعض المفاهيم الرئيسية في البحث العلمي	
أولا : طبيعة البحث العلمي وبعض عناصره.....	11
1- تعريف العلم.....	11
2- أهداف العلم.....	12
3- البحث وأنواعه.....	14
4- منهج البحث وأداة البحث.....	17
5- مصطلحات ومفاهيم البحث العلمي.....	17
6- التعاريف والمتغيرات كعناصر أساسية في البحث.....	21
ثانيا : مميزات الطريقة العلمية وخطواتها.....	22
ثالثا : مفاهيم أخرى.....	27
أ - بين النظرية والقانون.....	27
ب- صحة البحث والموثوقية.....	28
ج - عن الاستنباط والاستقراء واكتشاف المعرفة.....	29
د - أخلاقيات البحث العلمي.....	30
الفصل الثاني: كلفة اختيار مشكلة للبحث وكيفية التعبير عنها بالتساؤلات أو الفروض ؟	
أولا : كيف تختار مشكلة البحث.....	33
ثانيا : طبيعة الفروض والعناصر المتصلة بوضع الفروض والنظريات السليلة.....	40
ثالثا : مراجعة مختصرة لطرق الحصول على المعرفة.....	47
الفصل الثالث: الصحافة مهنة للمهن: اتجاهات وتكامل بحوث علوم الإعلام مع العلوم الأخرى	
أولا : نظرة بيوجرافية للمؤلف عن دخوله مجال الصحافة والإعلام والمعلومات.....	51
ثانيا : التكامل المعرفي في بحوث علوم الإعلام.....	53
ثالثا : علاقة علوم الاتصال بعلم المعلومات.....	59

رابعاً : ملخص اتجاهات البحوث والدراسات فى علوم الإعلام فى مجلة	
الرأى العام الفصلية.....	67
خامساً: منهج الدراسة وتنظيم الفكر.....	70
الفصل الرابع: تكامل البحوث النوعية والكمية مع دراسة مقارنة	
للمقابلات والملاحظات ونماذج من مناهج البحث فى	
دراسات علوم الإعلام	
أولاً : عن التعريف والمقارنة بين البحوث النوعية والكمية.....	73
ثانياً : المقابلات وأنواعها وأسباب استخدامها.....	79
ثالثاً : للمبادئ التى ينبغى مراعاتها أثناء المقابلة.....	83
رابعاً : بعض النتائج المتصلة بالبحوث للكمية والمقابلات.....	84
خامساً: الملاحظة والبحث النوعى.....	85
سادساً: الملاحظة النظامية والملاحظة الجماهيرية فى قياس الرأى العام.....	86
سابعاً : الملاحظة بالمشاركة.....	89
ثامناً: أسلوب القياس التكرارى.....	92
تاسعاً: قياسات الاتجاهات للمترجمة.....	95
عاشراً: نماذج من مناهج البحث فى بحوث الاتصال الجماهيرى.....	97
الفصل الخامس: منهج التحليل التاريخى	
أولاً : ماذا نقصد بالتاريخ وما موقعه بين التخصصات العلمية ؟.....	101
ثانياً : نشاط الباحث التاريخى ومدى اقترابه من العلم.....	104
ثالثاً : أسئلة البحث فى الدراسات التاريخية.....	107
رابعاً : أنواع الدليل التاريخى.....	108
خامساً : أهمية المصادر الأولية.....	111
سادساً: التقويم الخارجى والداخلى للوثائق.....	113
سابعاً : للفرض فى البحوث التاريخية.....	120
ثامناً : ملخص منهج البحث التاريخى.....	122
الفصل السادس : تحليل المضمون فى بحوث علوم الإعلام	
أولاً : مقدمة وللبعد التاريخى.....	125
ثانياً : تعريف تحليل المحتوى.....	127
ثالثاً : متى يمكن استخدام تحليل المحتوى؟.....	130
رابعاً : حدود دراسات تحليل المحتوى.....	132

خامسا : خطوات تحليل المحتوى وبعض المشكلات المنهجية.....	134
سادسا: استخدامات تحليل المحتوى بين النظرية والتطبيق	150
سابعا :استخلاص النتائج.....	151
ثامنا : التطورات الجارية في تحليل المضمون	155
تاسعا : نموذج تطبيقي لتحليل محتوى شبكات الأخبار الأمريكية لتغطية زيارة الرئيس الراحل السادات لإسرائيل عام 1977	158
الفصل السابع: المسح كمنهج بحث	
أولا : تعريف المسح وأنواعه ومميزاته.....	173
ثانيا : المسح كمنهج لجعل الإعلام والسياسة علوما	175
ثالثا : أخطاء يمكن مواجهتها في الاستبيان.....	179
رابعا : الخطوات اللازمة لتصميم البحث والقيام به.	181
خامسا: أدوات المسح: الاستبيانات.....	182
سادسا: بعض مجالات مساهمات المسح في العلوم السياسية والإعلامية.....	184
سابعا : حدود ومشكلات المسوحات السياسية والإعلامية.....	198
ثامنا : دراسة مسحية تطبيقية عن اتجاهات العرب والمسلمين الأمريكيين وعن العقيدة الإسلامية بعد الحداية عشر من سبتمبر 2001.....	200
الفصل الثامن: المنهج التجريبي	
أولا : أهمية التجربة ومكوناتها المفتاحية وعوامل السببية	207
ثانيا : أنواع التجارب المعملية.....	209
ثالثا : عناصر التجربة والمنهج التجريبي.....	209
رابعا : بعض قواعد تصميم التجارب.....	213
خامسا: التجربة في المختبر والتجارب مع الناس.....	219
سادسا: الصعوبات التي يجب أن يتجنبها الباحث.....	224
سابعا : ملخص	226
الفصل التاسع: الطريقة الإحصائية والتحليل الإحصائي الوصفي والاستدلالي	
أولا : الطريقة الإحصائية وخطواتها الأساسية.....	229
ثانيا : أنواع المقاييس الإحصائية	230
ثالثا : تنظيم البيانات والتوزيع التكراري.....	232
رابعا : مقاييس النزعة المركزية	240
خامسا: وظائف الإحصاء الوصفي	242

248	سادساً: التحليل الإحصائي الاستدلالي أو الاستقرائي
252	سابعاً : الإحصاء البارامترى
256	ثامناً : الإحصاء غير البارامترى.....
261	تاسعاً : اختيار الاختبار الإحصائي المناسب
262	عاشراً : بعض المحاذير الخاصة باختبار الفرض
263	الحادي عشر: التحليل الإحصائي والحاسب الآلي
	الفصل العاشر: تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على بحوث الاتصال والإعلام
	أولاً : تكامل الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية للارتقاء بالبحث والتحليل السياسى والإعلامى
265	ثانياً : بعض جوانب المقارنة بين الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية
267	ثالثاً : نماذج من الدراسات والبحوث التى تبنت الاتجاه السلوكى.....
268	رابعاً : البحوث السياسية والإعلامية بين المتابعة العلمية ومشاكل المجتمع....
273	خامساً: افتراضات القيمة والتزامات المهنة السياسية الإعلامية.....
277	سادساً: الثورة ما بعد السلوكية والعلاقات الدولية والإعلام الدولى
281	الفصل الحادي عشر: كيف نتجنب الأخطاء الشائعة فى البحث وكيف نكتب التقارير البحثية ونقيمها؟
285	أولاً : تجنب الأخطاء الشائعة فى البحث.....
290	ثانياً : كتابة تقارير البحوث (IMRD).....
293	ثالثاً : العرض البيانى والتصويرى لمعلومات البحث.....
296	رابعاً : الهيكل العام لتقرير البحث وكيفية تقييمه.....
	الفصل الثانى عشر: التوثيق ومصادر المعلومات فى علوم الإعلام
303	أولاً : أهمية توثيق بحوث الاتصال والإطار لشبكى.....
304	1/1 بين المصادر الأولية والثانوية
305	2/1 من دوريات علوم الإعلام
307	ثانياً : الانترنت
310	ثالثاً : بعض مصادر المعلومات العربية
315	رابعاً : بعض مصادر المعلومات الأجنبية
323	المصادر العربية للكتاب
325	المصادر الأجنبية للكتاب

شركة الطباعة والتجهيزات الطباعة

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

18 عمارات المبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تلفاكس 02/22821385 - معقول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



■ البحث العلمي ومناهجه في علوم الإعلام هو محور هذا الكتاب، ويهدف بذلك إلى رفع كفاءة الطلاب والباحثين، ويتناول الفصل الأول والثاني المفاهيم الرئيسية في البحث ومصطلحاته واختيار مشكلة البحث، أما الفصلان التاليان فيعالجان تكامل بحوث الإعلام مع العلوم الأخرى وتكامل البحوث النوعية والكمية في دراسات الإعلام، وتتناول الفصول التالية المناهج التاريخية وتحليل المضمون والمسح التجريبي، أما الفصل التاسع فعن التحليل الإحصائي الوصفي كلفة للتعبير عن بيانات البحث والتحليل الإحصائي الاستدلالي كمنهج للبحث واختبار الفروض ثم تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على بحوث الإعلام، والفصلان الأخيران يتناولان كيفية تجنب الأخطاء الشائعة وكتابة تقرير البحث وتقييمه ثم دراسة التوثيق ومصادر المعلومات ودور الإنترنت في البحث، والكتاب بذلك يشمل التطورات الحديثة في المناهج ويقدم أساسيات البحث والتطورات الحديثة في التطبيقات.

الناشر

Bibliotheca Alexandrina



0659012

